المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٣٥

الثأر عند العرب

وصفته الدينية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تقدمة لنا كلام في سطحية العاطفة الدينية في النفس العربية قبل الاسلام[1]، وفي بُعد هذه النفس عن الاكتراث للشاغل الدينية، وفي خلوّ الشعر الجاهلي، ذاك الشعر الذي نسبه ارنست رينان الى «العبث وعدم التقوى»، من ايّ اثر للشعور الديني العميق وللتقوى الصحيحة.

على اننا نشعر، في القرن الذي وُلد فيه محمد، بان «الله» بدأ يظهر شيئاً فشيئاً، فيعلو اسمه اسما. تلك الآلهة والالاهات، بل تلك الحجارة المؤلّهة التي اعتاد العرب ان يولوها بعض التكريم. من الحقّ انهم ظلّوا يحلفون «باللات

---

١) اطلب مقالتنا في «الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام» (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ٨١٥–٨٢٢)

٣٠

والعُزّى » ، ولكنهم بدأوا يزيدون عليهما — مع الشاعر اوس بن حجر — اسم الله ،

ان الله منهنّ أكبرُ !

الله أكبر !

هو هتاف التوحيد الذي سوف ينشره الاسلام في انحاء الجزيرة .

ولكن كيف كان معاصرو أوس من الجاهليين يتصوّرون هذا الاله الاكبر ؟ أكانوا يعتقدونه اباً لتلك الالاهات كما قد ينتج من قول القرآن (٣٧: ١٤٩؛ ٥٢: ٣٩) — ام كانوا لا يميزون بينه وبين « الدهر » ؟ على ما في هذه اللفظة نفسها من الغموض ؟

كلها امور بحاجة الى عناية شديدة في درسها وتمحيصها ، وبحاجة الى الكثير من الشواهد القديمة . وهي عقبة نصادفها كلّما قصدنا الى تفهم عاطفة اولية غامضة ، او الى شرح لفظة قديمة شملت مدلولات متأخرة عن عصرها . من ذلك عجزنا اليوم عن تعداد الواجبات الاخلاقية التي كان يفرضها على عرب الجاهلية مدلول « الدِين » القديم . وقد نُسرع في عصرنا وننسب الى تلك اللفظة ما تحتوي عليه اليوم من دلالة على عقائد مقرّرة معروفة ، وفروض ثابتة محدودة ، فنضلّ ونُضلّ . ولهذا فلا بدّ من التحفظ الكلي ، اذا ما اردنا مثل هذا التحليل .

بيد اننا لا نُخطئ اذا ما جعلنا بين الفروض التي كان يفرضها على البدوي « دينُه » القديم ، « دين العرب » ، فرض الثأر[1] . وقد كان البدو يعتبرون هذا الواجب من اثبت مؤسساتهم التقليدية ، بل من افضل الضانات لحياتهم في تلك البلاد . وليس للبدوي الا اسلوب واحد في احترام عادة او شريعة ، ليس له الا طريقة واحدة في الاقرار بقيمتها الاجتماعية ، هي ان يصبغها بالتقديس ويدخلها بين الفروض القليلة التي تؤلف مادّة « الدين » . وهكذا كان فعله

---

١) يرادف الثأر « الوِتر » ، ومنه « الموتور » ، اي المصاب الذي يقع عليه واجب الاخذ بالثأر . ويسمّى هذا ايضاً « الوليّ » (القرآن ١٧ : ٣٥ ؛ ٢٧ : ٥٠) ويكون عادة اقرب اقرباء القتيل .

بادة «الثأر». وقد رأيت ان احاول درس مدلول الثأر، وتبيان مركزه المهم من تلك الآراء والعادات الضئيلة التي كانت تؤلف «دين العرب» قبل الاسلام

١

لم يقم شعب من الشعوب بما قام به البدو في سبيل تعزيز صلات القرابة الدموية. وليس هذا لاهتمامهم بما وراء الحياة، او لان الموت شغلتهم اسراره الغامضة، فطمحوا الى معرفة الحياة الاخرى. انما كانوا يعتقدون ان في الدم المبدأ الحيوي او «النفس السائلة» كما قالوا[1]. ولهذا فقد رأوا ان سفك الدم يتطلب الانتقام ضرورة. وانه، اذا لم يأخذ «وليّ» الثأر بثأره، اي اذا لم ينتقم قريب القتيل لقتيله، فان الدم المسفوح يقع اثمه على رأس الوليّ، حتى آخر نقطة. ومما زاد هذا الاعتقاد رسوخاً في اذهانهم، فرنهم فوق الانانية والفردية اللتين اتصفوا بهما، هو تحققهم ان طلّ الدم، او عدم الانتقام، يفكك اواصر الاسرة، وهي آخر الحلقات الاجتماعية، بل الحلقة الوحيدة المعروفة في تلك الحياة الفوضوية في بلاد العرب.

ومن ثمّ فان مصرع النسيب او الجار يزيل حالاً ما يكون من الاختلافات بين افراد الاسرة او القبيلة، فيعيد الاتفاق الظرفي ويوحّد النزعات في سبيل طلب الثأر. بل ان هذا الواجب، طلب الثأر، يفعل الافاعيل العجيبة في تلك الطبيعة البدوية الجانحة الى التواكل والكسل، وحب اللذة السهلة، والراحة الدائمة، المنصرفة فطرةً عن الرغبة في الحروب وسفك الدماء، على ما يبدو من عصبيتها وسرعة احتدامها. انه يحوّل الفتيان الضعاف، بل الجبناء، الى رجال شدّة لا يتراجعون امام عقبة، ولا يخشون حرماناً في سبيل غايتهم. ولا يخرج النساء عن هذا المظهر الذي يكاد يكون قاعدة عامة. فان امهات القتلى واخواتهم يعادلن الرجال، وقد يفقنهم، حماسةً واندفاعاً في اظهار تلك العاطفة الانتقامية باشعارهنّ، واناشيدهنّ الملهوسة حتى يُثرنَ ما كمن في صدور الرجال ويدفعنهم الى الاسراع في طلب الثأر؛ وهو الفرض الديني، كما سنرى. او لم يجعل هذا

---

١) المسعودي: مروج الذهب ٣: ٣٠١

الفرض من امرئ القيس، ذاك الشاعر العابث، معاقر الخمرة ورفيق الملاهي، بطلًا تائهًا لا يرتوي ظمأه من الدماء، ولا يهدأ اضطرابه الا اذا اخذ بثأر ابيه؟

ولا يخالنّ القارئ ان الدافع الى طلب الثأر فطرة دموية في البدوي او غريزة انتقامية هائجة. لا انما هو عاطفة برّ بالاهل تهيب به الى ارواء «صدى» القتيل بدم القاتل، حتى وان كان ذاك القتيل قد نبذ وليّ ثأره في حياته، فطرده من اسرته، كما فعل حجر الكندي بابنه امرئ القيس. فلم يمنع هذا ابنه ان يطالب بدمه قائلًا «ضيّعني صغيرًا، وحمّلني دمه كبيرًا.»[1] هو دين الاسرة يفهمه البدوي كل الفهم ولا يناقش فروضه، بل يخضع لها الخضوع التامّ. بيد انه لا يغفل عمّا تجرّه عليه هذه الفروض من اقتحام عقبات وتعرّض للموت. هو يرى المخاطر فيخافها ويظهر قلقه واضطرابه، ولكنه يشجع نفسه على الثبات فيقول:

اقول لنفسٍ لا يُجادُ بمثلها : أقلّي العتاب، انّي غيرُ مدبرِ (٢

يتعلّق بالحياة ولا يخفي تعلقه، ولكنه يرى طلب الثأر واجبًا دينيًا، فيحضّ نفسه عليه، ويرفع صوته عاليًا، لعله يدفع ارادته الضعيفة الى تحقيق هذا الواجب الصعب المؤلم الدافع الى المخاطر والاهوال، ولكنه واجب ديني لا مهرب منه. ولقد ادّى الامر بالبدوي، في هذا النزاع بين واجب الثأر ونفور النفس من القيام به، الى اختراع قيود مختلفة دخلت في «طقسيات» الثأر، اذا جاز لنا التعبير، وكانت الغاية منها مساعدة البدوي في تذكيره الدائم بواجبه، وتقوية ارادته، ودفعه الى قتل القاتل. من ذلك انه عمد الى نفسه المفطورة على الحرية بل على الفوضى، النافرة من كل نظام، المنصرفة عن كل رغبة زهدية فيها شيء من الحرمان والتقشف، فقيّدها بسلسلة من التقشفات

---

١) الاغاني ٨ : ٦٧

٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) ص ٩ – وهو من المعاني المتواردة في الشعر. قابل بما ورد في الحماسة نفسها رقم ٢ و٦؛ عامر بن الطفيل: الديوان (طبعة Lyall) ١١ : ١١؛ والجاحظ: الحيوان ٦ : ١٤٤، ١٤٥؛ وابن هشام: سيرة الرسول (Wüstenfeld) ٤٢٣ : ٤؛ وحماسة ابي تمام (Freitag) ٤٨٣ البيت ٢

والتضحيات تضير انانيته وشهوانيته معاً. بل تذهب الى ابعد من ذلك اذ تبدو لديه، وعليها مسحة دينية من «الاحرام»، فتضحه في «الحرم»، على لغة الكتاب المقدس[1]، حتى يقوم بواجبه فيبرّ بأيمانه. وهذا «الحرم» او «الاحرام» كان من شأنه ان يفصل «المحروم» عن الجماعة، عن القبيلة وعن الاسرة، فيسمه بسمة الضحية البشرية المعدّة لتنفيذ واجب ديني سام؛ حتى ان «الاحرام» و«الثأر» اصبحا كلمتين متوافقتين في طرق التعبير القديمة لا تُذكر الواحدة منهما الا اردفت بها الثانية. اما مدلول الاحرام او ما يشمله من «التحريمات» فكان بان يمتنع وليّ الثأر عن الكحل، والدهن، والطيب، واللحم، والخمر، وألفة النساء، والاجتماع الى افراد أسرته. هذا في اول الامر، ولنا عليه الامثلة العديدة. الا ان العادة خففت شيئاً فشيئاً من هذه التحريمات، فرفعت منها هجر النساء والاسرة. ومن اوضح الحوادث دلالة على شريعة الاحرام هذه، وعلى ان العرب كانوا يلجأون اليها تقييداً لانفسهم، وتكفيراً عن اهمالهم القيام بهذا الواجب الصعب ودفعاً لهم في طلب الثأر؛ وعلى ما كان يقوم به النساء من التحريض كذلك، ما ذكره صاحب الاغاني عن ريحانة بنت معديكرب من انها «قالت لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل اخيه: "يا بني، ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك، فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد". فأنف من ذلك، وحلف لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره. فغزا هذه الغزاة، وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتله بفنائها. وقال: "هل بلغتِ ما في نفسك؟" قالت: "نعم، متعت بك".»[2]

وقد كان البدويّ ينظر الى هذه التحريمات نظره الى اسمى مظاهر الزهد، وهو لا يعرف غيره من التضحيات التي ترفعه الى العالم السامي، الى «التألّه»، كما كان يُقال.

وعلى مطالع اليوم، كي يفهم شمول هذا الاحرام، ان يلقي نظرة على ما

(١) راجع Delporte, *L'anathème de Jahvé: recherches sur le herem préexilien.* [*Rech. de Sc. religieuse*, V, p. 321, 331]

(٢) الاغاني ٩: ٧

كانت تمثله في حياة البدوي تلك المواد التي يحرّمها الوليّ على نفسه :

كانت الخمرة شراب السراة تدلّ على يسر شاربها ورخاء حياته ، وتشير الى انه « سيّد » ، وكل بدوي كان يرمي الى السيادة . ثم ان قلة الماء كانت تحرم العرب من متابعة الاغتسال والنظافة . ولولا حليب النوق لهلك نصف البدو عطشاً . ولنقس على ما تقدّم باقي المحرّمات ، فنفهم ما كان يشعر به العربي ، المفطور على اللذة والانانية ، عندما كان يحرّم على نفسه كل ما تقدّم ذكره من اللذائذ الرفيعة في نظره ، فيرتقي الى اعلى درجات « التأله » ، كما اشرنا اليه ، ويرى نفسه انه قام بما يفرضه عليه « دين العرب » . ويدلّ هذا « الاحرام » فوق ذلك ، على قيمة الحياة البشرية في نظر البدوي ، وعلى احترامه تلك الأواصر التي تربط اعضاء الاسرة العربية حتى ما وراء القبر .

ثم ان البدوي يعتبر الوفاء بالذمم من صفات السادة الكرام ، بل هي فضيلة لا يضطلع بها الا السراة الاغنياء في القبائل الكبيرة . وهو يفتخر اذا ما حفظ العهد ووفى بالذمّة ، بينما غيره من الاقوام يخونون ويخفرون ، فيردّد الشعراء افتخاره . فهو السموأل يقول :

اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ

وهو حاتم الطائي يفتخر :

لعمرك ، ما اضاع بنو زيادٍ ذمارَ ابيهم فيمن يضيعُ (١

وهم الشعراء يمدحون الاوفياء :

فهبك ابن هندٍ لم تخنك امانةٌ ؛ وما المرء الا عقده ومواثقه ! (٢

...

انت الوفيّ فما تُذمّ ، وبعضهم يوفي بذمته عُقابَ مَلاعِ (٣

...

غدرتَ بأمرٍ انت كنت اجتذبتنا عليه ، وشرّ الشيمة الغدر بالعهد (٤

ويؤيد البدوي عهده بالأيمان المحرجة التي يحتفل بحلفها ، حتى اذا ضعفت

---

١) ديوان حاتم الطائي ١ : ١
٢) الاغاني ١٩ : ١٢٨
٣) المفضليات ١٢ : ٢٤
٤) الاغاني ١٩ : ١٢٨ -

فيه عاطفة الشرف، وهي لا تقوى احياناً على مجابهة انانية البدو وشراستهم، دفعته الأيمان الى القيام بالعهد والاخذ بالثأر. ولهذا فاننا نرى القيام بالثأر يتصل دائماً بحلف اليمين. وان هذه اليمين لترفع البدوي، الى حين، فوق انانيته بل فوق فطرته النازعة الى الكسل والراحة والتلذذ، فتجعله «قاضي نذور» يشعر بمسؤوليته وباهمية الواجب المقدس الملقى على عاتقه، «والنذور لها وفاء»، وتدفعه الى القيام بتلك الأعمال العظيمة النادرة المحفوفة بالجلبة والضجيج افتخاراً واعلاناً. فيمدحها الشعراء المعاصرون، ويأتي، بعد ذلك، ارباب البحث من المستشرقين فيعتمونها، ويشاركون شعراء الجاهلية في تضليلنا اذا ما اردنا الحكم، حكماً صائباً، على القيمة الاخلاقية في ذاك الكائن المحفوف بالاسرار والالغاز، الا وهو البدوي من ايّ عصر كان!

اما اذا قام الوليّ بنذره، اذا وفى عهده واخذ بثأره، فانه يعود الى الحياة العادية فخوراً بعمله محللاً لنفسه كل ما كان قد حرّمه، ولاسيما الخمر، منصرفاً اليه بكل ما اوتيه من اندفاع في اللذة وسير وراء الشهوة، لا يخشى اثماً ولا يخاف عاقبة، فيقول كما قال امرؤ القيس، بعد ادراك ثأره:

حلّت لي الخمر، وكنت امرءاً عن شربها في شغلٍ شاغلِ
فاليوم أسقى، غيرَ مستحقبٍ إثماً، من الله، ولا واغلِ (١

او كما قال المثلّم بن عمرو الكندي، مشبّهاً واجب الثأر بالهم الثقيل كالجبل:

اني ابى الله ان اموت، وفي صدري همٌّ كأنه جبلُ
يمنع مني طعم الشراب، وان كان رحيقاً مزاجه عسلُ،
حتى نقضتُ الوتر العظيم، وذا ثنتُ بيوتاً وبينها خلَلُ (٢

وهذا قول خالد بن عمرو بن مُرّة الشيباني:

اليوم حلَّ لي الشراب، وما كان الشراب يحلّ لي قبلُ؛
وجزيتُ سعداً بالذي فعلوا، وأحلَّ لي، ماويّة، القتلُ

---

١) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٠٢
٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٠٣

ولقد أبأتُ باخوتي مائةً منهم، فلا لومٌ ولا عذلُ! (١

ومثله قول ربيعة بن ابي عمرو القيني :

حانت لي الخمر، اذ غادرت سيدهم في جيب سرباله من نفسه دُفَعُ
ما زلت أبني ابا ليلى واندبه في الحيّ، طفلًا الى ان نالني الصلعُ (٢

وهذا يدلنا ايضاً على التطويل في الاخذ بالثأر مما يؤيد قولنا في ان البدوي كان يتحيّن الفرص الموافقة للقيام بذاك الواجب الديني، وقد يماطل في تأدية ما عليه، مقاوماً كـله الفطري ونفوره من القتل بتلك التحريمات والنذور والايمان التي ذكرناها. وقد يستعين، في ثأره، بنيره من ذوي البأس والجـاه كما جرى لقيس بن الخطيم في حادثة قد تكون افضل شاهد على تلك المؤسسة الـدينية الاجتماعية، ومـا تفرضه على الوليّ من فروض، وما يلجأ اليه من حِيَل في القيام بها .

ولا بأس في ان نروي الحادثة، كاملةً على طولها، وهي فوق ما فيها من الفوائد التاريخية، اثر ادبي قصصي لا بأس به. وهذه هي، كما ذكرها صاحب الاغاني عن ابن الكلبي . . . عن محمد بن عمّار بن ياسر، وكان عالمًا بحديث الانصار، قال :

« كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدَّه عديّ بن عمرو قتله رجـلٌ من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يُقال له مالك. وقتـل اباه الخطيمَ ابنَ عديّ رجلٌ من عبـد القيس ممن يسـكن هجر. وكان قيس يوم قُتل ابوه صبياً صغيراً. وقُتل الخطيم قبل ان يثأر بابيه عـديّ. فخشيت ام قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر ابيه وجدّه، فيهلك. فعمدت الى كومـة من تراب عند باب دارهم، فوضعت عليها احجاراً وجعلت تقول لقيس : « هذا قبر ابيك وجدك » . فكان قيس لا يشكّ ان ذلك على ذلـك. ونشأ أيّداً شديدَ الساعدين، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظَفَر، فقال له ذلـك الفتى : « والله، لو جعلتَ شدّة ساعدَيك على قاتل ابيك وجدّك لكان خيرًا لـك من

١) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٥٤
٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٠٦

ان تخرجها عليّ ! » فقال : « ومَن قاتل ابي وجدّي ؟ » قال : « سل أمك تخبرك . » فاخذ السيف ووضع قائمه على الارض وذبابه بين ثدييه وقال لامه : « أخبريني من قتل ابي وجدي . » قالت : « ماتا كما يموت الناس ، وهذان قبراهما بالفناء . » فقال : « والله لتُخبريني مَن قتلهما او لأتحاملنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . » فقالت : « اما جدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، واما ابوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر . » فقال : « والله لا انتهي حتى اقتل قاتل ابي وجدّي . » فقالت : « يا بنيّ ، ان مالكاً قاتل جدّك من قوم خداش بن زهير ، ولابيك عند خداش نعمة هو لها شاكر ، فأته فاستشره في امرك ، واستعنه يُعنك . » فخرج قيس من ساعته حتى اتى ناضحه[1] ، وهي يسقي نخله ، فضرب الجرير[2] بالسيف فقطعه ؛ فسقطت الدلو في البئر ، واخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر ، وقال : « مَن يكفيني امر هذه العجوز ؟ (يعني أمه) فان مِتّ انفق عليها من هذا الحائط[3] حتى تموت ثم هو له ؛ وان عشت فمالي عائد اليّ ، وله منه ما شاء ان يأكل من تمره . » فقال رجل من قومه : « انا له » . فاعطاه الحائط .

ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلّ عليه بمرّ الظهران . فصار الى خبائه فلم يجده . فنزل تحت شجرة يكون تحتها اضيافه . ثم نادى امرأة خداش : « هل من طعام ؟ » فاطلعت اليه فاعجبها جماله ، وكان من احسن الناس وجهاً ؛ فقالت : « والله ، ما عندنا من نُزُل نرضاه لك إلّا تمرًا . » فقال : « لا أبالي ، فأخرجي ما كان عندك . » فأرسلت اليه بتُباع فيه تمر . فأخذ منه تمرةً ، فأكل شقّها وردّ شقّها الباقي في التُباع . ثم أمر بالتُباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاته . ورجع خداش فاخبرته امرأته خبر قيس ؛ فقال : « هذا رجل متحرّم » . واقبل قيس راجعاً ، وهو مع امرأته يأكل رُطباً . فلما رأى خداش رجله ، وهو على بعيره ، قال لامرأته : « هذا ضيفك ؟ » قالت : « نعم » قال : « كأنّ قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي . » فلما دنا منه

---

١) ناضحه : اي بعيره الذي يستقي عليه الماء .

٢) الجرير : الحبل ٣) الحائط : البستان

قرع طُنب البيت بسنان رمحه واستأذن . فاذن له خداش . فدخل اليه . فنسبه، فانتسب واخبره بالذي جاء له ، وسأله ان يعينه وان يشير عليه في امره . فرحب به خداش وذكر نعمة ابيه عنده ، وقال : « ان هذا الامر ما زلت اتوقعه منك منذ حين . فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي ، وانا اعينك عليه ؛ فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثت معه ، فاذا ضربتُ فخذه ، فثِب اليه فاقتله . » فقال قيس : فاقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش؛ فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له ذو الخُرصين . فثار اليّ القوم ليقتلوني . فحال خداش بينهم وبيني ، وقال : « دعوه ؛ فانه ، والله ، ما قتل الا قاتل جدّه . »

ثم دعا خداش بجمل من ابله فركبه ، وانطلق مع قيس الى العَبدي الذي قتل اباه ، حتى اذا كانا قريباً من هجر اشار عليه خداش ان ينطلق حتى يسأل عن قاتل ابيه ، فاذا دُلّ عليه قال لـه : ان لصّاً من لصوص قومك عارضني فاخذ متاعاً لي ، فسألتُ من سيدُ قومه ، فدُللتُ عليك ، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه . فان اتبعك وحده فستنال ما تريد منه . وان اخرج معه غيره فاضحك ، فان سألك مِمّ ضحكت ، فقل : ان الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت اذا دُعي الى اللصّ من قومه ؛ انما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فاذا رآه اللص اعطى كل شيء اخذه هيبةً له ؛ فان امر اصحابه فسبيل ذلك ، وان ابى الا ان عضوا معه فأتني به ، فاني ارجو ان تقتله وتقتل اصحابه . » ونزل خداش تحت ظلّ شجرة . وخرج قيس حتى اتى العبديّ فقال له ما امره خداش ، فاحفظه ، فامر اصحابه فرجعوا مع قيس . فلما طلع على خداش قال له : « اختر ، يا قيس ، إمّا ان أُعينك وإمّا ان أكفيك . » قال : « لا اريد واحدة منهما ، ولكن ان قتلني فلا يُفلتنّك . » ثم ثار اليه ، فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فانفذها من الجانب الآخر ، فمات مكانه . فلما فرغ منه قال له خداش : « إنّا ، ان فررنا الآن طلبنا قومه . ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله . فان قومه لا يظنون انك تقتله وتقيم قريباً منهم . ولكنهم اذا افتقدوه اقتفوا اثره ، فاذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كلّ وجه ، فاذا

ينسوا رجعوا.» (قال) فدخلا في دارات من رمالٍ هناك. وفقد العبديُّ قومه، فاقتفوا اثره فوجدوه قتيلاً. فخرجوا يطلبونها في كل وجه، ثم رجعوا؛ فكان من امرهم ما قال خداش. واقاما مكانهما اياماً ثم خرجا. فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش. ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهله. ففي ذلك يقول قيس من قصيدة طويلة:

ثأرت عديًّا والخطيمَ، فلم أُضع   وصيّةَ اشياخٍ جُعلت إزاءها (١

وليس ابلغ من هذه الحادثة في البرهان عمّا قدّمناه من صفات «الثار» عند العرب، ومما توليه شريعة التحرّم من واجبات يتحمّل المضيف كلّ نتائجها، مها كان فيها من مصاعب او من فروض قد ينفر من القيام بها. لنسلّم بان الراوي قد بالغ في سرد الحادثة وقد جنّل فيها وبدّل ما شاء؛ انما هناك امر لا سبيل الى انكاره هو تلك المؤسسة، بل تلك العقيدة، التي تمثلها الحادثة.

وهناك حادثة اخرى عن بدويّ اسمه عُمير بن سلمى يثأر لجاره من اخيه، فيستحقّ لقب «اوفى العرب» (٢

وفي حماسة البحتري حادثة من هذا النوع اختار فيها الراوي اسماً لائقاً ببطله فدعاه «وفاء»، قال:

«حجّ وفاء بن زهير المازني في الجاهلية ... وقدم على اهله، فوجد اخاه وقد غدر بجارٍ له فقتله. فانتضى سيفه. فناشده الله والرحم. وخرجت امه كاشفة شعرها، وقد اظهرت ثَدْيَيها تناشده الله في قتل اخيه. فقال لها: علامَ ستيتني وفاء اذا كنت اريد ان اغدر. ثم ضرب اخاه بسيفه حتى قتله، وقال:

يناشدني قيس قرابة بيننا   وسيفي بكفي، وهو منجردٌ يسمى
غدرتَ، فما بيني وبينك ذمّة   تجيرك من سيفي، ولا رحم تُرعى
سأرحَض عني ما فعلتَ بضربةٍ   غنيم البديّ لا تكرُّ ولا تُثنى.» (٣

قد يتسرّع مطالع هذه الحوادث، فينسب البدو الى الاخلاق المعجبة

١) الاغاني ٢: ١٦٠–١٦٢

٢) ابن دريد: كتاب الاشتقاق (طبعة Wüstenfeld) ص ٢٠٦

٣) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ٧٢٨

ويحكم عليهم بالانطباع على اهراق الدماء . فيخطئ الخطأ الفظيع . ولا تظهر الحقيقة الا اذا تابعنا التدقيق في ماهية «الثأر» العربي، فنشعر بانه افضل المؤسسات البدوية عائدة علينا في درسنا العقلية الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام.

***

لا يأخذنّ الدارس بذاك المظهر الجافي الذي يخفي خلق البدوي ؛ فيحول بينه وبين فهم حقيقته ، ويضلّ في احكامه سواء السبيل . فالبدوي ليس شرساً من فطرته ، ولا ميّالاً الى سفك الدماء ، على رغم ما ينسب اليه الحضريّون من اعمال القسوة والهمجيّة .

وُلد البدوي في بيئة قاسية ، محرومة ، فنشأ فرديًا انانيًا لا يتكل الا على نفسه . فكان انه قدر كافضل ما يكون قيمة الحياة البشرية ، ونفر ، على توتّر اعصابه وسرعة تأثره ، من التسرّع في اهراق الدم . هو يكره القتل ، ولا يلجأ اليه ، الا في ما ندر ، وفي حالة الدفاع عن النفس وحدها . وما كان الثأر الا من هذه الحالات تصبغه العادة بالصبغة الدينية ، فترتفع به الى مرتبة المؤسسات والعقائد . وليس نفوره من اهراق الدم نتيجة التأثم ، او الندم ، او التوبة . لا فان البدوي ، اذا ما دُفع الى قتل مثيله ، لا يشعر بانه ارتكب عملاً شائناً من تلك الاعمال التي يسميها « الفواحش » او « المخزيات » . وهذه اشدّ ما في قاموسه الاخلاقي من مفردات يسم بها الشعراء اعظم المجرمين في نظرهم . وهؤلاء هم الذين يسيئون ، لا الى الفرد ، بل الى القبيلة باعتدائهم امّا على افرادها واما على النازلين عليها او جيرانها . اما الغريب عن القبيلة فلا حقوق له معروفة ، ولا ضمانة قضائية تضمن حياته او امواله . بل ان لكل انسان ، اذا كان قادرًا ، ان يستبيح حماه كما قال اوس بن حجر :

نُبيح حمى ذي العزّ ، حين نريده ، ونحمي حمانا بالوشيج المقوّم (١

او ان يقتله ، على غير جرم ، دون ان يشعر باثم . وهذا قول عامر بن الطفيل من فرسان الجاهلية المشهورين :

١) ديوان اوس بن حجر ٢٣: ١٧

قتلنا يزيد بن عبد المدانِ   على غير جرمٍ، ولم نظلمِ [١]

ومما يظهر هذا الشعور بالبراءة ويدلّ على عدم تحرّج البدوي، حالته اذا ما دُفع الى قتل رجل، فاصبح «حامل دم». اننا نراه مرتفع الرأس، يجول بين الاحياء من مضرب الى مضرب، ومن جوار سيد الى جوار آخر، بل يتجاوز مضارب قبيلته الى منازل الحلفاء، يمدّ يده مستعطياً كي تكتمل له قيمة الدية فيجمع عدداً من الابل كافياً لدفع ثمن الدم. يمدّ يده دون خجل ولا حيرة، فيستقبله قومه وحلفاء قومه بارتياح ان لم نقل بترحاب. ولا يرى احد منهم لنفسه الحقّ بلومه او باستيضاحه اسباب عمله. ذلك ان القتل حادث نادر في تلك الحياة المضطربة في القفر. والجميع يرون في القاتل، لا مذنباً، بل شقياً مسكيناً تهوّر في اندفاعه ولم يتمالك اعصابه، او خانته الاحوال، فدُفع الى القتل. فيجتهدون، كلّ على قدر استطاعته، في تخليص ذاك المسكين من مأزقه وفي معاونته على تأليف الدية؛ كما يجتهد الناس في انقاذ اسير او اعانة فقير؛ وهم معتقدون ان كلًّا منهم قد يصيبه يوماً ما اصاب هذا المسكين فيصبح بحاجة الى معاونة افراد القبيلة وحلفائها في جمع نياق الدية[٢]. ولا يخفى ان سادة القبيلة ورؤساء أُسرها يكونون اول من يتسابقون في اعانة القاتل، فهم «يحملون الدم» عنه. فيندفع الشعراء الى نعت السيّد منهم، في جملة ما ينعتونه به، بانه «حمّال»، و«حامل ديات» و«حامل دماء» و«حامل اثقال»، واذا بلغ الذروة العليا في هذا الحمل غدا «حامل مئين»[٣] اي انه يعطي مئات الابل في سبيل دفع الديات. هذه شريعة القفر، تلك الشريعة التي يذكرها الشاعر زهير بن ابي سُلمى الناطق بلسان الحق العربي القديم:

تُعفّى الكلوم بالمئين، فاصبحت   يُنجّمها من ليس فيها بمُجرمِ [٤]

هذا النفور من اهراق الدم ينتج عند العرب من شريعة الثأر، تلك الشريعة

---

١) ديوان عامر بن الطفيل ٢٠ : ١

٢) راجع كتابنا Le Berceau de l'Islam I, 247

٣) اطلب المصادر في Le Berceau de l'Islam, I, 249-250

٤) شعراء النصرانية (طبعة شيخو) ص ٥١٧

القاسية التي افهمت البدوي ان كل قاتل يُقتل . فشمر ، بغريزته وعقله ، بنفعتها الجمة ، وفهم انه لولاها لكانت معيشته عرضة للاخطار الدائمة في ذاك القفر ، بل لكانت حياته مستحيلة . وهو ما اقرّه القرآن بقوله : « ولكم في القصاص حياة ! »[1]

في القصاص حياة ، وفي الثأر حقن الدماء ، ولاسيما ابّان النزوات المستديمة في الجزيرة . ولا يخفى ما يحفها من مخاطر ومهالك يزيد هولها ان هذه النزوات اصبحت ، على قدم عهدها ، من العادات المألوفة في كسب المعاش عند العرب . على ان حياة البدوي تضمنها شريعة الثأر ، حتى في تلك النزوات. والعرب اذا تكلموا عنها قلّما يذكرون القتل . انما يلجأون اليها طريقةً للكسب ، ويتخذونها وسيلةً لليسر مخطرةً ، دون شك ، ولكن قلّما يصل خطرها الى الموت . وهذا حاتم الطائي ، اذا مّا وجد نفسه عاجزاً عن اداء حقوق ضيوفه ، صرفهم معتذراً طالباً منهم ان يعودوا اليه « بعد الغارة » . وقد يتكارم على الطالب من اموالٍ يكون قد نهبها من قبيلته ، كما جرى له مع ابي جبيل ، وكان هذا من « حاملي الدماء » ، على ما جاء في ديوان حاتم ، قال الشارح :

« كان ابو جبيل وهو عبد قيس بن خُفاف البرجمي اتى حاتماً في دماء حملها عن قومه اسلموه فيها ، وعجز عن ادائها فقال : « والله لآتينّ من يحملها عني » . وكان شاعراً شريفاً . فاتى حاتماً فقال : « انه قد كان بين قومي دماء فتواكلوها ، واني حملتها في مالي وابلي ، فقدّمت مالي ، وكنتَ أملي . فان تحملها فربَّ حقّ قد قضيته وهمّ قد كفيته ، وان حال دون ذلك حائل لم اذمم يومك ، ولم أيئس من غدك . ثم انشأ يقول :

حملت دماءً للبراجم جمّة ، فجئتك لما اسلمتني البراجمُ
وقالوا سفاهاً : لمْ حملت دماءنا ؟ فقلت لهم : يكفي الحمالة حاتمُ »

فقال له حاتم : « ان كنت لأحبُّ ان يأتيني مثلك من قومك . هذا مرباعي من الغارة على بني تميم (ولا يخفى ان البراجم من تميم) فان وفت الحمالة ،

١) القرآن ٢ [سورة البقرة] ١٧٥

والا كلتها لك . وهي مائتا بعير سوى نيبها وفصالها . مع اني لأحبُّ ان لا تريب قومك باموالهم . » (قال) فضحك ابو جبيل ثم قال : « لكم ما اخذتم منا ، ولنا ما اخذنا منكم ، وايّما بعير دفعته اليَّ ليس له ذنب في يد صاحبه فانت منه بري . » فأخذها منه وزاده مائة . »[1]

هذا الكرم الحاتمي لم يسغه بيرون ، فقال : « انها لطريقة غريبة في فهم الكرم والاحسان . »[2] ... على ان بيرون نفسه يتابع شارحاً نشأة الغارة في بلاد العرب فيقول : « ان الغارة لازمة في القفر وما تجرّه من تلك الهجمات الدالة على الفروسية . هذه هي الحياة المنظّمة . اذ لولاها ، ما عسى ان يفعل الانسان في تلك العزلة الصامتة ؟ » ولا يخفى ان الشرح اقرب الى الدعابة والعبث . على ان تلك النزوات كانت ابعد الاشياء عن التسلية التي يتصوّرها بيرون ، اذا ما سُفكت الدماء .

وليتنبه الدارس ، اذا ما فكّر بالثأر ، الى ما يبذله اولئك المتعاركون من جهود في اجتناب الضربات القاتلة . هم لا يقصدون ، في غاراتهم ، الا ابتزال المال عليهم . اما حياتهم فليس مَن يرغب في الاعتداء عليها . ولا ينبغي للهاجين ولا للمدافعين ان يحلوا الى اهراق الدم . هو عراك على المواشي يقومون به بنباهة ما يمكنهم من رباطة الجأش . ولنا من الامثلة المتعددة ما يؤيد هذا القول ؛ فان حوادث الجرح والقتل قليلة جداً في الغزوات حتى في ايامنا هذه ، بعد ان اخذ البدو يستعملون البنادق الحديثة . فهناك كثير من دخان البارود ودويّ الرصاص ، وقليل من الجرحى والقتلى . اما اذا ادّتهم الحوادث الى سفك الدم ، فيكون الحظ قد خانهم ، ففقدوا السكينة اللازمة في هذه المعارك ، واندفعوا باندفاع اعصابهم الثائرة ، فنسوا صفتهم الاصلية وتحوّلوا الى مقاتلين[3] . على ان العادة الجارية حينذاك تفرض على الضارب الا يجهز على الجريح ، والا يسلب القتيل[4] .

---

١) ديوان حاتم ، ص ٤٠ – ٤١

٢) Perron, *Femmes arabes*, p. 114

٣) اطلب *Le Berceau de l'Islam* I, 240

٤) اطلب حادثة صخر ، اخي الخنساء ، في الاغاني ١٣ : ١٤٥ ...

اما في ما خصّ الثار ، فان البدوي يطيع العادة الجارية التي اصبحت من مظاهر « دين العرب » كما يفهمه الجاهليون . ومن ثمّ فان هذه العاطفة وحدها تسيطر على « وليّ الثأر » او « الموتور » وهو صاحب الحقّ الشرعي بالاقتصاص من القاتل . وتكون الغاية المثلى ان يتمكن الوليّ من القيام بواجبه بسرعة ، فيقول مع عبد الله بن سلمة الغامدي :

تقمّت الوترَ منه ، فلم أنَم ، اذا أصبحت بمنبطة جنوب (١

على ان هذه السرعة في الانتقام لم تكن في الغالب الا وهمية . فقد يعزّ على الموتور الاشهر بل السنون ، بل قد « يناله الصلع » ، كما في قول ربيعة بن ابي عمرو القيني[٢] ، قبل ان يدرك ثأره . فهو خالٍ من الحماسة في القيام بهذا الواجب ، لانه يرى ما سيعترضه من مخاطر يعدّدها سرًّا[٣] فينفر من مجابهتها . الا انه يشعر بضرورة القيام بواجبه ، فيحتال في ذلك ، لاجئاً الى الدوافع الخارجية من تحريمات ونذور وايمان وما اليها من قيود فصلناها في ما تقدم . ولا يسهو باله عن ان يضيف اليها الرجاء بان لا يميته الله قبل ان يدرك ثأره . فهو اذاً يوسّع على نفسه في البرّ بهذه اليمين ، بينما يصرخ وينادي بان همّه في ادراك الثأر ثقيل كالجبل يمنعه لذّة العيش والشراب خاصة .

واذاً فان الموتور لا يُسرع متحمساً الى قتل واتره و« شفاء غليله » ، كما قد تصوّره بعض الحكايات الشعبية المتأخرة عن العصر الجاهلي . بل اننا نراه يتبرم من حمل هذا الواجب ، واذا قبله فلأنّ لا مناص له منه ، ولان العادة والرأي العام وارادة القتيل نفسه تفرض عليه ذلك ، فهو يقبله كاثقل الواجبات الدينية ، ويهتف مستثقلاً مع امرئ القيس عندما أُخبر بقتل ابيه : « حمّلني دمه ! » هو حمل باهظ يحول بين الموتور وملذّات الحياة العادية ، يحول بين امرئ القيس والخمر ، لا بسبب ما يوليه اياه من الحزن والاسى وحرمان العطف

---

١) المفضليات (طبعة Lyall) ص ١٨٥ البيت ٩
٢) راجع الصفحة ٨ من هذا البحث
٣) ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ١٢٢ ، ٤

الابوي — ولا عطف في حالة امرئ القيس ، وقد طرده ابوه وخلعه — بل لما يفرضه عليه هذا القتل من ضرورة التقيد بالحرمانات التي من شانها ان تدفع الموتور الى القيام بطلب ثأره . فتحول ذاك الاناني الفردي الى كائن اجتماعي يُدفع ، على الرغم منه، الى التضحية بشهواته وبراحته في سبيل الاسرة والجماعة. والا فانه يتعرض لغضب الالهة النازل بكل حانث بالايمان المغلظة وهي التي لا تحتمل الكفارة ، ولا تحلّ صاحبها الا اذا قام بما يفرضه عليه « الوتر العظيم » ، فيعود حين ذاك الى حياته السابقة فيستبيح ، دون اثم ولا حرج ، كل ما كان قد حرّمه على نفسه ، ويكتسب ، فوق ذلك ، « شرف الدهر .»[1]

اما اذا تهامل في القيام بهذا الفرض ، او خالف مادةً من مواد هذه الشريعة ، او لم يبرّ بهذه الايمان ، فانه يقترف « إثماً من الله » ، كما يقول . ولنا ان نعجب اذ نسمع من فم البدوي ما يدلّ على شعوره بالمسؤولية الادبية ، بل بالخطيئة اللاهوتية . ذاك انه يتقيد بمادة الثأر ، ويفهم ضرورة هذا الواجب في سبيل التكفير عن اثم لحق اثره المجتمع العائلي بكامله . في الثأر شفاء نفسه المقروحة ، وبرء دائه الدخيل، على نحو ما قال العبسي :

دعوت الله اذ قدنا اليهم ، لنلقى منقراً ، او عبدَ عمرو
وكانت حلفة حُلفت لوتر ، فشاء الله ان ادركت وتري
واني قد شفيت ، فكان برئي بقرواش بن حارثة بن بدر

وقد علّق الجاحظ على هذه الابيات بقوله : « والاعراب تعدّ القتل سقماً وداء ، ولا يبرئه الّا اخذ ثاره دون اخ او ابن عم . فذلك الثأر المنيم .»[2]

ولهذا نراه يشجع نفسه ويحمسها بكل ما لديه من وسائل شعورية ، وبكل ما في منطقه من حكم قصيرة سائرة . فيقول لها تارةً قول عمرو بن الاطنابة :

واقدامي على المكروه نفسي ، وضربي هامة البطل المشيح ،
وقولي ، كلما جشأت وجاشت : مكانك ، تُحمدي او تستريحي ! [3]

وطوراً يعزّيها بقول ابي النيران :

1) الاغاني ٨ : ٦٧
2) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٣
3) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٤

ان السُراة قصيرةُ الاعمار ! (١

ودائمًا يردّد عليها بلسان الشعراء كافةً ان ادراك الثأر افضل دلائل الشجاعة والوفاء ، بل هو افضل الوسائل لبناء المجد الخالد ، ونيل شرف الدهر .

فلا عجب ، والحالة هذه ، ان نرى البدوي الموتور لا يسمع لهو الحديث ، ولا يأوي مطمئنًا الى فراشه :

لا اسمع اللهو في الحديث ، ولا ينفعني في الفراش مضطجعُ (٢

واذا عرض له الابتسام فذلك على الرغم من نفسه الحزينة :

اعاتب نفسي ، ان تبسّمتُ ، خاليًا ؛ وقد يضحك الموتور ، وهو حزين (٣

فلا يكاد يعرف الراحة والهجوع ، انما يقضي الليل مضطربًا يرقب النجوم في سيرها البطيء[٤] ، ولا همّ له الا العمل على ادراك ثاره . فهو يجتنب ، في ذلك ، قول الشعر نفسه حتى الهجائي منه[٥] ، لان ما بينه وبين الواتر « اجلّ من القذع » على قول صخر اخي الخنساء[٦] . ولا نكاد نخطئ اذا قلنا انه يخشى ان يفرّج الهجاء كربته ، فيضعف ارادته ، ويوهن من عزيمته في ادراك الثأر فتبقى نفسه في سقامها ، وهي لا يشفيها الا الدم ، كما قدّمنا . وقد يبلغ من قوّة هذه الرغبة في « شفاء الغليل » ان الموتور قد يُنكر على الله حقّه في الحؤول بينه وبين ثاره[٧] . على انه يرى الحقّ لاعدائه في ادراك ثأرهم ايضًا . وقد نرى بعض السادة من ذوي الاخلاق العالية ، اذا لم يعرف الموتور واتره ، اقرّوا باشتراكهم في القتل فينتوا انفسهم هدفًا لسهامه[٨] . بيدَ ان هذا الاقرار لا يأتي عفوًا . انما يرمي اليه الموتور بواسطة « العزيمة » و« المناشدة » ، وهما من نوع

١) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٢

٢) البيت لمالك بن عمرو العاملي ، في حماسة البحتري ١٤٨

٣) البيت لخلف بن خليفة ، في حماسة ابي تمام ص ٤٠٤

٤) هي صورة كثيرًا ما ردّدها الشعراء . اطلب مثلًا حماسة البحتري ١٤٩–١٥٠ ؛ الاغاني ١٤ : ٢ ؛ ديوان حاتم الطائي ٢٩ : ٢ ؛ سيرة ابن هشام ص ٧٢٨ ؛ المفضّليات (Thorbecke) ص ٤٦ ؛ ديوان النابغة ٣ : ١ الخ . . .

٥) على ان النساء قد يدخلن الهجاء في الرثاء احيانًا ، راجع ديوان حاتم الطائي ٣٦ : ٤

٦) الاغاني ١٣ : ١٤٥

٧) ابن هشام : سيرة الرسول ٨٠٢

٨) الاغاني ١٣ : ١٤٥

تحليف اليمين التي يُشرك فيها اسم الله ، ولا يجرأ احد من البدو على الكذب فيها .

***

اعتبارًا من حلف اليمين ، تُصبح كل الوسائط ، التي يقوم بها البدوي في سبيل غايته ، صالحةً لا اثم فيها ولا حرج ، مهما كانت ومهما اشتملت عليه من غدرٍ وخيانة واحتيال . الغاية تبرّر الواسطة في مادة الثار . انها تبرّر لا اعمال وليّ الثار فحسب ، بل اعمال كل من اجاره وعاونه في طلب ثاره ، كما رأينا في حادثة قيس بن الحطيم وغيره . يجول الوليّ بكل طمأنينة ، في احياء العرب ، مفتشًا عن ضحيته ، فيطوف الأسواق والمجتمعات ، ويدخل المضارب ، ويختلط بالناس ، حتى اذا ظفر بواتره ، انقضّ عليه ، على حين غفلة ، فقتله ، وان نائمًا ، خلافًا لما كان قد تقرّر في عاداتهم من التأثّم من قتل النائم ، وان عدوًّا[1] . ذلك ان شريعة الثار فوق تلك العادة فهي اجدر الشرائع بالاحترام في دين العرب ، لانها ابعدها عن الانانية والمنفعة الشخصية . وقد عزّز ذلك الشعراء ، وهم حكماء البدو والسنة فقههم ولاهوتهم .

بيد ان ولي الثار قد يتردّد في تنفيذ قصده ، اذا خاف ان يخالف مبدأً دينيًا آخر ، كأن يخشى ، اذا ما قام بثاره ، ان يخفر ذمة الجار ، او ينتهك حرمة المعبد ، او الاشهر الحرم ، او حرمة قبر مكرّم جُعل ملجأً وملاذًا . عند ذلك يحصل اشتباك بين مبدأين دينيّين ، فيحار البدوي في أيّهما يتبع . وان في الروايات القديمة امثلةً عديدة للحلول المختلفة . منها ما تدلّ على تقدّم الحق بالثار ، ومنها ما تفيد التراجع فيه تجاه حرمة الجوار او تلك الحرمات التي ذكرناها . من الاولى ما حصل للحارث بن عُباد ، عندما اتاه واتره بابن اخيه ، وهو لا يعرفه ، فاحتال في الحصول على الجوار ، فنجا من الخطر[2] . ومن الثانية ما نراه من حوادث متعدّدة قتل فيها اولياء الثار واتريهم في الاسواق التي

---

١) راجع الاغاني ١٣ : ١٣٠ ؛ ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ٢٢٦ ، ثم ص ٦٥٠ .

٢) ابو تمام : الحماسة ، ص ٢٥٤

كانت تُعقـد في الاشهر الحرم ، بل في البيت الحرام نفسه[١] . وقد جاء في المفضليات :

قتلنا قتيلًا مهدبًا بُلبُـدٍ بجار بني وسط الحجيج المصوّت

وقال الشارح : « اي قتلنا رجلًا محرمًا برجل محرم . »[٢]

وفي ما عدا هذه الظروف الاستثنائيـة ، فان العادة تبرّر كل ما يقوم به الموتور في سبيل ثأره من غشّ ، وخداع ، ومداهنة ، ومجاملة للاعداء حتى تمكن الفرصة . وهذا البحتري يفرد في حماسته بابين لهذا الموضوع عنوانهما : « الباب الرابع : فيما قيل في مجاملة الاعداء وترك كشفهم عمّا في قلوبهم » ، و« الباب الخامس : فيما قيل في الاطراق حتى تمكن الفرصة . »

فللبدوي ، والحالة هذه ، ان يظهر الابتسام لخصمه ويجامله ، على امل اغتياله :

اكاشر ذا الضغن المبيّن ضغنه ، واضحك حتى يظهر الناب اجمعُ
وادهنه بالقول دهنًا ؛ ولو رأى سريرة ما أخفي ، لبات يُفزَّعُ[٣]

ولا اثم عليه اذا اظهر ميله الى القبول بالدية حتى يقترب من واتره فيقتله[٤] ، بل قد يقبلها فعلًا ، ويظهر الصفح حتى اذا امكنته فرصـة وثب[٥] . امّا اذا كان الواتر متيقظًا متحفظًا حتى لا يمكن قتله ، فلا بأس على الموتور اذا تغلغـل خلال الجماعة فيصل اليه على حين غفلة ؛ بل لا بأس عليه ، كما يظهر من عـدّة حوادث ، اذا ما التجأ الى الواتر نفسه ، فعاش في جواره الشهور بل السنين طاويًا كشحه على العداوة حتى تمكنه الفرصة . يشهد بذلك قول الاخنس بن شهاب التغلبي :

لعمري ، لقد جاورت في حيّ عامرٍ لأدرك ثـأري منهم ، حججًا خمسا
ابيت ، اذا نـام الخليُّ ، كأنني سليمُ افـاعٍ لا يلاقي لـه أنسا

---

١) مقدّمة ديوان قيس بن الخطيم : ابن هشام : سيرة الرسول ص ٨٦٥-٨٦٦

٢) المفضّليات (Lyall) ٢٠٥ ، البيت ٢٧

٣) البيتان لمن بن أوس في حماسة البحتري ، الرقم ٤٤ : واطلب كذلك الارقام ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣

٤) المفضّل : الفاخر (Storey) ص ٢٢٠-٢٢١ .

٥) ابن هشام : سيرة ص ٧٢٨

ولما رأيت الثار قد حِيل دونه ، مشيتُ لهم قُطوًا ، وكنت لهم حِلْسا
ولاحظت ثأري فيهم لانالـه ؛ متى ما أنَلْه أشْفِ من عامرٍ نفسا (١

وقد فات پيرون ، دون شكّ ، ان ينتبه لهذه الحادثة ولكثير مثلها. والا لما اقدم على كتابة ما كتب من ان «الفروسية كانت مزدهرة ، في بلاد العرب ، بكل جمالها وكل اخلاصها ، قبل بدء تاريخنا ، بعدة قرون ، وانها اخت الفروسية الغربية الكبرى. . .وان الفروسية في الغرب عارض مقلّد . اما في بلاد العرب فهي مبـدأ .»[٢] قلنا: وسواء اكانت الفروسية العربية مبدأ ام لا ، فلا يمنعنا ذلك من التحقق ان الموتور لا يخجل من الالتجاء الى هذه المخاتلة الواضحة الجارّة الى الخيانة والغدر ، واين هذا من مبادئ الفروسية الغربية ؟ بل ان البدوي يفتخر بتلك المخاتلة ، ويوصي بها :

والفَ اخا الضِغن بايناسه لتدرك الفرصة في أُنسه
كالليث لا يعدو على قرنه الا على الامكان من فرسه (٣

وقد ظلت هذه العادة متأصلة في طبيعة البدوي ، على رغم الاسلام ، مدةً طويلة . حتى ان عبد الملك بن مروان ، عندما ظفر بعدوّه عمرو بن سعيد الاشدق ، فقتله ، لم يعدُ في شيء طور اولئك الثائرين قبل الاسلام ، فقال:

أدنيته مني ليسكن نفرُه ، فاصول صولة حازمٍ مستمكنِ
غضباً وحميةً لديني ، انه ليس المسيء سبيله كالمحسنِ (٤

هذا ولا يمكن ان يموت الثأر بمرور الزمن . فان هذه القاعدة الشرعية لا يعرفها البدو . انما يعرفون ويردّدون :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ، وتبقى حزازات الصدور كما هيا

بل انها _ _

كالجمر يكمن حيناً ثم ينتشرُ

وتظلّ حقوق الثأر دائمة يورثها الآباء البنين :

فلن تبيدَ وللآباء ابناء (٥

---

١) حماسة البحتري رقم ٥٤ ٢) Perron, Femm s arabes, p. 76
٣) حماسة البحتري : الرقم ٥٥
٤) حماسة البحتري : الرقم ٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٥ : ٢٢٧ ؛ الطبري ٢ : ٦٩٥
٥) راجع حماسة البحتري : الباب السادس ، الارقام ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١

وهذه حرب البسوس دامت اربعين سنة في سبيل الاخذ بثأر كليب. ثم ان العقلاء سعوا بالصلح ، فتظاهر ولي الثار بالاذعان ، ومشى شاكي السلاح حتى اذا صادف واتره جناساً ، صاح : « لا يترك الرجل قاتل ابيه ، وهو ينظر اليه . » ثم طعنه فقتله ، ولحق بقومه . « فكان آخر قتيل في بكر بن وائل » على قول الاغاني(١) ، لان بقتله أدرك الثار .

ولنا شواهد على هذا الامر في اقوال بعض الوفود التي كانت تفد على محمد . فان منها من كان يؤخر اقراره بالاسلام الى ما بعد الفراغ من حوادث الثار المعلقة . وكان من رجال الوفود من يُظهر ترك تلك العادة الجاهلية فيسرع بقبول الاسلام ، بل يقبل الدية دالّا بذلك انه عدل عن ثأره ، كما فعل مِقيس ، حتى اذا صادف واتره مطمئناً طعنه في ظهره .

ولا غرابة في ذلك فقد قام مِقيس بفرائض الدين القديم . وهكذا فعل عبد الملك بن مروان في الحادثة التي قدّمنا ذكرها ، بعد خمسين سنة من انتشار الدين الجديد . ولم يغفل مقيس ولا عبد الملك ان يفتخرا بعملهما فيذكراه بالشعر ، وهما لا يتوقعان لوماً ولا استغراباً من الرأي العام . والرأي العام ابعد من ان يلومهما . بل هو ، اذا عرض لهذه المسألة ، يقول مـا قالته اخت مِقيس في هجو نُميلة ، نسيبها الذي شاء ان يعاقب اخاها على فعلته الشنعاء وخيانته المزدوجة فصرخت انه « اخزى قومه ! » . ولماذا ؟ لانه جعل حقوق الفرد ، القتيل ، فوق حقوق القبيلة ، قبيلته وقبيلة مقيس القاتل ، وهو امر لا يعرفه العرب! فالمجرم، في نظرهم، ليس مِقيس الخائن الغادر، بل نُميلة لانه «اخزى قومه» .

ولم يلبث هذا الفخر بادراك الثار ، حتى بالغدر والخيانة ، ان حوّر شيئاً فشيئاً نظر العرب الى الدية ، فاصبحوا يعتبرونها حاطّة بمن يقبلها ، ولا يرضون الا الدم بالدم ، ويحتجون جميعاً بلسان ابي أذينة :

أيحلبون دماً منّا ، ونحلبهم رِسْلاً ؟ لقد شرفونا في الورى حَلَبا

مفتخرين بلسان عبد العزى بن مالك الطائي :

اذا مـا طلبنا تَبْلنا عند معشرٍ ، أبينا حلاب الدرّ ، او نشرب الدما

١) الاغاني ٤ : ١٥١

ليعلم اقوام مضامنة وترنا ، وتتبع ذات السلوم من كان ألوما
وعمدًا قتلنا ، بعد ما عرضوا لنا مقاريهم شمتا ، والقنا مزقا (١

وهكذا اصبح قبول الدية ذليل الضعف واللؤم، ومن ثم فهو مادة للهجاء.
قال الاخطل :

لا يثأرون بقتلاهم ، اذا قتلوا ؛ ولا يكرّون يوماً عند احجار (٢

يريد انهم يرضون بالديات

قبول الدية تعدّ على دين العرب ، ومظهر من مظاهر الجبن ، والانانية ، والمنفعة الخاصة . هو مساومة آثمة على الاواصر التي تربط الاسرة ؛ هو بيع الدم بالتمر ، على قول الحريث بن زيد الخيل :

قتلنا بقتلانا من القوم عصبةً كراماً ؛ ولم نأكل بهم حشفَ النخلِ (٣

ولهذا غدا الشعراء من الموتورين ، او الذين يحتسونهم من رجال ونساء ، يصوّرون القتيل يوصي اولياء ثأره بالا يقبلوا الابل بدل الدم :

وارسل عبدالله ، اذ حان يومه ، الى قومه : الا يبلّوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم إفالًا وابكرًا ، واترك في بيتٍ بسعدة مُظلم (٤

...

الا لا تأخذوا لبنًا ؛ ولكن اذيقوا قومكم حدَّ السلاحِ
فان لم تثأروا عمرًا بزيد ، فلا درّت لبون بني رياح (٥

يُقسم المحتضر على شاهدي موته ، بل على انسبائه جميعاً حاضرين كانوا ام غائبين ، بالايمان المغلّظة بان يدركوا ثأره باهراق الدم . فيقبلون ذلك ، فيكون نذرًا عليهم[٦] . كما فعل داود الملك ، وقد شعر بالموت ، فدعا بابنه سليمان ، وكان من جملة ما اوصاه به ان يُنزل العقاب بمن فات المائت عقابه من الواترين قال : « . . . ثم انك تعلم ما صنع بي يوآب بن صروية ، ما صنع برئيسي جيوش اسرائيل أبنير بن نير وعماسا بن يائر حيث قتلهما وسفك دم الحرب في السلم،

١) حماسة البحتري : رقم ١١٢ ٢) ديوان الاخطل (صالحاني) ص ٢٢٦
٣) حماسة ابي تمام ، ص ٢٨٩ ، البيت ٢
٤) حماسة البحتري : الرقم ١١٠ ٥) حماسة البحتري : الرقم ١١١
٦) حماسة ابي تمام ص ٤٤١-٤٤٢

وحمل دم الحرب في منطقته التي على حقويه وفي نعليه اللتين برجليه ؛ فاصنع به بمقتضى حكمتك ، ولا تدع شيبته تنزل الى الجحيم بسلام . . . وعندك شمعي بن جيرا من بني بنيامين من بحوريم ، وهو الذي لعنني لعنة فظيعة يوم انطلقت الى محنائيم ؛ ثم نزل للقائي عند الاردن ، فحلفت له بالرب اني لا اقتلك بالسيف . والآن فلا تبرّئه ، فانك رجل حكيم ، فاعلم كيف تصنع به وانزل شيبته بالدم الى الجحيم . »[١]

وكذلك لم يكن البدو ليفهموا معنى لمرور الزمن ، ولا للعفو ؛ بل لم يكونوا ليتصوّروا امكان ذلك ، لفرط ما وقر في نفوسهم من فروض شريعة الثأر الدينية .

لقد اتهم بنو خزاعة ، قبيل الهجرة ، وهم منافسو القرشيين ، بقتل الوليد سيد بني مخزوم . وكان الوليد قبل ان يفيض بروحه ، قد رفع عنهم تلك التهمة . على انه لم يمنع ابناءه طلب ثأره من خزاعة . ولماذا ؟ لأنه خشي ، اذا لم يطالبوا بثأره ، « ان يُسبّوا به بعد اليوم »[٢] .

وان هذا الحادث يدفعنا الى الكلام عن « الوصية » وفيها ما يؤيد نظريتنا في صفة الثأر الدينية . ولنبدأ بان ننفي كل شبه بين هذه « الوصية » الجاهلية و« الوصية » القرآنية المدونة في الشرع الاسلامي . اما الوصية الجاهلية فقد لاحظ ولهوسن انها « اقرب الى الاوامر والنواهي المطروحة على الورثة منها الى تقسيم الميراث بينهم . »[٣] على ان هذه الملاحظة غير كافية . فلنزد عليها ان غاية الوصية المهمة كانت دينية محضة . كانت ترمي الى نقل نظام العبادة ، من الاب الى اولاده ، كما كان معروفاً ومتبعاً في القبيلة ، محتوية على « العهد الروحي » او مجموع العقائد والعادات يلقيها السلف على خلفائه . وقد كان لكل قبيلة وصيتها الخاصة ، على زعمها ، يحترمها افرادها ويذكرها شعراؤها . على ان ما قام به علماء العصور الاسلامية من اصلاح في الادب الجاهلي القديم ، وما صنعه الرواة

١) سفر الملوك الثالث ٢ : ٥ — ١٠ ٢) ابن هشام : السيرة ص ٢٧٣

٣) Welhausen, *Reste*... p. 191

من الشعر المنحول انسد، لسوء الحظ، قيمة تلك الوثائق القديمة؛ ولم يبق منها الا ما استند الى الحكم والتوصيات المبتذلة[١]. هـذا اذا لم يضع الناحلون قطعاً كاملة في سبيل تشويه تلك الصور التي نسبها الاسلام الى «الجهل». وان يكن النبي يفرض على المسلمين الاهتمام بكتابة «وصيتهم»، وان يكن يدقق في ذلك حتى يجعلها من فروض الوحي الالهي، وهو معنى «كُتب عليكم»[٢]، فذلك دليل على بعد نظر في المشترع الرامي الى تحقيق الامور في مجالها العملي؛ ولكنه دليل كذلك على اهتمام جدي بمحو ذكرى تلك «الوصية» البدوية الجاهلية وما تجرّه من آثار الشرك القديم.

كان افراد القبيلة يجتمعون حول فراش الشيخ الراحل، كما كان بنو اسرائيل يجتمعون حول الجد المحتضر[٣]، ليسمعوا آخر كلماته فيحفظوا «وصيته» قاصدين القيام بكل ما فيها. وكان يهمّ الجدَّ، وهو رئيس قومه وكاهنهم، فضلاً عن تقسيم الميراث، ان يعمل على متابعة العادة التقليدية. فكان يعيّن من خلفائه من يعهد اليهم بحفظ «القبّة»، وهي المظلة المقدّسة؛ وبسدانة «البيت»، وهو هيكل القبيلة؛ وبحراسة الحجر المؤلّه[٤]. فيكون هذا الرجل «الوصيّ» اي الوارث الديني. وقد نرى شيئاً من هذا المعنى القديم للوصية، في معتقد الاماميين من الشيعة، وهم يعتبرون علياً «وصيّ» النبي، لا وارث ثروته وخلافته السياسية فقط، بل صاحب «وصيته» الدينية، او خليفته في عقيدته السرّية. اما الائمة الاثنا عشر عندهم فهم اوصياء «الوصي»، ووارثو علم علي

١) راجع السجستاني: كتاب المعمّرين، ص ١٩!... ومقدمة گولدسيهر عليه، ص ١٩ ايضاً. وقابل بوصية قس بن ساعدة في السيوطي: موضوعات ١: ٦٦. ولا يخفى ان اصحاب تلك الوصايا يظهرون، على الغالب، من المعمّرين، وقد يزعم الرواة انهم عاشوا عدة مئات من السنين. ابن دريد الاشتقاق ص ٢٢١؛ والمفضليات (Thorbecke) ص ٢٥

٢) القرآن ٢ [البقرة]: ١٧٦، وفي لغة القرآن "كتاب" = وحي

٣) راجع سفر التكوين: ٤٨-٤٩؛ والمفضليات (Thorbecke) ص ٢٥، البيت ٧... حاتم الطائي: ديوانه ٩؛ وابن سعد: الطبقات ١: ٨٢

٤) اطلب بحثنا في: *Le culte des bétyles et les processions religieuses chez les Arabes préislamites*, dans *l'Arabie occidentale avant l'Hégire*, p. 135-136

الفائق[1].

واذا رجعنا الى الجاهلية نرى الشواهد المختلفة على مدلول «الوصية» الديني. وهذا الشاعر عباس بن مرداس، يتسلم من ابيه، بفضل الوصية، الحجر المؤلَّه ضَماد او ضمار[2] فيحافظ عليه. ولقد كان الشيخ الراحل يوصي ايضاً بالمحافظة على الجوار، والبرّ بالعهود. وكذلك كانت الوصية تهتمّ بحلّ ما بقي من مشاكل الدم قيد الثأر[3]، كما رأينا في وصية داود الملك لابنه سليمان. وهي «ولاية الاشياخ»[4] لا بدّ من القيام بها. ولهذا كان جميع الحاضرين يُقسمون بقبولها و«ينذرون» بان يقوموا بها. يدفعهم الى ذلك «العزيمة» باسم الله، وخصوصاً خوفهم من التعرّض لدعوة الشيخ الراحل. وهم يعتقدون ان الشيخ، اذا ما حضره الموت، كان «مجاب الدعوة»[5] ولاسيما ما كان منها بالشرّ. وكان القتيل، قبل ان ينزل «بيته»[6] الاخير، يعزم على حاضري نزاعه الا يتركوه، دون ثأر، في بيتٍ مظلم:

وانرك في بيتٍ بسَمنَدةَ مُظلمِ[7]

ومن هذا ما جاء في حماسة ابي تمام عن جُوَيّ المزني، وقد قتله الخزرج بعيداً عن قومه، فرفع رأسه، وهو يجود بنفسه، فقال مخاطباً احد الخزرجيين: «اعطي الله عهداً ليَقتلنّ منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج». فسارت كلمته حتى بلغت مزينة فاخذوا بثأره. وفي ذلك يقول كعب بن زهير، وفيه اشارة الى كل ما تقدّم ذكره من واجب القيام بوصية الميت، ووفاء النذور،

---

١) راجع كتابنا في Fâṭima ... p. 111

٢) لم تُضبط اللفظة ضبطاً صحيحاً؛ راجع: صحيح مسلم ١ : ٢١٩؛ اسد الغابة ٣: ٤١؛ سيرة ابن هشام ص ٨٣٢؛ الاغاني ١٣: ٦٥؛ وقابل بما ورد في Welhausen, Reste, p. 66

٣) سيرة ابن هشام ص ٣٧٢؛ الاغاني ١٩: ١٢٠

٤) ديوان قيس بن الخطيم (Kowalski) ١: ٤-٥

٥) اطلب في ذلك كتابنا Mo'âwia p. 180-181

٦) راجع في معنى بيت = قبر بحثنا Le culte des bétyles, p. 144؛ ديوان لبيد (الخالدي) ص ٧٧، البيت ٢، و٧٨، البيت ٢؛ ديوان حاتم ٣٧: ١٥؛ والمفضّليات ١٩: ٢٢

٧) حماسة ابي تمام ص ١٠٧؛ الاغاني ١٤: ٢٥

وعدم الرضى بالدية :

لقد ولّى أليّته جُويٌ معاشرَ غير مطلولٍ اخوها .
ولو بلغ القتيلَ فعالُ قومٍ لسرّك من سيوفك منتضوها
لثأرك ، والنذور لها وفاء ، اذا بلغ المرابة بالنوها . . .
ذا عتر الظباء بحي كعب ، ولا الحمون قصّر طالبوها . (١

***

اما في ما خصّ خلود النفس ، فلا تتحقق في فكر البدوي الا معلومات غامضة . ولا تراه اهتمّ اهتماماً جديّاً بهذا المشكل . وهؤلاء شعراء الجاهلية ، اذا ما عرضوا لما بعد الموت ، يعبّرون بلهجة عابثة عن فكرة غير مستقرة ولا دائمة الى الاهتمام . فيقول أوس بن حجر :

إنْ اشرب الخمر ، او ارزأ لها ثمناً ، فلا محالة ، يوماً ، انني صاحِ
ولا محالة من قبر بمحنية ، او في مليعٍ كظهر الترس وضّاحِ (٢

ويردّد طرفة :

كريمٌ يروّي نفسه في حياته مخافةَ شربٍ في الممات مصرّدِ
فذرني اروّي هامتي في حياتها ؛ ستعلم ، ان متنا ، صدى أينا الصدي ! (٣

وان يكن البدوي لا يعتقد الاعتقاد الواضح بحياة النفس في عالمٍ آخر[٤] ، فهو لا يرى ان الموت يفصل حالاً بينه وبين جسده . ولهذا نرى انهم يضعون الميت « موسّداً » او « متوسّداً »[٥] في قبره ؛ اي متكئاً رأسه على زنده المبسوط خلف عنقه ، كما كانت عادته ان يستريح في الليل . وهم لا يجعلونه في تابوت ، اذ يعتقدون انه نائم في « بيته المظلم » نوماً اعمق من النوم العادي ولكنه لا يفقده الشعور التام بل يسمح له بشيء من الحسّ الضئيل على مدة ما . ثم يندفعون ، في سبيل معاونة هذا الحسّ الضئيل ، واطالة مدّته ، الى القيام

---

١) حماسة ابي تمام ص ٤٤١–٤٤٣ ٢) ديوان اوس بن حجر ٤:٨–٩

٣) ديوان طرفة (Seligsohn) ١:٦١–٦٤

٤) راجع في ذلك المسعودي : مروج الذهب ٣:٢٠٦ . . .

٥) حماسة ابي تمام ص ٤٣٩ ، السطر ٢٢ ؛ ٤٥٦ ، البيت ٢ ؛ ديوان حاتم ٢٨ ، البيت ٧ ؛ المفضّليات (Lyall) ص ٦٢ ؛ الاصمعيات ٦٣ : ٨ : ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز (طبعة عُبيد) القاهرة ١٩٢٧ ، ص ٤١ الخ . . .

بكثير من مظاهر الجلبة الدالة على الاسى، كالمنادب والمناحات المستطيلة على بضعة ايام، والطواف المزدوج، والهتافات العالية بقولهم: «لا تبعد أ» وصراخ النساء الحادّ كانهنّ يرغبن في تأخير مدة الانفصال التام بين الروح والجسد؛ بينا يقوم الرجال بالمواعيد والايمان المغلّظة بالاسراع في الثأر - هذا من الاهل والاصدقاء. اما الاعداء، فانهم، اذا ما قتلوا العدوّ، يسرعون في فصل نفسه صارخين مردّدين: «ابعد»، وهي اعظم دعوة واهول لعنة تقع على العربي المائت. من ذلك قول حاتم:

وحتى تركت العائدات يعدنه يقلن: «لا تبعد!» وقلت له: «ابعد!»

وكان من تأثير هذا الاعتقاد ان البدو كانوا ينفرون من «المثلة» نفورهم من افظع الشرور، والمُثلة تشويه جثة القتيل بعد قتله. وبتأثير العقيدة نفسها، كانوا ينفرون كذلك من قبول شرعية حدّ السارق الذي سنه القرآن[1]، وهو قطع اليد[2]. اما حرق الجثة فكان من نتيجته، في نظرهم، ان يفصل حالًا بين النفس والجسد[3]. وقد تسرّب هذا الاعتقاد الى التقليد الاسلامي، فمنع «الحديث» حرق المجرمين، لان عذاب النار[4] من خصائص الله وحده[5].

وفي امكان الموتى ان يقبلوا وداع ذويهم، كما انهم يسرّون من تحية

---

١) القرآن ٥ [المائدة] ٤٢

٢) ومن هذا القبيل ما ينصح به بعض اتقياء المسلمين من عدم اجراء العمليات الجراحية، لانه ليس من اللائق، في نظرهم، ان يتقدم الانسان، يوم القيامة، وهو اقطع او اعرج . . .

٣) A. Mez, *Die Renaissance des Islâms*, Heidelberg, 1922, p. 350

٤) راجع كتابنا "Yazid I", p. 475؛ الذهبي: ميزان ٢: ٢٦٧؛ اسد الغابة ٥: ٥٢؛ الجاحظ: الحيوان ٥: ٢٢ وقابل ٤: ١٤٩؛ النسائي: السُنن ٢: ١٧٠؛ سيرة ابن هشام ٤٦٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق (بدران) ٥: ١٠٢

٥) على ان هناك بعض كبار المجرمين والزنادقة أُنزل بهم عقاب النار من امثال بابك الذي قُطعت اعضاؤه حيًا ثم أُحرق بالنفط، اطلب التنوخي: جامع التواريخ (Margoliouth) ص ٧٥؛ والحلاّج، اطلب Massignon, *Al-Hallaj, martyr mystique de l'Islam*, I, Paris, 1922 p. 304, 312 ; A. Mez, *op. cit.* p. 209 ; وياقوت: ارشاد الاريب (Margoliouth) ١: ٢٦٧، ٣٠٧

المازين[1] . وتظل نفوسهم عطشى في قبورها يرويها الخمر ، اذا كان اربابها من السكارى ، او الدم اذا كانوا قد قتلوا ، ولم يؤخذ بثأرهم بعد . وعلى هذا يدور الكثير من الشعر الجاهلي في ظمأ «الهامة» و«الصدى» كقول طرفة المتقدم ، وقول حاتم :

اماويّ ، اما متّ ، فاسمي بنطفة من الخمر ريّا ، فانضحنّ على قبري (٢

وما يروى عن الاعشى من ان الفتيان ، كانوا اذا جلسوا للشرب على قبره ، اعتبروه واحدًا منهم فاهرقوا الكأس على تراب القبر ، اذا وصل اليه الدور[3] .

اما في «الهامة» العطشى للدم فنعرف الكثير من الشعر كقول ذي الاصبع :

يا عمرو ، ان لا تدع شتمي ومنقصتي اضربك ، حيث تقول الهامة : اسقوني ! (٤

ولا يطفئ هذا العطش الا دم الواتر . اما اذا مات الرجل حتف انفه فيُستسقى الغمام على قبره . واذا مرّ المسافر بالقبر وقف فحيّاه ، او وضع عليه اغصانًا خضراء ، او ازهارًا طيّبة الرائحة ، وان لم يكن لديه شيء من هذا وضع حجرًا[5] . ثم ان اهل الميت يزورون القبر من آن الى آن ، وقد ينصبون الى جواره مضربًا[6] يقيمون فيه دفعًا لضجر العزلة عن صاحبه . من هذا ما اوصى به عمرو بن العاص ، فاتح مصر ، عندما اتته ساعته ، فالتفت الى ذويه وقال : « اقعدوا عند قبري . . . استأنس بكم . »[7]

وبناء على ما تقدم فاننا نفهم اي ذعر كان يستحوذ على البدوي اذا ما

---

١) حماسة ابي تمام ص ٤٠٩، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٨١ ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ١٠١

٢) ديوان حاتم ٤٦ : ٧ ٣) الاغاني ٨ : ٨٦

٤) المفضليات (Thorbecke) ص ٣٢

٥) ديوان اوس بن حجر (Geyer) ٣٢ : ١٦-١٧ ، ٣٣ : ٥ ؛ ديوان لبيد (الخالدي) ص ٧٩ ، ديوان النابغة (Derenbourg) ٢٤ : ٢٦-٢٧

٦) الاغاني ١١ : ١٤٤ ؛ ١٠ : ١٣١ ؛ ١٩ : ١٠٨ ؛ الطبري ٢ : ١١٠٧ ؛ ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٦٣ ؛ البلاذري (Ahlwardt) ص ٤٠ ؛ ديوان حاتم ٣٨ : ٤

٧) ابن عبد ربه : العقد ٢ : ٤ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٦٠

فكر بالموت بعيدًا عن قومه[١]، فهو يصرخ طالباً بان لا يترك في «بيت مظلم» في محل قصيّ»، حتى وان كان من مشهوري الابطال كزيد الخيل، او من دهاة الصعاليك كمالك بن الريب؛ وذلك خوفاً من ان لا يجدوا:

سوى السيف والرمح الرديني باكيا!

وهو بكاء، وان كان مادّة للفخر الشعري، لا يكفي لتعزية الميت وايناسه في وحدته المظلمة!

للشنفرى ان يقول، بتجرّده المعهود عن اهله:

اذا ما اتتني ميتتي لم أبالها، ولم تذر خالاتي الدموع وعمّتي[٢]

وهو لا يهتم بان يبكي عليه اهله لانه لم يعتد حياة القبيلة، بل عاش عمره متشرّدًا يفضّل الذئاب والضباع على قومه. ثم هناك سبب آخر. هو ان من واجبات النساء: العمّات والخالات، وسائر ذوات القربى، ان ينحن على الميت نواحاً مستطيلًا كي يذكرن اولياء الثأر بواجبهم، ويدفعنهم الى القيام بهذا الواجب. اما الشنفرى فلم يكن بحاجة الى هذا، لانه كان قد سبق فاثأر لنفسه الى ما وراء الحد[٣]. فلم يخف ما يخافه غيره من الموت في الغربة، فالحرمان من الانتقام الذي يُطفئ ظمأ النفس العطشى، ويوسع القبر المظلم[٤].

***

هذا ما رأيناه جديرًا بالنظر في ما خصّ صفة الثأر الدينية. وسنفرد بحثاً آخر لما كان يقوم به نساء العرب خاصة في تحريض اولياء الثأر على القيام بواجبهم؛ ولما كان يتناقله الشعراء من تلك المواقف.

١) حماسة ابي تمام ص٢٩٥؛ ٤٠٨. —ولم يكن العرب يثأرون للخليع. ومن ثمّ فقد كانوا يخشون هذا الحرم الذي يتبعهم حتى ما بعد الموت.

٢) المفضليات (Thorbecke) ص٢٥، البيت ٣

٣) المفضليات (Lyall) ص٢٠٦

٤) راجع Noeldeke, *Fünf Mo'allaqât*, I, 64؛ حماسة ابي تمام، ص٢٩٥؛ الاغاني ١٠: ١٢٨

في الشعر

خواطر ونماذج

بقلم سعيد عقل

للشاعر سعيد عقل آراء طريفة في الشعر قد تبدو غريبة في نظر كثيرين من شعرائنا وادبائنا . وذاك ان سعيد عقل حاول ان يستخلصها ، لا من درس تحديدات الشعر العروضية والبيانية او تقسيمات الشعراء الى طبقات وفئات ، بل من ملاحظة حياته شاعراً : كيف يحسّ ، وكيف يجسّم هذا الاحساس : كيف يرى ويسمو ، وكيف يعلم الناس – او يحاول ان يعلمهم – على ما يرى ويسمو : مستندا ، فوق ذلك ، الى ما قام به شعراء الغرب المخلصون من وصف « حالاتهم الشعرية » . فكان من كل ذلك هذا المقال محتوياً على قسمين : خواطر نظرية في الشعر ، ونماذج من مختلف انواعه تدلّ على ان الشاعر لم يكتفِ بالنظريات ...

خواطر

شغل تحديدُ الشعر جمهور المشتغلين بالادب ، في كل زمن ، ولا غرابة في ذلك،فالناس قبل الطريقة العلمية الحديثة ، اكثر ما كان يعوزهم «التحديدات» . فكم من محدّث في « الجمال » بليغ ، او في « الفنّ » ، كان يتوقف حياءً عند اعتراض مستفهم يقول له : ولكن ما هو « الجمال » ؟ وما هو « الفنّ » ؟

سأحاول ان احدّد الشعر اذن.

ولكن الطريقة التي اتبعها لن تكون نظرية من مثل التي يلجأ اليها غير المشتغلين بالشعر ، وصناعة الشعر – واردد لفظة «صناعة» – فهؤلاء ينظرون في المأثورات الشعرية ويرون تحديد الشعر في ما يتوهمون أن الشاعر قام بـه .

ولكن هل يدركون ، يا ترى ، جميع ما قام به هذا الشاعر ؟ ذلك ما يظلّ في ذمّة الناقد واخطاء النقد ؟

قال بودلير :

« كثيرًا ما فكرت كم يكون مفيدًا قول لشاعر يريد به ، بل يقدر ان يخبرنا خطوة فخطوة ، عن الطريق المتابعة التي سلكها في نظمه حتى وصل الى التعبير النهائي ، في اتمام القصيدة »

ويسمّي « بودلير » ذلك : « سفر تكوين القصيدة »

هي طريقة لم اجد انفع منها للوصول الى أمرين : تحديد الشعر ، ومساعدة خلق الشعراء .

انا اعيد بلاغ « گوته » ، شاعر المانية ، الى امر واحد : وتوقفه على يد الرسامين الذين كانوا يقومون امامه بوضع صورهم . واني اعرف واحدًا امسى شاعرًا فصيح الاداء ، لا ماهرًا في استلام الوحي وجعله خافقًا في اسود على ابيض ، من جراء وقوفه على يد شاعر ينظم ، فكان هذا يريه كيف يأتيه الفكر ، فيمحوه او يبقي عليه ، وينقد له من حين الى حين ، سبب الابقاء او الشطب ، وسبب استبدال فكر بفكر او اداء باداء .

الخلاصة : تعوزنا « التحديدات » ومنها تحديد الشعر ، ويعوزنا في هذا التحديد ان يكون من واحد اشتغل بالشعر ، فيصور لنا ما يحس انه يقوم به ساعة النظم ، لا ان يكون ممن يتوهم انه يدرك ما قام به غيرُه .

يقوم الشعر على عمادين :

التحسيسات النفسية التي تغمر الشاعر امام منظر ، او مرور خاطر .

واخراج هذه التحسيسات الى الناس .

التحسيسات النفسية لا اعمل فيها بحثًا طويلًا ، وكلنا يعرفها . كلنا انسان ، لكنني اشير الى ان هنالك فرقًا من حيث قوتها بين الشاعر والرجل العادي ، ومن حيث نوعها بين صاحب الذوق ومعدمه .

هي أقوى عند الشاعر . وهذا امر بديهي . واقصد بالشاعر هنا الرجل الحساس لا غير ، فقد يكون غير مشتغل بصناعة الشعر .

وهي متنوعة عند صاحب الذوق ومعدمه، لان التحسيسات منجم فيه المرمر ممزوجاً بالحجر الدون، وبمقدار ما عند الرجل من ذوق يقاس اتجاهه الى المرمر دون غيره.

امنا اخراج التحسيسات، عماد الشعر الثاني، فسأسهب في بحثه. فالامر ادق مما يتوهمون.

ما هو الاخراج ؟

هو ان يحاول الشاعر بواسطة الفاظ وضعية ان يحمل الناس، اكثر ما يمكن، مغمورين بحالته.

لا تفاوت بين مكانات الفنون من حيث التحسيسات. الكنها تتفاوت من حيث الاخراج.

ذهبت الى ان الموسيقي لا يفضل المصوّر من حيث انه موسيقي وذاك مصور. وإذا كان من فرق فيعود الى موهبة الشخصين.

اما في الاخراج فيظهر ان الطبيعة لم تكن مساوية بين الفنانين.

لقد حبت الواحد اكثر من الآخر: حبت الموسيقي في الدرجة الاولى، ثم المصور، ثم هذا المسكين الذي دعوه «الشاعر»

منجم الشعر مثلث: الطبيعة، والنفس البشرية، والفكر البشري. لكن احساساتنا دونها شيء مبهم مغلف كالقبر، فاي الادوات في يدنا نخرج بها هذا المبهم ؟ ونضع الناس في حالاتنا المبهمات ؟

في يد الموسيقي الحان، وليس اكثر ابهاماً من اللحن، فالموسيقي اذن منعم عليه، لديه مبهم يخرج به مبهماً.

وفي يد المصور الوان وخطوط، ومن يفهم اللون ؟ او يحدده الا بالمقارنة، فلدى المصور ادوات مبهمات يخرج بها المبهمات.

اما الشاعر المسكين فما تراه يعمل وقد أعطي لاخراج احساساته — المبهمات — الفاظاً وضعية قدّسها الاستعمال، وعيّدها على اسم هذا الشيء، وتلك الفكرة. فالشاعر والحالة هذه، من حيث الاداة، اقل الفنانين الثلاثة حظاً.

فأمسى عليه ان يكون دوره لمرج الادوار.

قلت مهمّة الشاعر — او الفنان عامة — ان يحـاول جعل الناس ، اكثر ما يمكن ، مغمورين بحالته. ولم اقل : مهمته ان يُفهم الناس حالته.

مهمّته ان يجعل الناس يشعرون معه ، لا ان يدركوا ما يقول ؛ ان يعملوا معه لا ان يتفرجوا على عمله فاهمين ؛ ان يندمجوا به ، لا ان يقولوا له عن بعد : دخلنا الى سرك . فان تمكن من الاولى كان شاعراً ، او تمكن من الثانية كان ناثراً ، وان لم يتمكن لا من هذه ولا من تلك كان لا شيء .

سندرس هذه الحالات في المقابلة بين الشعر والنثر.

يقول ڤاليري الشاعر : الفرق بين الشعر والنثر كالفرق بين المشي والرقص.

غاية الماشي ان يصل الى نقطة معينة ، فان فعل نسي الطريق ، وعطفات الطريق . نسي الواسطة عند الغاية.

وهكذا الناثر . ان غايتي الآن ان يستحيل منثوري الى معنى في افهام القرّاء . فان وصلت الى ذلك ، نسيتُ ونسوا الالفاظ التي استعملتها . وما يهمهم من الواسطة وهم في صميم الغاية . وهل يستعيد قراءة الصفحة الا من لم يفهم ؟ ويقدر الواحد منا ان يعيد على الأسماع فصلاً لابن المقفع دون ان يستعمل تعبيراً واحداً لكاتبه .

اما الراقص فغير ذلك ، ان الواسطة عنده لتندمج بالغاية ، ولا يقدر احد ان يستعيد العواطف التي اظهرها له الراقص الا اذا استعاد الخطوات نفسها والحركات نفسها التي قام بها الراقص . الرقص امتزاج الغاية بالواسطة . وهكذا الشعر . فما هو بالمعنى ولا هو بالمبنى — ولقد بدأوا اليوم يقلعون عن هذا التفريق — الشعر هو هذا الشيء الذي لا ينفكّ يتهادى بين المعنى والمبنى ؛ ما هو بالانا. ولا ما في الانا. ، هو هذا العشق الذي بين الاثنين متحدَين.

وذهبت في الشرح الى ابعد من ڤاليري ، قلت : الفرق بين الشعر والنثر كالفرق بين الموسيقى المتعددة الاصوات (polyphonie) والموسيقى الفردية الصوت (monophonie).

الموسيقى المتعددة هي ان تقوم عـدة ادوات او عدة اوتار ، في الوقت

نفسه ، بنغمات مختلفة والفردية هي ان تتفق الادوات وتجمع كلها على النغم الواحد.

وما احساس السامع من الفردية ، وما احساسه من المتعددة؟

كل بوسعه ان يتحسس الفردية ، ومن لا تهزه الوتيرة الواحدة (mélodie) ؟ فهذه الموسيقى أداء الشعوب الأول أو المتأخرة ، وهي مهدهدة لذيذة ، لكن لذتها بالنسبة للمتعددة لعلى ضآلة بالغة.

اما هذه فصعبة التحسس . على المرء ليتحسسها ، ان يكون في قرارة نفسه استعداد موسيقي ، او ان يكون على تهذيب فني . واما اذا قدر له ان يتحسسها فيجد اي لذة ، واي فرق بينها وبين الفردية ! وهذه الموسيقى من خصائص الغربيين ، من خصائص البلدان المتقدمة في المدنية ، ولا عهد للشرق بها

وسنرى في استطراد درسها سبب افضليتها على الفردية ، وسبب اللذة البالغة التي تبعثها ، وسبب عبقريتها في اظهار العواطف.

ان العين اسهل درساً من الاذن . ولنفهم هذه عن طريق تلك :

اذا وقفنا امام منظر ، ارتسمت في العين كل الاشياء التي تؤلف هذا المنظر . لكن شيئاً واحداً يقع على ما يسمونه « النقطة الصفراء » ، شيئاً واحداً تتجمع لرؤيته اكثر قوى النظر . وهذا هو وحده الشيء « المرئي » بين بقية الاشياء « المنظورة » . وثمة فرق كبير بين « النظر » و« الرؤية » . نحن « ننظر » بالوقت نفسه الى الف شيء . ولكننا لا نقدر ان « نرى » الا نقطة واحدة معيّنة .

هذه النقطة هي التي نعيها ، اما الاشياء الباقية ، فنشعر بوجودها دون ان نراها .

النقطة المرئية تخاطب فهمنا . أما الاشياء المنظورة فتخاطب احساساتنا .

وهكذا الاذن ، وقوانينها تعرف ايضاً فرقاً كبيراً بين « الاصغاء » و« السمع » .

نحن لا نقدر ان « نصغي » الا الى لحن واحد ، فنفكر به ، واما البقية « فنسمعها » ونحلمها .

لحن واحد يخاطب فهمنا والبقية تهدهدنا فتلذنا . لحن واحد يخاطب بجلائه

عقلنا المميّز، اما بقية الاصوات التي تُقدَر لها ان تظل في حقل السمع فانها تعمل، بروعة الخفايا والاسرار، على ايقاظ احساساتنا.

نحن نصغي الى الجليل، (le sublime). اما ما نسمعه فعجيب، وفوق الطبيعة، انه الحلم او كالحلم.

ومن هنا نرى الفرق بين الموسيقى الفردية، والموسيقى المتعددة، في الاولى صوت واحد يستدعي اجمالاً التفكير ليس الا.

اما في الثانية، فعدا هذا الصوت البارز، اصوات اخر توقظ الاحساس وتغمرنا بضباب عجيب.

والنثر من الشعر كذلك:

الاول معنى لا غير، واما الثاني فمعنى مغمور بضباب عجيب يُهيئ لك الجوّ، حتى اذا جاء المعنى تبتك فيه.

نقول في النثر مثلاً:

نحن الشعراء، تنفع الناس، ولكنهم ينكرون الجميل.

ونقول في الشعر:

ونحن اولي الشعر نحمي هناءً على الناس، والناس لا تَشكُرُ،
حملنا الربيع على الراحتين، وماج بأنفاسنا العنبرُ.

ان هذين البيتين قد شملا معنى النثر نفسه؛ لكنهما، فوق ذلك، اطلعاه من جوّ الحلم.

ان الشعر كالموسيقى المتعددة الاصوات، حوى الصوت البارز « نصغي اليه» وهدهد حوله بقية الاصوات « نسمعها ».

والآن ايكون بوسعنا ان نرى مثل ذلك في هذا البيت؟

اذا انت اكرمت الكريم ملكته، وان انت اكرمت اللئيم تمردا

لا، وان هذا — على حكمته الجليلة — ليس من الشعر في شيء..هو معنى، هو فردي الصوت، لا ضباب، لا تعدد اصوات حول معناه، يخاطب العقل، ولا يوقظ الاحساسات.

يقول الناثر :

انت جميلة حزينة ،
وانت لطيفة توحين براعاتك.
أنت جميلة حزينة.
أسكتُ أمامك متبرّ ا :

ويقول الشاعر :

أرى في جمالك شيئاً كئيباً جثم على شاطىء قانع
تجنّبه النسمات ، وتحت اثناسها خفقة الفازع
جمال توشّح بالبسمات الكئاب وبالنغم الفاجع
الاقيه في وجهة المتقي واخنق صوتي عن السامع
فلا يخدش البوح من فكره ومن هدأة الحلم الشائع

يقول الناثر :

في وجهك سمات الحزن.
ولا اريد ان آتي امامك على ذكر الفرح . فقد تتأثرين.

ويقول الشاعر :

وفي ثغرك الرطب لحنٌ يتيم ينوح على وتر هاجع
وفيه احتضار الشتاء الاخير جريحاً على الاخضر الطالع
فذكر الربيع على سمعه حرام، وذكر الهوى الراجع

واجمالاً اقول :

الفرق بين الشعر والنثر ، من حيث الاخراج ، كالفرق بين الموسيقى المتعددة الاصوات والموسيقى الفردية الصوت.

الفرديةُ صوتٌ ، والنثر معنى . المتعددة صوت نافر بين جوٍّ من الاصوات مليءٍ بالاسرار الحيّة التي تخاطب الاحساس.

والشعر معنًى يتهادى بين الاسرار الخفرة ، هو وقت محدود تعطيه الاسرار مسحة الدوام ، هو لذة وقتية تخلع عليها الخفايا كل ما يأمل الانسان من ملذات دائمة .

***

وبعد هذه المقدمات ، صار بوسعنا ان نفهم قول مدام ده ستال وهي من اكبر باعثي الرومنتيسم في فرنسة او باعثي الشعر الحق ، قالت :

« اذا حركت النفس عاطفة قوية ، لجأ الناس الماديون انفسهم الى الصور والاستعارات ، لجأوا الى الطبيعة الخارجية للتعبير عما يجري في داخلهم مما لا يعبر عنه »

وتقول ده ستال في موضع آخر :

« ان جمال الانشاء ليس ميزة خارجية تماماً ، لان الاحساسات الحق توحي دائماً التعابير الاكثر رفعة ، والاكثر موافقة ... وان المبنى ، في عالم الفنون الجميلة ، يحص النفس مثلما يحص الموضوع عينه »

***

اخيراً ، ان هذه المقابلة بين الشعر والنثر قد ارسلت لنا نوراً على العمل الذي يقوم به الشاعر لاخراج تحاسيسه الى الناس .

بقي ان نتفهم بعض الحواشي في عالم الاخراج .

سأعرض الآن بين نماذج الشعر ابياتاً يظن لاول وهلة انها معنى فقط ، انما شيء من الموسيقى الفردية ، من بيت المتنبي الذي تقدم ذكره ، فما السبب ؟

لقد كشت القراء في الكلام على الموسيقى ان لا موسيقى متعددة الاصوات بكل معنى الكلمة .

فالقطعة من الموسيقى المتعددة تتقطع من حين الى حين بموسيقى فردية .

ذلك لان البشر ، كما المت ، ضعيفون ازاء هذه الموسيقى .

ثم قليل من الناس من بوسعه ان يحس من الموسيقى المتعددة قطعة ذات لحنين ، واقل منهم من يحس ذات الثلاثة ، ولا يحس ذات الاربعة الا الموسيقيون .

وليس بالسهل ان يتابع الواحد مسير لحن بين عدة . فكيف به يتابع اثنين وثلاثة ؟ فيعمد الموسيقيون من حين الى حين الى تقطيعها بالموسيقى الفردية .

وهكذا في الشعر ، فلو ظل الشاعر يقدم المعنى من خلال الاجواء لاتعب سامعه ، لهذا يعمد من حين الى حين الى ارسال المعنى عارياً .

ولعلّ ذلك من الجنات الشعرية ، اذ نحس، عند هذا التنزل من الشاعر او الموسيقي ، « ان الفكرة السائدة قد خرجت من الضباب كالشمس فنشكرها زيادة على صفائها وجلائها ، بعد ان كنا نستشعر الخوف من التيه »، مع ارتفاعات الشاعر .

ومن هنا ايضاً نرى السبب في اشكال بعض القصائد على فئة وسهولتها على فئة اخرى .

فاذا قرأ الواحد منا ابياتاً لم يفهمها ورأى ان شاعراً موهوباً يمتدحها ، فلا ينسب ذلك الا الى ضعفه هو . فقد تكون القصيدة من نوع الموسيقى المثلثة الاصوات ويكون هو ممن ليس بوسعهم ان يتحسسوا غير المزدوجة ، وقد تكون مزدوجة وهو لا يقدر ان يتحسس سوى الفردية .

وان هذه لكالنثر ، او كالشعر المتداول وهو الذي يفوق النثر بالقافية والوزن . فلنتفق اننا على تحسس الشعر ، وليكن المحك غير الشعر المتداول . ولا يظن من يفهم الشعر المتداول أنه صار على شيء من التهذيب الفني الذي يستدعيه تحسس الشعر .

والشعر — على قول بعض النقاد — لغة الخاصة ، وهذه لم تتوفر الا في اليونان القدم ، وفي القرن السابع عشر في فرنسة .

***

واجمل حديثي بالقول :

أرى الشعر ، اولاً : تحيات نفسية من شخص ارفع طبقة في الاحساس من الناس .

ثانياً : مجيء هذه التحيات بقالب يجمل الناس ، اكثر ما يكن ، مفتونين بحالة الحساس .

ولا يتمكن الشاعر من غمرهم بحالته الا بمخاطبة العقول والاحساس معاً ، فهو يعرف ان لا يقدم معنى للعقل الا اذا جاء من جو مليء بالاسرار والخفايا التي تخاطب الاحساس .

٢

نماذج

قصائد ومقطعات للشاعر نفسه (١

المبعج

مقطعان من قصيدة « المجدلية » المنظومة في السنة ١٩٣٢

كان ، في ذلك الزمان ، على تلٍ صغيرٍ مخضوضر الجنباتِ ،
شاعرٌ ، جنّح السنى شفتيه ، ينثر الزهر في ندى الكلماتِ ،
قام بين الامواج : من نظر الناس ، ومن مسمع الذرى الواجماتِ ،
ينثر الآي في الانام ، ويرمي للخلود الحادي ، جمالَ صداه ؛
تمتماتٌ حيناً تقول : يسوعُ ! هيناتٌ آناً تعيد : الله !

. . .

عند شاطي الاردنّ بين الخميلات ، تلاقى يسوع والمجدليّهْ .
رمقته يذرذر الشّعرَ فجرًا ، ويردّ الأبرادَ وَهجَ عشيّهْ ؛
تتّكي رحمةُ العلى بين جفنيه ، اتكاءَ السنى بحضن البريّهْ ؛
ويجول السلام في شفتيه حلماً اخضرًا ، وافقاً بليلا ؛
يلتوي ، نقلةَ الطفالى ، نخيلا ، ينثني ، مشيةَ الملوك ، جليلا ؛
الرياحين في يديه نُسدّت ، وارتمت ، حول كفّه ، إكليلا ،
سربلته اشذاؤها ، سربلته سحبُ النور ، سربلته الهيولى .

ليلة قمراء

مقطع من القصيدة نفسها في وصف ليلة قمراء اكتنفتها السكينة

سلسل البدرُ نورَه ، مخضلاً ؛ بين تلك الخمائل الحالماتِ ،

---

١) حقوق النقل محفوظة .

وتقضي الظلامُ ، إلّا هزيماً يتهادى كواكباً راقصاتٍ ،
هيناتُ النسيمِ ، رقرقة الاضواء ، مسفوحةٌ على الكائناتِ ؛
في صفاء السماء والارض طَرْفٌ باسط الجفن للرؤى العلويَّهْ
في وجوم السماء والارض ارهافٌ لنجوى المسيح والمجدليّـهْ .

سكوت

ابيات في وصف عاطفة ناعمة

أحبك في ذلَّة الراكعِ ، وأحيا على أملٍ وادعٍ ؛
وأعرف ألّا ابوح بجَبِّي ، فابقَي له مسحة الخاشعِ .
أرى في جمالك شيئاً كئيباً يهيم على شاطئٍ قابعٍ ؛
تَجنَّبه النسماتُ ، وتخفت انفاسُها خفتةَ الفازعِ ؛
جمالٌ ـ توشّح بالبسمات الشكالى ، وبالنغم الفاجعِ ،
ألاقيه في وجنة المُتّقي واخنق صوتي عن السامعِ ،
فلا يخدشُ البَوْحُ من فكره ، ومن هدأةِ الحُلْمِ الشائعِ .

. . .

أحبك ، منكسرَ الطرفِ ، خوفَ انفلاتك من نظرٍ طامعٍ ؛
وأمسح من عبرتي ، في الخفاء ، فلا تقمين على دامعٍ .
وفي تترك الوطب لحنٌ يتيمٌ ينوح على وترٍ هاجعٍ ،
وفيه احتضار الشتاء الاخير ، جريحاً على الاخضر الطالعِ ،
فذكر الربيع ، على سمعه ، حرامٌ ، وذكر الهوى الراجعِ .

. . .

حنانك ! لا تسأليني مدى سكوتي الى قربك الشافعِ ؛
وقربك لي معبدٌ مُترعٌ اللذائذ ، في صمته الجامعِ ،
أمرّغُ في ارضه عزّتي ، وأمضي ، على لذّة القانعِ .

٢٨ تشرين الاول ١٩٣٦

وصف معركة

مقطع من رواية « بنت يفتاح » التمثيلية ، وهي التي نالت جائزة « الجامعة الادبية » في بيروت لسنة ١٩٣٠ ؛ يصف فيه يفتاح لابنته راحيل ، نتيجة المعركة بين اسرائيل وبني عمون ، وقد خشيت الابنة ان تكون النتيجة انكسار قومها ، فاجابها يفتاح :

... لا ، وراحيلَ ، فيفتاح في انتصارٍ فردٍ :
سفح العزَّ دوننا ، وكسانا بُردَ مجدٍ رَحْبٍ على بُردِ مجدِ ،
فجر نصرٍ يحيا على الاعصر الغُرّ وتشدو جلالَه البيداءُ ،
عاد يفتاح بالغنائم والاسرى تضيقُ الربى بهم ، والفضاء .
ضرب الضربة السخيّةَ في عمون ، فانهدَّ عزّها بجُملته ،
حصد الهام ، فالسهول تجلّلن بهامٍ وَقَفٍ على اقدامه .
لقي الجيش في «عروعير» ، صبحاً ، يتزل الرعبَ دفقُهُ ، والظلاما ،
تتزّى المئاتُ عن جانبيه ، فتخال التهديدَ منه حِماما .
لا انتهاءَ له ، ولا وهن يُضرب منه ، فتبدأ الهيجاء .
وتلوّت رجالُنا ، مَضَضَ الحيران لاقته فجأةٌ نجلاء ؛
لم يطقها يفتاحُ وقفةَ جبنٍ ، فعلا صوتُه يصمّ الرياحا ،
امر القومَ بالهجوم ، وبالموت ، فأدمى السنى ، وادمى الصباحا .
كم نفوسٍ تناثرت والعوالي ، وجسومٍ تعانقت والمواضي ؛
خطبة السيف خطبةُ الحقّ ، فالكاسي ثيابَ الدماء كاسي البياض
صخبُ الحاملين ملء الصحاري ، ونزاع الفرسان ملء البرايا ،
والتلال الدكناء من جثث الابطال ، والافق من لهاث الضحايا .
يتهادى يفتاح في مطلع الجيش ، على عزّة الابيّ الظافر ،
قيل : مستقتلٌ ؛ وقيل : شجاعٌ عشقته ، فهادنته البواتر .
يتحاشى عن الجبان ، ويجري عارضاً صدره على المقدام ،
فاذا يلتقيه في فجأة الطالب ، يرمي بنفسه للحسام .
وتردّى النهار بالدم ، فانزاح وابدى المساء قبل المساء ،
ورأى الناسُ عزمَهم متقل الخطو ، كسولاً الى لقاء القضاء ،

فتنادى عصف المنيّةِ فيهم ، وتهادت منه الربى والسهولُ ،
فاذا فجعةُ الحراب فناءٌ يتلوّى على المدى ويميلُ .
واذا دفقةٌ من البدر تجلو أكماتِ الاحياء والاموات ،
عرف الناس ايَّ شطرٍ اصابوا ، فاذا السيف في ظهور العداة .
وسرى الفتح من «عروعير» يغني حدّ«منيت» و«القرى المشرفينا»
وعلى رقصة السنى والاغاني ، داس يفتاح في بني عمونا .

٤ ايار ١٩٣٦

المغني

قطعة في وصف الالحان الجليلة ، فالمفرحة ، فالباكية

يا نَجيّي ، ونجيَّ الزُهر اترابي الجِوارِ ،
غنّني أشهى من النغرِ على صدرِ مُـدارِ ،
نغمةً فيها من الرهبة في ظلّ المزارِ ،
ومن الاسرار ، والتيه ، باحضان الصحاري .

. . .

شتّى آفاقاً من الالحان ، ملأى بالجواري ،
راقصاتٍ في التعالي ، غافياتٍ في القرارِ ،
يرتدينَ الحُلمَ من بُردٍ ، ومن جرّ إزارِ .
وانثرِ الآهـاتِ أشلاءَ لآمالٍ صغارِ ،
خضّبتها وحشةُ القبر ، وذيّالك الجِوارِ ؛
فاذا يرشُفُك الأفقُ ، وتحـرك الدراري ،
اجـد الدنيا من الآه على نورٍ مُعارِ !

. . .

غنّني شتّى الاماني : من كواسٍ ، وعوارِ ،
من طلوع الفجر ، أنشدني ، ومن نزع النهارِ !

١٢ تموز ١٩٣٦

الشاطئ

ذكريات يثيرها تواثب الموج على الشاطئ اللبناني

تَرودُ على الشاطئِ الحالمِ عرائسُ في برقعٍ ناعمِ ،
يرنّح أجنحتَهنَّ المديرُ ، فيغرقنَ في خاطرِ الواهمِ .
على زرقةِ الموج ، اطلالُهنَّ ضواحكُ للافقِ الباسمِ ،
تكاد بهنَّ تُطلّ اساطيرُ لبنان ، في الزمنِ الواجمِ .
يقولون : ضلّ الهُ قديمٌ بجوٍ عليلِ السنى ، غائمِ ؟
فكان ، ولا بدّ ، ذات مساء ، على صخر شاطئنا الجاثمِ ،
توقّفَ عن جريه ، في صلاةٍ ، وسبّح في ذلّة النادمِ ؟
فهشّت جوانبُ لبنانَ تحنو على المؤمن الاولِ القادمِ ،
وظلّ صدى الحجِّ ملء العصور ، يهبّ بشاطئنا الحالمِ :
خشوعٌ ، وروعةُ قِدمٍ سحيقٍ ، ومعزوفةٌ من فتًى هائمِ ؟
تخال الزمان عليّ لقاها ، ولم يصحُ من سكرهِ الدائمِ .

تباركتَ ، يا موج ، زفّ المدير ، طروباً ، الى الزورقِ النائمِ ،
فتوقظ للزهو بجذافه النخيلَ ، وللعرس القائمِ ،
ويفنى الشعورُ بحسنٍ ، ولا يظلّ سوى الزورق العائمِ .
اراه جرى في المياه ، عليلَ الجوانب ، مرتقص القادمِ ،
يذوب الحفيف على مَرّهِ ، اغانيَّ موجعة الناظمِ ،
فينعج ملء المساء ، ويسفح حلماً على الابدِ القاتمِ .

توشّح شاطئ لبنانَ بالوهم ، وانزاح عن قدرة الفاهم :
رمالٌ ، على وحشةٍ حلوةٍ ، تموت على الازرق الناقمِ ،
وجُهمٌ من الصخر ، مسحورةٌ ، تلفّتُ بالنظر الناهم ،
ومثل انتفاض من الكون عذبٍ ، يُطلّ من العدم الراحم .
تُرى شطُّ لبنان ، وجاضحوكاً ، كوجهي ، تجهّم للظالم !

١٦ اذار ١٩٣٥

مواسم الحجاز

وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي *

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

كانت هناك مواسم في الحجاز سهّلت على شباب ذلك العصر سبل اللهو، وساعدتهم على الالتقاء بالمرأة، والتقرب اليها والتعرض لها، سواء أكانت حرة او أمة، شريفة او وضيعة. وقد نال المرأة بسبب هذه المواسم حظ من الحياة مع غير زوجها او ابيها او اخيها او قريبها، فتعرفت الى الشاب واجتمعت به، وحادثته وحادثها، واحبته واحبها، واستمعت الى شعره فيها ان كان شاعراً، واسمعته نقدها ورأيها في هذا الشعر.

وكانت هذه المواسم، بالوقت نفسه، مدعاة الى تطور الحياة الاجتماعية عند اهل ذلك الجيل، بحيث اخذ الكثير منهم يفهم الحياة على غير الوجه الذي كان يألفه من قبل، كما انها ساعدت على ترقية الحياة الادبية عند العرب.

المدينة والعقيق

لم يكن التطور الذي طرأ على الحجاز بالشيء اليسير، ولقد نال المدينة، فيما يظهر لنا، اكبر نصيب منه. ذلك انها كانت مركز الخلافة لدولة الراشدين، فتحدر اليها اكثر الفيء، واكثر الرقيق والسبي. وتقع المدينة على سهل تحيطه من بعض جهاته ارض حرّاء بركانية. غير ان تربته في الجهة الجنوبية مشبعة من المياه التي يندر وجود مثلها في سائر الحجاز. وتظهر هذه المياه وتكثر بعد نزول الامطار وتحدّر السيول، وتغور بعض مياه الامطار والسيول تحت سطح الارض، وتستقر في جوفها[1]. ومن هنا نستطيع فهم

*) فصل من كتاب في «عصر عمر بن ابي ربيعة»: مظاهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سيظهر قريباً في المطبعة الكاثوليكية.

1) ياقوت ٤: ٤٥٦ وبُول – الموسوعة الاسلامية – تحت al-Madina

سبب كثرة الآبار في المدينة ، واستعمالها لسقي الزرع.

وينبت في تربتها المخصبة انواع كثيرة من الاشجار المثمرة ، اهمها النخيل. ومناخها ، على ما في صيفها من حرّ وشتائها من برد ، خير من مناخ مكة ؛ وهي تفضل مكة من حيث المزروعات والاثمار ايضاً . وقد اصبحت ، بعد انتقال الخلافة الى دمشق ، موطناً للكثيرين من هؤلاء الذين رغبوا عن السياسة الى الهدوء والراحة والدّعة[1]. فقد رجع اليها الحسن بن علي بعد ان بايع معاوية[2]. وفيها اقام عبدالله بن جعفر كما هو مشهور[3]. وفيها اقام الصحابة المهاجرون ، اول الاسلام ، فبقيت بعدهم اكثر عائلاتهم . واليها انتقلت كما سترى عائلة عبدالله ابن ابي ربيعة ، والد شاعرنا ، فولد عمر ونشأ فيها فيما نرجح وفيها اقام ابن ابي عتيق[4] ، والحسن بن الحسن بن علي[5] ، وابن علي من الحنفية[6] ، وسعد بن ابي وقاص[7] ، وغير هؤلاء. حتى قيل انه كان فيها ، قبل فتنة ابن الزبير ، من بني أمية واحلافهم خلقٌ كثير ، رووا انهم اكثر من ثلاثة آلاف[8]. وقد اجلى ابن الزبير بعضهم الى الشام[9] ، وظلوا يحنون الى الحياة فيها[10]. وهكذا اصبحت المدينة ، كما ذكرنا ، موطناً لطبقة كبيرة من الناس ممن آثروا حياة الهدوء والدعة على الحرب والاشتراك في الخصومات السياسية ، بحيث استطاعوا فيما يقول بُول (Buhl) ان يتمتعوا وهم مطمئنون بهذه الثروة الكبرى التي تحدرت اليهم اثر الفتوحات[11] ، وانتهى ببعضهم الترف في العيش الى شيء عظيم من اللهو والمجون والعبث[12] ، بحيث ذكر الطبري ان مروان الاخير ، رأى احد رجال المدينة ممن خرجوا عليه في ثورة سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ. فقال له : « يا فاسق ، اما كان لك في خمر المدينة وقيانها ، ما يكفك عن

١) بُول – الموسوعة الاسلامية – تحت al-Madina

٢) الطبري II : ٩ والدينوري ٢٢٢ ٣) الاصبهاني ١١ : ٦٨,٦٦,٧٠ وراجع فهرس الاغاني لـگويدي تحت عبدالله بن جعفر ، وابن عبد ربه ١ : ١٤٥

٤) الاصبهاني ٨ : ١٠ و٧ : ١٣٢ ٥) الاصبهاني ٢ : ٦٢–٦٤

٦) الدينوري ٢٠٨ ٧) المسعودي ٤ : ٢٥٤

٨) الاصبهاني ١ : ١٤ ٩) الاصبهاني ١ : ١٤ ١٠) الاصبهاني ١ : ١٥

١١) بُول – الموسوعة الاسلامية – تحت al-Madina ١٢) الاصبهاني ٢١ : ١٧٦

الخروج معه . تقاتلني ؟» قال: «يا امير المؤمنين، اكرهني، فانشدك الله والرحم !» قال: «وتكذب ايضاً ؟ كيف اكرهك ، وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابط معك في عسكره ؟ »[1].

وقد ذكر الاصبهاني ان الفرزدق كان يقيم فيهـا ويختلف الى بيوت القيان[2] . وروى ان مروان بن الحكم ، عاملها لمعاوية ، انكر عليه هذا ، ثم لقيه ، فقال له :

قل للفرزدق ، والسفاهة كاسمها، ان كنت تارك ما نهيتك فاجلس

ودع المدينة انهـا مذمومة واقصد لمكة او لبيت المقدس[3]

عصر المدينة الذهبي

ولعل هـذا العصر كان عصر المدينة الذهبي الذي تغنت بامجاده الشعراء وتتنبذ ، من جمال في الرياض المحيطة بالمدينة ، الى لين ودعة في العيش ، الى غنى ومـال عظيم ، الى تساهل من قبل رجال الحكم ولعلك التفت الى هذه النواحي الجديدة في حياة اهلها في ذلك العصر، من اتخاذ بعضهم غرفة خاصة ، جعلها نادياً ، يتردد الرجال اليها ، فيها من الالعاب الوان كثيرة ، ومن ضروب التسلية طائفة كبيرة . ومن ترددهم ايضاً الى حفلات الغناء ؛ فقد كانت تعقد فيها ، كما رأيت ، حـفلات كثيرة للغناء ، منها عامة ومنها خاصة ، كان يلبس المغنون في بعضها ، كما روي ، لباساً خاصاً .

ولقد كانت هذه المواسم الغنائية التي تعقد في المدينة مقصد الكثيرين من طلاب اللهو ، لا سيما من اهل مكة . ولنا ، في اخبار بعض شعراء مكة وشبابها من اهل المرح واللهو ، ما يفيد انهم كانوا يقدمون خصيصاً لحضور مثل هـذه الحفلات الغنائية[4].

وكان صاحبنا عمر من اكثر الناس تردداً لمثل هذه الحفلات، وهو في المدينة ، ثم لم ينته ، بعد ارتحاله عن المدينة ، ان يقصد اليها لحضور هذه الحفلات الغنائية[5].

---

١) الطبري II : ١٦١٠ ٢) الاصبهاني ٢١ : ١٩٧

٣) الاصبهاني ٢١ : ١٩٧ ٤) الاصبهاني ٧ : ١٢٥ ٥) الاصبهاني ٧ : ١٢٥

العقيق

ولقد كان هناك في المدينة موضع خاص، لعله كان اكثر مواضعها حظاً من حياة اللهو والعبث والمرح والطرب، وكان لصاحبنا عمر ايضاً فيه حظ كبير. ذلك هو العقيق، وادي المدينة البهيج، ومتنزه اهلها، ومزار الكثيرين من طلاب اللهو من سائر مدن الحجاز.

يبعد اول العقيق عن المدينة نحو ميلين او ثلاثة من الجهة الجنوبية الغربية[1]. وتنحدر اليه السيول الهابطة من الجبال حوله، فتجعل فيه نهراً كبيراً يضطرب في بعض الاحيان مثل مدّ الفرات[2] – ترمي اواذيه العبرين بالزبد – ثم يهوي على الجنائن والبساتين، فيسقي نخلها، ويروي روضها، وينعش نفوس هؤلاء العرب هناك من اهل المدينة وما جاورها الذين خلا قطرهم من الانهار؛ فما هو الا ان يسمعوا ان العقيق قد سال حتى تراهم، وقد هرعوا اليه افواجاً افواجاً، رجالاً ونساء، يتمتعون بمنظره البهيج؛ وينفرد بعضهم ليستحم بمائه؛ ويعقد البعض الآخر حول ضفافه وعلى بساط رياضه حلقات الانس والطرب، فيستنشدون الشعراء فينشدونهم من شعرهم، ويلتمسون المغنين فيسمعونهم من عذب انغامهم، بينا ينزوي غيرهم تحت نخيله يشربون ويعبثون[3].

العقيق وحفلات اللهو فيه

ذلك هو العقيق متنزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر، فيما يقول ابو الفرج[4]. فهو بروعته وجماله المنعم الاخاذ يجذب اليه هذه الجماهير من اهل المدينة واهله، فينتشرون على اراضيه ينعمون بالجمال الذي يحيط بهم. كل في لهوه، فترى نفراً من المغنين اندفعوا يتغنون، فاجتمعت عليهم نساء اهل الوادي حتى صار مراحهم كمراح الضأن. ويرى ابن عائشة ذلك، فيلتفت الى صاحب معه ويقول:

١) ياقوت ٣: ٧٠٠ – Lammens – الموسوعة الاسلامية – تحت ʿAkīk

٢) الاصبهاني ٢: ١٧٢

٣) الاصبهاني ٢: ١٢٠ : ١٤: ٧٦ و Lammens – الموسوعة الاسلامية – تحت ʿAkīk

٤) الاصبهاني ٢: ١٧٢

«اما والله لافرقن هذه الجماعة». ثم ياتي قصراً من قصور العقيق، فيعلو سطحه، ويلقي رداءه، ويتكى عليه، ويغني :

هذا مقام مطرد   هدمت منازله ودوره

فلا يقضي صوته حتى تحتشد النساء اليه، فلا تبقى امرأة منهن الا جلست تحت القصر، فيقول المغنون في الحلقة الاولى: «هذا عمل ابن عائشة وحده»[1].

او ترى المواكب يسير فيها ارستقراطيو ذلك البلد، من رجال تحف بهم حاشيتهم، الى نساء تحف بهن جواريهن؛ فهنا عبد الله بن جعفر يتنقل بين حلقات المغنين يحبو هذا ويكسو ذاك[2]، وهناك موكب سكينة وهي خارجة من قصرها بالعقيق لتغتسل بماء واديه[3].

او ترى نصيباً وكثيراً والاحوص يركبون افضل ما يقدرون عليه من الدواب، ويلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب، ويسيرون متنكرين. ثم يتصفحون هذه الحلقات والجماعات في العقيق، ويرون بعض ما يشتهون، حتى يرتفع لهم سواد عظيم فيأمونه حتى ياتوه، واذا وصائف ورجال من الموالي، واذا نساء بارزات، فيسألون النزول وينزلون، واذا كراسي موضوعة فيجلسون، جميعاً في صف واحد، يستمعون الى بعض الجواري وهي تغني بشعر نصيب احدهم[4].

او ترى صاحبنا عمر خارجاً اليه، وقد واعد نسوة من قريش الى موضع فيه يتحدث معه، وترى بجانبه مغنيه الغريض يساعده على لهوه، ويمسك معه بطرفه وبرديه ليظلا على صاحباته حتى يسترن من سقوط المطر[5].

او ترى ابا السائب المخزومي ليلة، بعد ما رقد السامر، ياتي صديقاً له ليستصحبه الى العقيق، فيذهبان ويتحدثان ويتناشدان حتى يسمع ابو السائب صديقه ينشد للعرجي :

باتا بانعم ليلة حتى بدا   صبح تلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة   اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

---

١) الاصبهاني ٤: ١١٥
٢) الاصبهاني ١١: ٦٧ و ٢: ١٧٢
٣) الاصبهاني ١٤: ١٧٢
٤) الاصبهاني ١: ١٤٢
٥) « ١: ٦٦

فيقول : « اعده عليّ » ، فيعيده . فيقول: « احسن ! والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته . » ويلاقيه احد احفاد علي ، فيسلم ، ويسأله: «كيف انت ؟» فيقول:

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذَ الغريم بفضل ثوب المعسر

ويلقاه آخر ويكلمه ، فيردد له هذا البيت ، حتى خشي السامع ان يكون به جنٌّ وخاف عليه ان يتهوّر ببعض آبار العقيق[1]. او ترى ما هو اغرب من هذا كله طبقة خاصة من اهل ذلك الوادي سمتهم الكتب العربية باسم خاص « المخنثين » ، مخنثي العقيق . وضرب برقتهم ونعومتهم او بالاحرى تخنثهم المثل حتى قيل: اي بيت من الشعر نصفه كانه اعرابي في شملته ونصفه الآخر كانه اعرابي مخنَّث مفكك ؟ فقيل: قول جميل :

الا ايها الركب النيام ، الا هبوا ! اسائلكم : هل يقتل الرجل الحب ؟

وقيل: كأن الشطر الثاني من مخنثي العقيق يتقصف تقصفاً[2]. كل في لهوه يجسمهم السرور في صعيد واحد تصدح في اكثر ارجائه انغام الموسيقى المطربة والاصوات العذبة حتى ليبدو الوادي انه بقعة خلت من كل الآلام واكتست ابهى الحلل وهنئت باحلى الاحلام.

ميزة العقيق

ولست اعلم في كل العالم العربي الآن موضعاً يشبهه لا من حيث المنظر الطبيعي، من ماء جارٍ فياض، وروض معشب انيق زاهر، وجنان غناء يسقه اعالي اشجارها «مرّ الرياح النواسم» ، لا ! فان في القناطر الخيرية على ضفاف نيل مصر ما يفوق اجمل متنزهات العالم العربي من هذا القبيل منذ عرف العرب حتى الآن ، ولكنني أشير الى تلك الناحية من حياة العرب الاجتماعية والادبية فيه ، الى تلك الالوان من اللهو والعبث والمرح ، الى ذلك الغناء تعقد حوله الحلقات كما رأيت ، الى تلك المجالس الادبية يجتمع فيها الناس الى ما تنتجه قرائح شعرائهم والى ما يحركه بيان محدثيهم . ولو حاولنا التوسع قليلاً في

١) الاصبهاني ١ : ٨ : ١ - ١٥٦ ٢) الاصبهاني ٣ : ١٨٢ : ٧ : ٨٦ و ٩١

البحث عما يشبه العقيق الآن، او ما كان يشبهه، لالفينا مواضع متعددة، ولكني اشك في اننا نقع على ما يشبهه من هذه الناحية من الحياة الادبية، او على ما يشبه هذا الاثر الذي كان يتركه العقيق في نفوس اهليه وزواره.

لا تذكر لي دفنة انطاكية التي شبهوا العقيق بها[1]، ولا تقل شيئاً عن لهو الرومان فيها، وان شابهت العقيق او فاقته في مائها وحماماتها وقصورها ومتنزهاتها واشجارها من دفن وسرو، وان اتفق اهلها وارستقراطيو الحجاز بثروتهم وكسلهم وترددهم اليها! اقل لك ما رواه المؤرخ بمسون عن المترددين اليها: «ان شجر السرو في انطاكية كان يعرف ان يهمس بينا كان رجالها لايعرفون كيف يتكلمون»[2]. اما العقيق فلم يكن بجرير مياهه وتمايل نخله ورقة نسيمه وضروب لهوه، يقابل بظرف نصيب. وحديث ابن ابي ربيعة وشعر الاحوص وادب عائشة وسكينة بل يكاد يكون في هؤلاء وحدهم غنى عن العقيق.

ويكفي اذا شئت ان تعلم اثر هذا العقيق في نفوس شعرائهم ان تقرأ شعر ابي قطيفة فيه، فقد زعموا انه كان امويّ الهوى، فاجلاه ابن الزبير عن المدينة، فارتحل الى الشام، فلم تتنه رياض الشام ومتنزهاتها عن العقيق، واندفع ينشد حنينه اليه:

ليت شعري! هل البلاط كعهدي والمصلى الى قصور العقيق! [3]

وقال من قصيدة اخرى:

الا ليت شعري! هل تغير بعدنا قباء، وهل زال العقيق وحاضره! [4]

وقال ايضاً:

ليت شعري! واين مني ليت اعلى العهد يلبن فبرام
ام كعهدي العقيق ام غيرته بعدي الحادثات والايام!

الى ان يقول:

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

---

١) لامنس — الموسوعة الاسلامية — تحت Akik

٢) بمسون ٢ : ١٤٤

٣) الاصبهاني ١ : ١٥

٤) الاصبهاني ١ : ١٥

ثم يقول :

اقطع الليل كله باكتئاب وزفير ، فما أكاد انام
نحو قومي اذ فرّقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الاحلام (١

وكان في العقيق ساحات تسمّى بالعرصات ، منها عرصتان قال عنهما ياقوت انهما من افضل بقاع المدينة واكرم اصقاعها وروى ان ذوي السلطان من بني امية منعوا بناء المنازل فيها صوناً لها ، وضناً بها ، وان سلطان المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة الا بامر الخليفة[٢].

وقال بعض المدنيين في احدى عرصات العقيق.

وبالعرصة البيضاء ، اذ زرت اهلها ، مها مهملات ما عليهن سائس
خرجن لحبّ اللهو ، من غير ريبة ، عفائف ، باغي اللهو منهن آئس
يردن ، اذا ما الشمس لم يخش حرها ، خلال بساتين خلاهن يابس
اذا الحر آذاهن ، لذن بحرّه ؛ كما لاذ بالظل الظباء الكوانس (٣

وكان في الحجاز مواسم غير موسم المطر والربيع في عقيق المدينة،منها موسم المصيف في الطائف ، فلنتقل اليه.

الطائف

ولقد كانت الطائف ، احدى المدن الثلاث التي كان يعيش فيها ، او يتردد اليها ، ابن ابي ربيعة ، حتى زعموا انه كان من اعلم الناس بامورها ، ورووا انه لما قدم الوليد بن عبد الملك مكة ، سأل عن رجل له علم باموال الطائف ، فقالوا : عمر بن ابي ربيعة ، قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل ، فذكروه له ، فردّه . ثم عاد فسأل ، فذكروه ، فقال : هاتوه ، فركب معه يحدثه[٤] .

الطائف مصيف

وتقع الطائف الى الجنوب الشرقي من مكة على نحو خمسة وسبعين ميلاً[٥]،

---

١) الاصبهاني ١ : ١٥ ٢) ياقوت ٣ : ٦٤١
٣) ياقوت ٣ : ٦٤٢ ٤) الاصبهاني ١ : ٥٠ و٢ : ١٤٥ و ٥ : ٢١٤
٥) بركهارت ٦٦ ويذكر مراسل النهار ، وهو احد اعضاء البعثة الصحية الى الحجاز في ربيع سنة ١٩٣٤ ، في جريدة النهار عدد ٢٦٦ تاريخ ٦ حزيران سنة ١٩٣٤ ، ان المسافة ١٢٠ كيلومتراً .

وترتفع عن سطح البحر نحو خمسة الاف واربعمئة قدم[١] . وقد اتخذها اشراف الحجاز في ذلك العصر مصيفاً لهم ، كما لا يزالون يفعلون في هذا العصر . ذكر فيلبي انه في زيارته لمـا آخر الحرب الكبرى رأى الكثيرين من اعيان مكة ونبلائها يصيفون فيها ، بحيث قال : ان عدد سكانها في الصيف بلغ العشرين الفاً ، بينا لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة الاف[٢]. وهي خير مصيف ، فمناخها جميل وهواؤها عليل وماؤها عذبٌ جارٍ واشجارها واثمارها كثيرة وفواكهها طيبة متنوّعة ، ففيها العنب والتين والرمان والمشمش والتفاح والدراقن والسفرجل والموز وغيرها من الفواكه[٣]. وفيها وفي جوارهـا مزارع كثيرة وحقول خضراء يقع بعضها على الطريق بينها وبين مكة[٤] . ويقول بركهارت عن بعض هـذه المزارع : انها اجمل بقعة في الحجاز ، وابهج موضع شاهده في طريقه الى الحجاز بعد تركه لبنان[٥].

ويقول ياقوت عنها: « انها ذات مزارع ونخل واعناب وموز وساير الفواكه، وبها مياه جارية واودية تنصبّ منها الى تبالة.» ثم يقول: « وفي اكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلـد من البلدان ، واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل.» وهي طيبة الهواء شامية ، ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه اهل مكة منها »[٦].

ولعل القارئ لا يزال يذكر ما روينا عن بيادر الزبيب التي رآها فيها سليمان ابن عبد الملك ، وقد روي انه قال: « لله در قسي باي ارض وضع سهامه واي ارض مهد عشّ فروخه »[٧]. وروي ايضاً انه دخلها هو ونفر معه ، فرأى بستاناً

---

١) لامنس – في الموسوعة الاسلامية – تحت Ṭā'if ٢) فيلبي ١٩٣

٣) ياقوت ٣:٤٩٥ وفيلبي ١٩٢ وفي كتابه يذكر اكثر هذه الاثمار ويشير الى عسلها اللذيذ .

٤) ياقوت ٣:٤٩٥ وبركهارت ٦٥ و٦٦ والفاكهي ٢:٧٦

٥) بركهارت ٦٥ وفيه يقول : « The village and neigborhood of Ras el Kora is the most beautiful spot in the Hedjaz, and more picturesque and delightful than any place I had seen since my departure from Lebanon in Syria. »

٦) ياقوت ٣:٤٩٦ ٧) ياقوت ٣:٤٩٧ .

لعمرو بن العاص، فجال فيه ساعة ، ثم قال: « ناهيكم بما لكم هذا مالاً»[١] .

وفي بعض الاساطير العربية ان الطائف كانت قرية بالشام فنقلت الى الحجاز[٢] .

في هذه البلدة – كما اشرنا – كانت تصيف اشراف الحجاز من اهل مكة والمدينة[٣] . وقد ابتنى بعضهم دوراً او قصوراً يقضون فيها فصل الصيف ذكروا ان معاوية كان يقول اغبط الناس عيشاً ،ولاي سعد . وكان يلي امواله بالحجاز ، ويتربع جدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكة[٤] .

وقد كانت زينب بنت يوسف – اخت الحجاج – فيما يظهر من شعر النميري ، تشتو بمكة ، وتصيف بالطائف[٥] .

وكانت عائشة بنت طلحة بعد ان تأيمت تخرج الى مال لها عظيم بالطائف وقصر كان لها هناك فتتنزه فيه، وتجلس بالعشيات، فيتناضل بين يديها الرماة[٦] .

وكذلك كانت الثريا صاحبة عمر تصيف بالطائف[٧] . وقد كلفته ذات مرة عناء عظيماً تكبده في مسيره اليها من مكة ، وقد احتالت على استقدامه اليها بطريقة سنعرض لها في حينها[٨] . وكان عمر اذا لم يستطع زيارتها يغدو كل غداة على فرسه ، يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف الى مكة عن الاخبار قبلهم[٩] . حديثه او حديث عنه !

الطائف موطن لهو

وكانت الطائف قبل الاسلام،فيما يظهر من بعض المصادر،بلد فجور وفسق حتى زعموا ان النبي عندما صالح اهلها اشترط عليهم ان لا يزنوا ولا يربوا. ويقول

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٥ ٢) ياقوت ٣ : ٥٠٠

٣) لامنس– الموسوعة الاسلامية– تحت Ṭā'if ويذكر ان الطائف بعد الفتوحات الاسلامية والتوسع صارت تابعة لمكة ، واديل من كلا البلدين ، وحطّ من مكانتها وصارت الزعامة والسعة والرخاء في المدينة ، غير ان اهل الطائف استطاعوا بجدهم ان يجعلوا من جبالهم مصيفاً ليس للمكيين فحسب، بل لاهل المدينة ايضاً،وبهذا اقالوا من عثرة بلدهم،ورفعوا من شأنها .

٤) ياقوت ٣ : ٥٠٠ ٥) ياقوت ٣ : ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٢٤

٦) الاصبهاني ٦ : ٢٠ ٧) الاصبهاني ١ : ٨٦ والبغدادي ١ : ٢٣٨

٨) الاصبهاني ١ : ٨٥ ٩) الاصبهاني ١ : ٨٥

ياقوت: وكانوا اهل زناً ورباً[١]. وربما كان اهلها ايضاً اصحاب شراب لان ارضهم كثيرة الكرمة، وقد عرف عن بعضهم ذلك[٢].

هذا، وقد كانت بعيدة الى حدّ ما عن انظار العمال والولاة في المدينة او مكة بعد الاسلام بحيث استطاع من يرغب في اللهو ان يمارسه بعيداً عن اعين الرقباء، وقد كان بعدها داعياً الى ان تكون مركزاً لهؤلاء الذين يُنفون من مكة والمدينة، او الذين يهربون من غضب سلطان بني امية وغيرهم. والرواة يحدثوننا ان الغريض المغني التجأ اليها مدةً حينما بعث اليه الحارث بن خالد المخزومي يقول: لا ارينك في علي[٣]. وان ابن الزبير في خلافته نفى عبد الله ابن عباس اليها فتوفي فيها[٤] ونفى اليها ابا العباس الشاعر الاعمى الاموي الميل[٥]. وان سليمان بن عبد الملك منع ابن ابي ربيعة من الحج ذات مرة واخرجه اليها[٦]. وان الوليد بن يزيد اخرج يزيد بن ضبة الى الطائف وسوغه ما له هناك ليبعده عن هشام بن عبد الملك، خوفاً من ان يفتك به، وسماه طريد الاحول، يعني طريد هشام[٧].

ومن الناس من انزوى مختاراً فيها لمدة ما، كما فعلت سكينة بنت الحسين حين غاضبت زوجها زيد بن عمرو[٨].

ومهما يكن من الامر كله، فاننا نرى ان بعدها عن اعين الرقباء في ذلك العصر، مع ما احاطها وتتذاك من الظروف التي ذكرنا، يسر لبعض اهل اللهو ان يمارسوه فيها، وغلا بعضهم في لهوه حتى عرف الفسق فيهم وليس ادل على هذا من حياة العرجي الشاعر احد حفداء الخليفة عثمان بن عفان، ويكفي ان تقرأ سيرته في الاصول المختلفة لتدرك ما نذهب اليه؛ وقد صدر شعره يمثل هذه الناحية من حياته اقوى تمثيل[٩].

---

١) ياقوت ٣: ٥٠٠
٢) ياقوت ٣: ١٩٢ و٦: ٥٨
٣) الاصبهاني ٣: ١٠٦
٤) اليعقوبي ٢: ٢١٣
٥) « « ١٥: ٦٢-
٦) المرزباني ٢٠٢ والاصبهاني ٨: ٥٨ و١٠: ٦١
٧) الاصبهاني ٦: ١٤٦-١٤٧
٨) الاصبهاني ١٢: ٩٢
٩) اصبهاني ١: ١٥٢-١٦٦

مكة ومواسمها

ولم تكن مكة، وهي البلدة التي عاش فيها صاحبنا اكثر حياته، وعاش فيها آباؤه واجداده من قبله؛ اقل حظاً في هذه الناحية من المدينة والطائف. تقع مكة في قلب الحجاز، في منخفض من الارض تحيط به بعض التلال. وكانت لانخفاضها عرضة لمياه السيول التي تنحدر من التلال حولها، ومن هنا نرى ان تاريخ مكة تكثر فيه اخبار السيول لاسيا تلك التي كانت تقع ايام الحج. وقد جاء سيلٌ عام ثمانين سمي بسيل الجحاف دخل المسجد، واحاط بالكعبة، وهدم الدور والشوارع على الوادي، فقتل الهدم ناساً كثيراً. ورقي الناس في الجبال واعتصموا بها، وقال بعضهم واصفاً خروج المخبئات يرقين الجبل:

لم ترَ عيني مثل يوم الاثنين اكثر محزوناً وابكى للعين
اذ خرج المخبئات يسعين سوانداً في الجبلين يرقين (١

وربما، لولا قلة الامطار، ولولا وجود الكعبة في بطن المنخفض، لكانت الناس هجرت بطن مكة واستقرت في اعاليها.

ومناخ مكة حار، ولهذا كان يلجأ الى مكة جماعات كثيرة من اهل الحجاز، ممن جاور مكة، او ممن كانوا بعيدين عنها كاهل الطائف او اهل المدينة، ايام الشتاء. فيتخذونها مشتى لهم بعد ان يكون بعضهم قد قضى صيفه في الطائف.

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف (٢

وقال عمر في احدى صاحباته:

بالخيف مترلها ومسكنها وبحل مكة، ان شئت، قصرا (٣

وكان سعد مولى معاوية يشتو كذلك بمكة ويتقيظ الطائف[٤]

ولا يخفى ان الكعبة بنيت قبل الاسلام، في ذلك المنخفض، وان عائلات

---

١) الازرقي ١: ٢٦٥-٢٦٦
٢) ياقوت ٣: ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٣٤
٣) ابن ابي ربيعة (ش) ٣٦
٤) ياقوت ٣: ٥٠٠

كثيرة من قريش استقروا حولها ، ويعرفون بقريش البطاح بينما يعرف الذين استقروا في ظواهر مكة بقريش الظواهر .

وقد كان للبلدة تاريخ تجاري عظيم الشأن ، وكان لاهلها رحلات تجارية ، شتوية وصيفية أشار الى بعضها القرآن : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هـذا البيت الـذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ».[١]

وكانت تذهب القوافل الى مختلف الجهات حولها ناقلة بضائع القطر الواحد الى القطر الآخر ، بحيث كانت تبلغ بعض القوافل نحو الفين وخمس مئة جمل ، ويكون فيها ما بين المئة والثلاث مئة رجل[٢] ، وكانت بعض بضائع الهند والصين واليمن والحبشة من محمولها حتى اذا ما وفدت بهذه البضائع الى سوريا ، عادت حاملة بضائع بلاد البحر المتوسط من قطن وثياب مصبوغة وسلاح وحبوب وزيت[٣] .

وكان من اعظم تجارها قبل الاسلام ، وفي صدره ، عبد الله بن ابي ربيعة والد صاحبنا عمر . وسنعرض للبحث في غنى هذا البيت عند تصدينا لدرس حياة عمر . والذي يهمنا الآن ان هذه الحياة التجارية قد انمت ثروة المكيين ، ورفعت من شأن بلدهم ، بحيث استطاع الاب لامنس ان يقول في مقالته في الموسوعة الاسلامية عن ثروة مكة ، مؤيداً ونكلر في انها تقابل بثروة تدمر ، ما نصه :

« The 30,000 dinārs invested by the one house of Abū Uhaiḥa in the Badr caravan suggests that H. Winckler is quite right when he tells us to think of the Palmyra of Zenobia if we wish to get an idea of the financial capacity of Mecca ». (٤

ولقد اتخذت مكة بسبب آخر ساعد على انماء ثروتها ، هو وجود الكعبة فيها ، وكانت محجاً لكثير من العرب قبل الاسلام . ولحسن حظ مكة اقر

١) القرآن – قريش – ١٠٦
٢) لامنس – الموسوعة الاسلامية – تحت Mecca
٣) « « « « « «
٤) « « « « « «

الاسلام هذا الحج، على وجه خاص، وبشروط خاصة، بحيث كان القيام به امراً واجباً على كل من استطاع اليه سبيلاً. ومع ان المدينة قد انتزعت الزعامة من مكة فصارت مركزاً للخلفاء الاول ، وانتقلت اليها جماعات كثيرة من زعماء مكة واغنيائها، فان مكة بقيت صاحبة الحق في ان تكون اليها الحجة، وان يكون اليها مجتمع الحجيج من مختلف الاقطار ، فاستعاضت بهذا عن بعض ما فقدته في تحول مركز السيادة الى المدينة.

مواسم الحج

نريد ان نصل من هذا كله الى الالتفات الى هذه المواسم — ايام الحج — التي كان لها اثر كبير في الحياة الاجتماعية في مكة ، وبالتالي في الحياة الادبية عند اكثر الشعراء الـذين كانوا يشهدونها ، وبنوع خـاص في حياة صاحبنا وشعره.

ولا يهمني في هذا الصدد درس تاريخ هذه المواسم ومنشئها ، ولا التعرض الى ذكر الشعائر الدينية التي كانت تقام فيها ، وكيف كانت تقام ؛ وجل ما اقصده هو التوصل الى كيف استغل طلاب اللهو من شباب الحجـاز ، فتياناً وفتيات هذه المواسم ، فرحوا ما امكنهم المرح وطربوا ولهوا وعبثوا .

قال ابن فضل الله العمري في ايام منى: «منى حيث ترمى الجمرات ، وتهمل العبرات ، ذوات الليالي المقمرات ، والايام التي سلخ من الكافور ثياب عشاياها المغبّرات ، يحلى بها من كل ترب عاطله، ويلتقي في كل سرب كل ذي دين وماطله، فيها مجمع الحجيج ، والمحصب منها موضع الجمرات ، يجتمع فيها الخليطان ايام الموسم ، من شام ويمن ، وكانت في قديم الاسلام موسم لقاء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق . وثلاث ليالي منى معروفة موصوفة ، قد اكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيمون.»[1]

---

١) العمري ١١٥

الشبان يتصدون للمرأة في الحج

وكان يحتشد في هذه المواسم خلق كثير من مختلف الاقطار التي خضعت للدولة العربية ، وكان اختلاط عظيم سهّل لطلاب اللهو سبيلهم ، رووا ان ابن ابي ربيعة شاعرنا «كان يقدم ويعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشي ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج ويسبل لمته. ويلقى العراقيات فيا بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات الى مرو ، والشاميات الى الكديد.»[1] وقد ذكروا عنه كما سنرى قصصاً كثيرة عن تعرضه للحجاج، او مواكبته لبعضهم، ومرافقته ايامهم حتى يفرغوا من طوافهم وينقضي الحج وتفترق الركبان ، فيشيعهم ويعود لينشد الاشعار في صاحباته وقد ربط مع بعضهن عهود الحب، او ضرب مع البعض الآخر مواعيد اللقاء ، فما ينقضي لهوه حتى تعاوده ذكريات الحج فينشد شعره فيها، وهو يتشوق الى الموسم الجديد حين يعود الى سابق امره.

وكثيراً ما كان يتعرض بعض الشبان الى النساء في الحج دون ان يكون لهم بهن سابق عهد او معرفة[2]. روى ابو الفرج ان احدهم رأى امرأة جميلة من قضاعة تسير مع رفقة الى مكة في الموسم ، فصحب قومها وكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسها ، فقالت : لا سبيل الى ذلك ، لانك لست لي ببشر ولا جار في بلدي ، ولا انا ممن تطمع رغبة عن بلده ووطنه فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج فتفرق بينهما نزوعهما الى اوطانهما[3].

وكان العرجي يتصدى للغانيات في المواسم مثل عمر ، وقد قال في احداهن :

اماطت كساء الخز عن حرّ وجهها ، وادنت على الخدين برداً مهلهلا

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٨

٢) الدميري ١ : ٢٢٦ والاصبهاني ١ : ٢٧ و ٦٥

٣) الاصبهاني ١٤ : ١٥٢

من اللاء لم يحججن يبنين حسبةً ، ولكن ليقتلن البريء المغفلا

. . .

مريح الهوى ، لا يبرح الحب قائدي بشر ، فلم اعدل عن الشعر معدلا
لدى الجمرة القصوى، فريت وهلّلت، ومن ربع في حجّ من الناس هلّلا (١

ذكر ابو الفرج باسنادٍ قال: « قال عبيد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه، فادنيت ناقتي، منها ثم قلت لها: يا امة الله ، الست حاجة ، اما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ، ثم قالت: تأمل يا عمي ، فاني ممن عنى العرجي بقوله :

من اللاء لم يحججن يبنين حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفّلا

قال: فقلت لها فاني اسأل الله ان لا يعذّب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: اما والله لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها اعزبي قبحك الله ولكنه ظرف عبّاد الحجاز(٢

وللعرجي هذا في احداهن واصفاً لقاءه بها ايام الحج :

ما تلتقي الا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر
الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر (٣

ومها يكن من امر هذه المواسم فالمحقق لدينا من شعر شعراء ذلك العصر ان النساء كنّ يمارسن اكثر هذه الطقوس الدينية في مواسم الحج مع الرجال ، وكانت الرجال تنتهز هذه الفرص للتعرض الى النساء فيتعرفون بهن ويتحدثون معهن سواء اكان وقت الطواف والعمرة او بعد الفراغ منهما وان كثيراً من هذا الشعر الذي تحدّر الينا من ذلك العصر والذي دار على الغزل، واقتصر على المرأة قد انتجته هذه المواسم التي ذكرنا وبالاخص موسم الحج ، حتى زعموا ان البعض من شباب الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر لم يقصدوا من الحج وحضور تلك المواسم الا مقابلة المرأة والتعرض لها. قال العرجي :

---

١) الاصبهاني ١٧ : ١٢٠ ٢) الاصبهاني ١٧ : ١٢٠-١٢١ و ١ : ١٦١
٣) الاصبهاني ١ : ١٦٢

اني اتيحت لي يمانية احدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولاً كاملاً كله لا نلتقي الا على منهج
في الحج، ان حجت، وماذا منى واهله ، ان هي لم تحجج (١

وكان لا بدّ من ان تتعرض المرأة امام نظر الرجل عند قيامها ببعض هذه الطقوس، وبنوع خاص عند استلام الركن او الحجر الاسود، حيث يكثر الزحام ويتدافع الناس لكي يصلوا اليه[٢] ، ومع ان الازرقي يذكر ان عطاء ابن ابي رباح رأى امرأة تريد ان تستلم الركن ، فصاح بها وزجرها ، وقال: غطي يديك لا حقّ للنساء في استلام الركن[٣] ، فاننا نرى في الباب نفسه ، بل وفي القصة نفسها ايضاً ، ما يفيد ان المرأة كانت تستلم الركن[٤]. وروى ابو الفرج قال: « بينا عمر ابن ابي ربيعة يطوف بالبيت، اذ رأى عائشة بنت طلحة ابن عبد الله، وكانت من اجمل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ، ورأته وعلمت انها قد وقعت في نفسه ، فبعثت اليه بجارية لها وقالت: قولي له اتق الله ولا تقل هجراً فان هذا مقام لا بدّ فيه مما رأيت ». فقال للجارية: اقرئيها السلام وقولي لها: ان عمك لا يقول الا حسناً[٥].

وقيل في موضع ثانٍ ان عمر لم يزل ينسب بعائشة ايام الحج، ويطوف حولها، ويتعرض لها ، وهي تكره ان يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها ، فقالت: اما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق. فقال :

اني واول ما كلفت بذكرها عجب، وهل في الحب من متعجب
بنت النساء فقلت لست بمبصر شبهاً لها ابداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها فناء الاخشب
اقبلت انظر ما زعمن وقلن لي، والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً ترمي الجمار عشية في موكب
غراء يبهش الناظرين بياضها حوراء في غلوائها عيش معجب (٦

ورووا ان رقية بنت عبد الواحد بن ابي سعد العامرية احدى محبوبات

---

١) الاصبهاني ١ : ١٦٢
٢) الازرقي ١ : ٢٣٦
٣) الازرقي ١ : ٢٤٠
٤) « ١ : ٢٤٠
٥) الاصبهاني ١ : ٧٦-٨٠
٦) الاصبهاني ١ : ٨٠-٨١

عبيد الله بن قيس الرقيات حجت. فطافت ليلة بالبيت ثم اهوت ، لتستلم الركن الاسود وتقبله ، وقد طاف عبيد الله بن قيس الرقيات ، وقند مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقاص ، فصادف فراغها فراغها ، فاهوى ابن قيس يستلم الركن الاسود ويقبله ، نصادفها قد سبقت اليه فنفحته بردنها فارتدع ، وقال لقند : من هذه ؟ قال : أوَ لا تعرفها ؟ هذه رقية بنت عبد الواحد . فقال ابن قيس :

من عذيري ممن يضنّ ببذو ل لنجزي عليَّ عند الطواف

قالوا ولما نفحته بردنها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد وكانما فتحت في المسجد لطيمة عطار ، وفي هذا يقول ابن قيس ايضاً :

سائلا قنـدًا خليلي كيف اردان رقيّه (١

ويذكر المسعودي انه بلغ خالدًا القسري (وهو والي مكة اواخر القرن الاول للهجرة) قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مشهد
وحبّذا اللائي يزاحمننا عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد : اما انهن لا يزاحمنك بعد هذا ابدًا ، ثم امر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف[٢].

واذا لاحظنا ان خالدًا هذا كان واليًا على مكة بعد ٩٢ هـ. ادركنا ان القرن الاول للهجرة — اذا صحت هذه الرواية — كاد ينسلخ ، والرجال والنساء يطوفون معًا ، والغريب ان خالدًا هذا كان — فيما سنرى عند درسنا اصدقاء عمر — رسولًا بين عمر وبين بعض صاحباته . ولعبيد الله في الثريا صاحبة عمر :

حبذا الحج والثريا ومنْ بالخيف من اجلها وملقى الرحال
يا سليمان ان تلاقِ الثريا تلقَ عيش الخلود قبل الحلال (٣

ولنصيب الشاعر ولكثير وجميل وللاحوص وللحارث اشعار في هذه المواسم ، ليس هنا موضع ذكرها ، فلتراجع في مظانها .

---

١) الاصبهاني ٤ : ١٦٥–١٦٦ ٢) المسعودي ٥ : ٣٩٩–٤٠٠
٣) الاصبهاني ١ : ٨٥

مواكب الشريفات من نساء ذلك العصر

والمهم ان نعلم ان النساء كنّ يدركن اهمية هذه المواسم عند هذا النفر من شبان العرب الارستقراطيين ، فكنّ يلبسن لها احسن الثياب ويتزين احسن الزينة وكانت الشريفات منهن يقدمن الى الحج بمواكب تستلفت الانظار تحفهن الجواري ذات اليمين وذات الشمال، ذلك كان شأن عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وفاطمة بنت عبد الملك وعاتكة بنت يزيد بن معاوية ،وقريباً من ذلك كان شأن الكثيرات من شريفات ذلك العصر من حجازيات هاشميات او شاميات امويات او عراقيات عربيات ، وكن يتبارين في هذا الظهور روى ابو الفرج قال : استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج فاذن لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري، فان عائشة بنت طلحة تحج ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها فلما كانت بين مكة والمدينة ، اذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها فقالت : ارى هذه عائشة بنت طلحة فسألت فقالوا : هذه خازنتها . ثم جاء موكب آخر اعظم من ذلك فقالوا : عائشة ، عائشة ، فضغطهم ، فسألت عنه فقالوا : هذه ماشطتها ، ثم جاءت مواكب على هذا اي سننها ، ثم اقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلة . عليها القباب والهوادج ، فقالت عاتكة : ما عند الله خير وابقى[1] .

وروي ايضاً ان عائشة حجت ذات مرة ، ومعها ستون بغلا عليها الهوادج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال :

عائشَ يا ذات البغال الستين أكل عام هكذا تحجين

فارسلت اليه : نعم يا عُرَيّة . فتقدم ان شئت ، فكفَّ عنها[1] .

وروي ايضاً انها حجت وسكينة بنت الحسين معاً ، وكانت عائشة احسن موكباً وثقلا ، فقال حاديها :

عائشَ يا ذات البغال الستين لا زلت ، ما عشت ، كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ، ونزل حاديها فقال :

عائشَ هذه ضرّة تشكوك لولا ابوها ما اهتدى ابوك .!!

---

١) الاصبهاني ١٠ : ٦٠

بعض النساء يرغبن في ان يذكرن في الشعر

وكان بين مواكب الحاجات من ترغب في ان ترى وتمدح، فكن لا يكدن يرجعن من الحج حتى تطير ابيات الشعراء في اطرائهن ومدحهن والتشبب بهن حتى لقد روى الرواة ان بعضهن كن يغضبن اذا لم يسمعن ان الشعراء قد شببوا بهن واطروهن وذكروا من محاسنهن ، قال ابو الفرج: ان بنتاً لعبد الملك حجت فكتب الحجاج الى ابن ابي ربيعة يتوعده ان ذكرها في شعره بكل مكروه ، وكانت تحب ان يقول فيها شيئاً ، وتتعرض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجاج ، فلما قضت حجها خرجت ، فمر بها رجل ، فقالت له : من اين انت؟ قال : من اهل مكة . قالت : عليك ، وعلى اهل بلدك لعنة الله . قال: ولم ذلك ؟ قالت : حججت ، فدخلت مكة ، ومعي من الجواري ما لم تر الاعين مثلهن ، فلم يستطع الفاسق عمر ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره ابياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا. قال : فاني لا اراه الا قد فعل . قالت : فاتنا بشيء ان كان قاله ، ولك بكل بيت عشرة دنانير ، فمضى اليه ، فاخبره ، فقال : لقد فعلت ، ولكن احب ان تكتم علي ، قال : افعل . فانشده قصيدته :

راع النؤاد تفرق الاحباب يوم الرحيل فهاج لي اطرابي

وانشده قصيدة اخرى ، فعاد اليها الرجل ، فانشدها هاتين القصيدتين ، فدفعت اليه ما وعدته به[1].

ولعمر فيها ، وفيه اشارة الى خوفه من الحجاج :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كل مسيل[2]

الشعراء يرضون النساء

وكان الشعراء يعنون في ان يرضوا هؤلاء النساء . رووا ان عائشة بنت

---

١) الاصبهاني ٢ : ١٣٨ ٢) الاصبهاني ١ : ٧٨

طلحة حجت ، وكان الشاعر الحارث بن خالد المخزومي والياً على مكة لعبد الملك بن مروان ، وكان يهواها ، فأرسلت اليه : أخر الصلاة حتى افرغ من طوافي . فأمر المؤذنين ، فأخروا الصلاة ، حتى فرغت من طوافها ، وانكر اهل الموسم ذلك . هي تحج والناس تضج ، وهو لا يأبه لهم ، ولما بلغ الامر عبد الملك بعث اليه بعزله وأنّبه . فقال : ما اهون والله غضبه وعزله اياي عليَّ عند رضاها عني[1]

الغناء في الحج

ويحدثنا الرواة انه قد كانت تمهد في هذه المواسم سبلُ الطرب ، فهم يروون لنا ان الغريض المغني كان يعترض الحجاج بصوته ، وهم في حجهم ، فيصغون اليه[2] . وانه غناهم مرة :

أيها الرائح المجدّ ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا

فاطرب الناس ودهشهم ، فقالوا : طائفة من الجنّ حجّاج[3] . وهم يحدثوننا ان ابن عائشة كان واقفاً في الموسم متحيرًا ، فمرّ به بعض اصحابه ، فقال له : ما يقيمك هاهنا ؟ فقال : اني اعرف رجلًا لو تكلم لحبس الناس هاهنا ، فلم يذهب احد ولم يجيء ، فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : انا . ثم اندفع يغني :

جرت سنحاً فقلت لها اجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاء

قال : فحبس الناس ، واضطربت المحامل ، ومدّت الابل اعناقها ، وكادت الفتنة ان تقع[4] . وهم يحدثوننا ان الابجر كان يقف بين المأزمين ، فيرفع صوته ، فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً ، وانه جلس في ليلة اليوم السابع من ايام الحج على قريب من التنعيم[5] ، واذا عسكر جرّار قد اقبل في آخر الليل ، فاندفع فغنى :

عرفت ديار الحي خالية قفرًا . . . .

---

١) الاصبهاني ١٠ : ٦١ ٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٠

٣) « ٢ : ١٢٠ ٤) « ٢ : ٦٤

٥) موضع بمكة . راجع طبعة دار الكتب للاغاني ٣ : ٢٤٦

فلما سمعه من في القباب والمحامل ، امسكوا ، وصاح صائح : ويحك اعد الصوت[1] . وهم يحدثوننا ان ابن سريج كان يغني من اخشب منى غداة النفر ، فيتردد الانين والحنين من الاخبية والمضارب[2] .

ولقد بلغ اللهو والغناء ايام الموسم مبلغاً ليس بيسير بحيث ان هشام بن عبد الملك امر الوليد بن يزيد ان يحج عاماً من الاعوام ليهتكه عند اهل الحرم، فيجد السبيل الى خلعه ، ورووا انه قد ظهر من الوليد اكثر مما اراد به هشام[3] .

وتردد الفرزدق الى الحجاز ، وشهد هذه المواسم ، فاتبع بعض سبل اللهو فيما يروون ، وقد استغل هذا جرير في هجوه له في اكثر من قصيدة . وقد قال رادًا على قصيدة الفرزدق التي مطلعها :

« عرفت المنازل من مهدد »

زار الفرزدق اهل الحجاز فلم يحظَ فيهم ولم يحمد
واخزيت قومك عند الحطيم وبين البقيعين والغرقد
وجدنا الفرزدق بالموسمين خبيث المداخل والمشهد[4]

وقال الفرزدق قصيدةً يمدح فيها هشاماً ويهجو جريراً مطلعها :

الستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات او اثر الخيام

ثم توصل الى وصف ناقته فقال فيها :

الامَ تلفتين ، وانت تحتي ، وخير الناس كلهم امامي
متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوام

فقال جرير يرد عليه ، ويبتدع له سبباً لهذا التلفت :

تلفتُ انها تحت ابن قين حليف الكير والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تخزَ فيها كخزيك في المواسم كل عام[5]

ولم يفت الاحوص اذا حج ان يتبع بعض سبل اللهو ، وقد ذكر شيئاً عن عيشه ليلةً بمنى في شعر رفعه الى المغنين[6] .

---

١) الاصبهاني ٣: ١١٥–١١٦
٢) الاصبهاني ١: ١١٥
٣) الاصبهاني ٣: ١١٦
٤) جرير والفرزدق ٢: ٧٦٨
٥) جرير والفرزدق ٢: ١٠١٦ والبيتي ١: ١٠٠
٦) الاصبهاني ١: ٦

وليس خافياً، بعد كل ما ذكرنا، اثر هذه المواسم في حياتهم الاجتماعية والادبية، وسنرى ان عمر لم يفته ان يخلد في شعره شيئاً من صورة تلك الحياة البهجة زمن المواسم في الحجاز، وهو القائل فيها:

فلم ارَ كالتجمير منظر ناظر　　ولا كليالي الحج افتن ذا هوى (١

وهو القائل ايضاً في عائشة بنت طلحة:

اني واول ما كلفت بحبها　　عجب وهل في الحيّ من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصر　　شبهاً لها ابدًا ولا بمقرّب
ولقد تركن حزازة في قلبه　　منها بحقٍّ او حديث المهرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت　　للحج موعدها لقاء الاخشب
اقبلت انظر ما زعمن وقلن لي　　والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً　　ترمي الجمار عشية في موكب
غراء يبشي الناظرين بياضها　　حوراء في غلواء عيش معجب (٢

وقال في احدى صاحباته:

حيِّ الرباب وتربها　　اسماء قبل ذهابها
ارجع اليها بالذي　　قالت برجع جوابها
عرضت علينا خطة　　مشروقة برضابها
وتدللت عند التاب　　ترحباً بمتابها
تبدي مواعد جمّة　　وتضنّ عند ثوابها
ما نلتقي الّا اذا　　نزلت منى بقبابها
في النفر او في ليلة الـ　　ـتحصيب عند حصابها (٣

ولعلّ الرواة قصدوا الى ان يمتوه بسبب بعض هذه الآثام التي كان يرتكبها ايام الحج، فزعموا انه رأى امرأة بالطواف، فذكرها بشعره، فدعت عليه فمات في دعوتها فيما يزعمون!

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٦ وفيه افلتن في موضع افتن
٢) عمر الديوان مصر (٣٤)　　٣) عمر الديوان مصر (٥١)

شوقي على المسرح

شوقي والتاريخ

تلخيص رواياته — موقفه من التاريخ

بقلم ادوار حنين

شوقي، امير الشعر بالامس، هو امير الشهرة اليوم. يكاد لا يخلو القطر العربي اجمع ممن يلهج باسمه، او يتغنى بشعره. ولهذه الشهرة اسباب منوّعة نخصّ اهمها بالذكر فنقول: ان شوقي نظم المدائح في اعاظم الرجال من ملوك وامراء، ومراثي نعرفه الرجال العظام؛ وقال المراثي في شخصيات بارزة محبوبة فسارت بين الخاصة والعامة. ثم انه لم يدع حادثة مهمة تحدث الا بعث فيها قصيدة تسير سير الحادثة في المجتمعات والاندية وعند الافراد. وقد عرف الصغار اليه ببعض قصائد اودعها حكايات ذات مغاز وعبّر عرّب معظمها عن شاعر الافرنج المشهور لافونتين. ولم يقف عند هذا الحدّ، فاستخدم شهرة المغني محمد عبد الوهاب لتوسيع نطاق شهرته فاوحى الى هذا قصائد من مثل «يا جارة الوادي» و«انا انطونيو» و«خدعوها» و«تلفتت» وما اليها، فوقعها هذا بانغام سحرية وانشدها بصوت شجي. وكان شوقي قد استخدم من قبل شهرة ابو عيون وام كلثوم اللذين تغنيا بقصائد عديدة له منها «وحقك» و«افديه»؛ فتسرّب اسم شوقي الى حيث تسرّبت اسماء هؤلاء المغنين و«اسطواناتهم»، الى بلاطات الملوك واكواخ الفقراء، الى دور العائلات ودور الملاهي ... ولم يكفه كل هذا بل رغب في الزيادة اذ قام ينشئ، في آخر حياته، روايات تمثيلية شعرية فكان لنا:

مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، قمبيز، علي بك الكبير، عنترة

الحقها برواية نثرية: اميرة الاندلس

وسنتحدث الآن عن شوقي والتاريخ تاركين الى وقت آخر الحديث عما سوى هذا المظهر . . . لنفي كلا من مظاهره العديدة حقه.

وصف وتلخيص

فلنأت ، قبل كل شيء ، على وصف هذه الروايات واحدة واحدة ، وعلى تلخيصها موجزين ليتم للقارئ ما يريد اذ يكون له فيها نظرة اجمالية تمكنه من متابعة النقد وتذوقه.

مصرع كليوباترا

مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٩٢٩

رواية تمثيلية شعرية في اربعة فصول وقعت في ١١٠ صفحات ، ١٦ × ١٢ سنتمترًا . ملخصها ان انطونيوس القائد الروماني الاكبر واحد الثلاثة (انطونيوس ، اكتافيوس ، ليبيد) الذين سُلموا زمام الامور في رومة حوالي السنة الاربعين قبل المسيح ، تعشق كليوباترا مليكة مصر وراح به حبه الى الجحود بفضل رومة والتطوع في خدمة هذه الملكة القادرة . فحاربا جنباً الى جنب في موقعة « اكتيوم » البحرية ، وموقعة « الاسكندرية » البرية ، فكان ان خانت هذه حبيبها مرتين متواليتين . فدفع الى الفرار وصفيه اوروس من المعركة الثانية . الى مكان امين حيث تلقى انطونيوس — كذباً — خبر انتحار كليوباترا ، فعجّل بالانتحار . وكان صفيه اوروس قد سبقه فانتحر .

واذ اتفق لهذه ان رأت حبيبها في نزاعه وتأكدت نية اكتافيوس المتغلب في استصحابها الى رومة المنتصرة لجأت ، هي ايضاً ، الى الانتحار تخلصاً منه ولحاقاً بانطونيوس حبيبها . وقد تبعها الى الموت وصيفتاها : شرميون وهيلانة — الّا ان هذه الاخيرة نجت بمساعي حابي وانوبيس — فتم هكذا النصر لاكتافيوس ، وحق لنا ان نسمي هذه الرواية « بجزرة المحبين » او « مصارع العشاق »

وقد ضم شوقي فيها الى الحوادث التاريخية حوادث اخرى من انتاجه فجاءت رواية في رواية .

اما مجمل هذه الحوادث فهو ان حابي ، احد امناء مكتبة قصر كليوباترا الثلاثة ، تعشق هيلانة ،وصيفة الملكة ، وكانت هذه مولعة به الا ان حبها القيام بواجب الخدمة الامينة نحو مليكتها كان يمنعها من الاجتماع بحابي والتقرب منه . ولما لم يفت الملكة ما كان بين هذين العاشقين من مودة وارتباط رغبت في جمعهما الى الابد بالزواج .

الا انها كانت عالمة بما لها عند حابي من البغض وما كان عليه هذا من الخروج عن الطاعة ، « واي حقوق لها تدعي »[1] ولكنها تغلبت اخيراً على عاطفة الانتقام ، وزوجته من هيلانة . . . وكان ان انتحر انطونيوس وكليوباترا واوروس وشرميون ؛ وآل القصر الى الخراب . فجاء حابي واخذ هيلانة وذهبا معاً الى حيث يقضيان عيشة هادئة هنيئة . . . الى الحقول التي وهبتهما اياها الملكة في سهول « طيبة » ، وفيها الختام .

٢ مجنون ليلى

مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٩٣١

الرواية الثانية من روايات احمد شوقي الشعرية ، وهي ذات خمسة فصول ، وردت في ١٥٠ صفحة ، لها ما لرفيقاتها من الطول والعرض .

ملخصها ان مجنون ليلى ، قيس العامري ، تعلق ليلى منذ كان صغيراً فجن بحبها . واذ كان قيس شاعراً ، اخذ يتنزل بليلاه ويشبب بها ، فسار شعره بين القوم سيراً سريعاً وبعيداً . وكان العرب يعدون عاراً ان يتنزل شاعر بنسائهم ، فنقم عليه آل ليلى والمهدي ابوها بان حرموا عليه فتاتهم . فتشرد هذا في مناكب البادية ومشارقها — ويقال انه وصل الى الشام — ينشد الغزليات والفراقيات ولا يصحو الا اذا ذكرت له ليلى . وكانت هذه كثيرة الحب له . الا انها فضلت التضحية بحبها على التضحية بشرفها وشرف ذويها ، فتزوجت ورداً متخلية عن قيس المجنون . . . ولم يقف شوقي عند هذه الخاتمة بل تعداها فاوقفنا

١) مصرع كليوباترا ، ص ٢٢ (وهو جوابه موجهاً لهيلانة عندما دعته الى المحافظة على حقوق كليوباترا)

تجاه قيس وورد — زوج ليلى — يتحدثان عنها ، وتجاه قيس وليلى بعد زواجها ، وتجاه موت ليلى وتعازي القوم لابيها ومراثي الشعراء فيها ؛ منها مرثاة قيس « المجنون » . . . ولم يأتِ على الختام الا بعد ان شطّ وبعد عن صميم الموضوع في فصلين كاملين .

٣ قمبيز

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، كانون الاول ١٩٣١

وهي الرواية الثالثة جاءت في ثلاثة فصول صفحاتها ١٢٠ ، من الصفحات الموصوفة اعلاه (١٦ × ١٢)

ملخصها ان قمبيز ، ملك الفرس ، طلب للزواج نفريت ابنة امازيس ، فرعون مصر . فابت هذه وأحب والدها ألا يعاكسها في رغباتها . إلا ان خطر هذا الرفض كان عظيماً . فويل مصر من قمبيز منتقماً . وادركت نتيتاس ابنة فرعون ابرياس المقتول مقدار هذا الخطر على عرش آبائها ، فطلبت ان تحلّ محل نفريت فتفتدي مصر بدمها البري . فلم تجد معارضة ؛ فاقيمت الافراح في بلاط فرعون وانصرف القوم باميرة مصر الى بلاد فارس . ولم تطل بها الاقامة هناك الا جاء فارسَ فانيسُ القائد في الجيش المصري الملتحق بالجيش الفارسي واطلع قمبيز على الخديعة ، فثارت ثورة هذا وجنّد جيشاً وزحف قاصداً مصر فوصلها واعمل فيها الحريق والقتل والنهب .

وما ان استقرّ به المكان الا علم بخبر انتحار نفريت . فجنّ وتجلّى جنونه بان طفق يقتل كل من رأى فوقعت الواقعة على فانيس الخائن ، وقائد جيشه الاكبر وكان شيخاً ، وابيس ، العجل المقدّس ، اله النيل . . . اما هو فقد توّلت عليه رؤية اذهلته فانتحر . وهكذا انتهت الرواية بحداد المصريين على مليكهم ومليكتهم والههم ابيس ، والفرس على مليكهم وقائد جيوشهم .

٤ علي بك الكبير او دولة المماليك

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٣٢

الرواية الرابعة من روايات شوقي الشعرية . وهي كالتي تقدّمت ذات ثلاثة

فصول جاءت في ١٣٢ صفحة تتماثل واخواتها طولاً وعرضاً.

ملخصها ان محمد بك «ابو الدهب» متبنَّى علي بك الكبير واحد امراء المماليك، خرج على ابيه وولي نعمته فناصره كثير من المماليك. واذ ادرك علي خطورة الامر فرّ من مصر ساعة اقترانه بالأمة آمال، ولجأ الى ظاهر العمر في عكا واستنجده هناك على الثائرين فانجده. وقد شهدنا ما كان من امر النجدة اذ وقع ظاهر في قبضة الخارجين وقتل مراد بك علياً واستتب الامر لمحمد بك «ابو الدهب».

الا ان هناك حادثة غرامية جرت مشاهدها الى جنب الحادثة التاريخية. وهي ان آمال الأمة التي تزوّجها علي بك الكبير والتي عرضتها للبيع ورفيقتها ام محمود، كانت أنوفاً عزيزة النفس ابية، فتمرّدت على ابيها مصطفى اليسرجي الذي رغب في بيعها، وعلى ام محمود، وعلى كل من جاء يساوم على سعرها. فرقّ لها علي وتزوّجها. وكان قد علق بحبها مراد بك فتعشقته الا انها ظلت مبدية له النفور لابائها ولانها لا ترضيها عيشة الجواري في بيوتات الامراء والملوك... وما زالت آمال في قصر علي آمرة ناهية معرضة عن مراد بك، الى ما بعد الحرب التي ذكرناها، يوم اقرّ مصطفى اليسرجي قبل ان تميته جراحه بانه والد مراد بك وبان آمال هي ابنته ايضاً فختمت الرواية بان اعلم مراد آمالَ انها اخته لابيه مصطفى فانتشر الخبر بين القوم حتى بلغ محمد بك «ابو الدهب».

فبكت آمال زوجها علياً، وبكيا معاً اباهما مصطفى... وانعم عليهما محمد بك بقصر علي المسمّى بقصر المطاط، ووعدهما بتوفير حياة الرغد والهناء لهما... وهكذا تمّ تعارف الاخوين.

عنترة

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية الخامسة والاخيرة من روايات شوقي الشعرية، قسمت الى اربعة فصول، واستودعت في ١٣٩ صفحة كلها على الطراز الموصوف اعلاه.

ملخصها ان عنترة، فارس الفرسان، ذاك العبد الاسود الذي صوّرته لنا

الاسطورة بجلاء ، إحبّ عبلة ابنة امير الحي ، فبادلته الحبّ فحال دون زواجها رفض ابيها واخوتها لاسباب اهمهـا ان عنترة عبـد ابن امة . فالعقدة اذاً : الحصول على رضى مالك . فتش عنترة عن هذا الرضى في حمـاية القبيلة والذود عن نسائها ومراعيها وكافة حقوقها والظهور بمظهر المحارب الذي لا يشقّ له غبار . فتلك هذه الادوار حتى تمثيل ، ففتك بانصار الاكاسرة والمناذرة ـ بني لخم ـ فتكاً ذريعاً وابعد الغزوات عن قبيلته بان عارك قوماً من الغزاة فافناهم ...

الا انه لم يوفق الى رضى المهدي الذي احلّ يد ابنته الى صخر ، سري بن سراة عامر ، فما كان من عنترة آنذاك الا ان سقط على ركب العامريين الناقل عبلة الى صخر فاختطف منهم عبلته وتزوّجها . راغماً انف ابيها وذويها عامة . فصفا لهما جوّ الحياة وعاشا خليي البال ، وكان عنترة فرض ارادته على صخر فزوّجه ناجية رفيقة ليلى ، التي كانت مغرمة به . وهكذا تمت الرواية بزواج المتيمين : عنترة وصخر ، هذا من التي احبته وذاك من التي أحب .

اميرة الاندلس

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية النثرية الفردة التي وضعها شوقي بك ، فصولها خمسة ، صفحاتها ١٥٧ ، كلها على الطراز الموصوف قبلاً .

وهذه ايضاً رواية ذات واقعتين : واقعة اولى تطلعنا على حالة ملك اشبيلية المعتمد بن عبّاد ، وعلى مصيره ومسـاوئه فنعلم انه ارغم على امره فتخلّى الملك ، وقيد الى سجن مظلم في اغمات هو وعائلته الملكية . وواقعة اخرى تطلعنا على حادثة غرام لهـا اولها وآخرهـا ، وقعت لبثينة ابنة الملك ابن عباد وحسون بن ابي الحسن تاجر اشبيلية الاكبر .

فترى كيف تعرفت هذه الى وجه حسون ، وذلـك في سوق الكتب في قرطبة ، فعلقت بهواه وظلّت على حبها له الى ان عادته متلثمة في بيته فتمارفـا وتـارا الحب .

ثمّ وقعت الحرب . فتم انكـار ابن عبّاد واسر وسبيت بثينة . ومضت

السنون على هذا الحادث الى ان عاد ابو الحسن وابتاعها من السابي — كل هذا مع حوادث عجيبة غريبة — فعاد بها الى داره ثم سار واياها وابن حيون وحسون الى السجن حيث ابيها ، فتمّ اقتران حسون ببثينة عند رضى الاهل اجمعين

المصادر

لم يعتمد شوقي في رواياته التمثيلية على سوى التاريخ ، وان اقلع عنه فليستبدله بالاسطورة.

ولا حاجة بنا للعودة الى التاريخ ونقل صفحاته المديدة . انا نكتفي بالاشارة الى تلك الصفحات التي نرجح ان شوقي استند اليها في رواياته ، فيطالعها من يريد :

لكليوباترا وانطونيوس اخبار في التواريخ الرومانية كلها. وليرجع الباحث عن مصادر « مصرع كليوباترا » الى تاريخ « Humbert et Petitmangin »[1] في الصفحة ٢٢٠ وما اليها.

وليراجع تاريخ قمبيز ما ورد من اخبار هذا الملك الفارسي واخبار همجيته وقسوته في *Maspero, Histoire ancienne des peuples de l'Orient* ، وذلك في الفصل الثالث عشر الحامل اخبار افتتاحات العجم حيث وردت اخبار قمبيز وامازيس وبساميتك الثالث ، وافتتاح مصر في السنة ٥٢٥ . ترى كل ذلك في الصفحات ٦٧٥—٦٩٥

وقد جاء جرجي زيدان في كتابه « تاريخ مصر الحديث » في الجزء الثاني منه ، على ذكر علي بك الكبير والمناوشات التي حصلت بينه وبين محمد ابي الذهب ، وذلك في الصفحات ٥٦-٦٦

اما عنترة والمجنون فاخبارهما في الاغاني[2] . فقد ورد للاول ذكر في :

---

١) Paris, J. de Gigord, éditeur. 2ᵉ édition, 1926

٢) المطبعة المصرية ببولاق

الجزء الاول	ص ١٠٦
الجزء الثاني	ص ١٢٧
الجزء السابع	ص ١٢٥
الجزء التاسع	ص ١٤٨
الجزء الحادي عشر	ص ٣٨
الجزء الخامس عشر	ص ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ - ١٥٢

والثاني ذكر في الطبعة الحديثة من الاغاني وفي الجزء الثاني منها ، من الصفحة الاولى الى الصفحة ٧٢ [1]

اما اميرة الاندلس فاخبارها في Dozy [2]

موقف شوقي من التاريخ

وماذا كان موقف شوقي من التاريخ ؟

الحق يقال ان شوقي لم يدرك واجبات الروائي تجاه التاريخ ، اذا ما اتخذ الروائي التاريخ مصدرًا لرواياته . وليس من الامانة الادبية في شيء ، ولا من حسن الذوق الفني ، ان ينزو الروائي التاريخ باقل حوادثه في عمل عماده الاكبر الخيال ولذته الكبرى ما فيه من جديد الاحداث وعذب الابتكار.

ان يستوحي المؤلف الروائي التاريخ فينقل عنه حادثة من حوادثه المشهورة ويتفنن في عرضها ، اذ يضفر على حواشيها مشاهد ومواقف تقرب بالروح منها وترتبط بالاحتمال اليها ؛ فليس هذا من المستنكر . امّا ان ينقل الروائي التاريخ مدخلًا عليه بعض الاخطاء الفظيعة ليوهم القرّاء انه تحرّر من قيوده وتفلّت من حباله . فهذا ما لا مبرّر له ، وما يمجّه كل ذي ذوق سليم وادب صادق.

ولم يكن شوقي ، في وقفته تجاه التاريخ ، كما سترى ، الا هذا الثاني ، اذ انه كان يكتفي بان ينظم شعرًا الحوادث التاريخية كما عرضت ؛ ولم يتعب في اخضاعها لقواعد المسرح والتمثيل مقدمًا ما يجب تقديمه ، مؤخرًا ما يجب

١) الاغاني - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - الطبعة الاولى

٢) Dozy, *Histoire de l'Espagne* II, p. 150 et s.

تأخيره ، ومهملًا ما لا منفعة له فيه ان لتحسين واقعة الرواية او لتصوير شخصيات اشخاصها ، وان لزيادة ، اية كانت ، في محسنات الرواية التمثيلية .

ونحن لا نرجئ تبيان هذه الحقيقة الى وقت آخر . وانما نسعى ، من ساعتنا ، الى جلاء الموقف ، فنعرض للقراء صورتين : صورة اولى يتراءى لنا فيها « مجنون ليلى » شوقي ، واخرى توقفنا تجاه المجنون في التاريخ ؛ فيرى القارئ هنا ما لشوقي فيها فيبقيه له ، وما للتاريخ فيعيده للتاريخ .

مسألة يجب ان تعلم قبل كل شيء وهي ان مجنون شوقي هو المجنون العامري قيس بن الملوّح بن مُزاحم بن عدس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، الذي نقلت لنا اخباره في كتاب الاغاني وفي الصفحات المشار اليها . ذلك ان غير واحد لقب بالمجنون وكلهم كان يشبّب بليلى كما حدّث الاصمعي قائلًا : « سألت اعرابيًا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال : عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُموا بالجنون فعن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذي كان يشبّب بليلى فقال : كلهم كان يشبّب بليلى . فقلت : فانشدني لبعضهم »[1] فانشده هذا لمزاحم بن الحارث المجنون ، ولمعاذ بن كليب المجنون ، ولمهدي بن الملوّح . — ومهدي هذا اسم آخر ذكره بعض الرواة عانين به قيس بن الملوّح المقصود في بحثنا .

نقطة اولى وقف عندها شوقي حائرًا وهي مسألة جنون قيس ، فسمعناه يقول تارة بلسان منازل — والكلام عائد لقيس —

تؤذّيني ، زياد ، وانت ظلّ لمجنون ، وراوية لماذي [2]

وبلسان ليلى :

وقيس ذو جِنّة ، وان زعموا جنونه مدّعى ومصطنعا
تمير الناس في جنون فتى لا عقل الا بشعره ولعا [3]

وبلسان المجنون نفسه :

« عامم لا يقولون : فتى مشتركُ اللبّ » [4]

١) راجع ذلك في الاغاني (طبعة دار الكتب المصرية) ٢ : ٦
٢) مجنون ليلى ٢٠ ٣) مجنون ليلى ١١٦
٤) مجنون ليلى ٥٠

وهذا :

ليلى ، لعلّي مجنون يخيّـل لي لا الحيّ نادوا على ليلى ولا نودوا (١

وتارة نسمعه يصرح بالمكس ، نافياً عن قيس الجنون ؛ من ذلك تصريح منازل وشهادة القوم بها . قال منازل :

ان قيساً كامل في عقلـه ؛ أو آنتم على قيس الجنون ؟ (٢

فيجيبه الناس مقسمين :« لا ورب البيت »

ولم يكن شوقي في هذا المقام الا مجارياً التاريخ حيث تقاسمت الاراء في هذه المسألة ، وحيث رأينـا علماء الانساب والمطلعين على اخبار العرب لم يجمعوا على اقرار الجنون في قيس. فنهم من سلّم بجنونه ، وهم الكثيرون ، ومنهم من حاول نكران ذلك كالاصمعي الذي حدث حماد بن طالوت بن عباد قال :

« لم يكن مجنوناً بل كانت به لوثة احدثها العشق فيه » (٣

وكابن سلام الذي قال :

« لو حلفت ان مجنون بني عـامر لم يكن مجنوناً لصدقت ، ولكن توله لما زوّجت ليلى وايقن اليأس منها » (٤

فشوقي في مجاراته التاريخ ، واقفاً معه ما بين انكار الجنون عن قيس واثباته عليه ، جعل صاحب « النظرات التحليلية » — والنظرات هذه بحث نقدي جاء في ذيل رواية المجنون — ان ينفي الجنون عن قيس مستشهداً ببعض اقوال لـه صائبة كان يتلوها المجنون عندما يُحدث عن ليلى او تذكر له ، كحديثه لليلى قبل اغمائه للمرّة الاولى في الفصل الاول[٥] ، وحديثه لها في الفصل الثالث قبل ان يغمى عليه للمرّة الثالثة ، اذ كان يناجي ليلى وحبّها مناجاة العاقل ويقرر وينفي ويناقش في منطق سليم[٦] كما قال صاحب النظرات . وكذلك قوله عن حديثه ساعة وقف على مقربة من دار ليلى وحبّها الجديد حيث تصوّر صوراً لا يمكن ان تخطر في خيال عاقل .

---

١) مجنون ليلى ٤٦ — ٢) مجنون ليلى ٥٧

٣) الاغاني ٢ : ٤ — ٤) الاغاني ٢ : ٨،٣

٥) المجنون ٢٦ — ٦) المجنون ٥٢

ولو تريث الناقد قليلاً قبل اطلاق حكمه لما فاته ان شوقي في هذا المقام ايضاً يزعجه ان يخالف التاريخ، فيجاريه على مزاعمه واعتقاداته. وذلك ان علماء التاريخ يقولون كما قال عثمان المرّي: انه كانت بقيس جنة «اذا ذكرت له ليلى نشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يخطئ حرفاً»[١].

والآن فلننظر الى مظاهر هذا الجنون اهي هي في مجنون شوقي ومجنون التاريخ؟ متبعين ذلك بنظرة الى قيس العاشق وصفات عشقه، وما الى هنالك من الاوصاف التي اتصف بها المجنون.

لقد جاء في شوقي — والكلام صادر عن ابن عوف — :

ما باله يطأ التراب حافياً ويقطع اليد ممزق الردا (٢

وجاء ما يوازي ذلك في التاريخ وهو قول لعثمان المرّي :

«كان — قيس — لا يلبس ثوباً الا خرّقه ولا يمشي الا عارياً» (٣

وجاء في شوقي ان احداث الحيّ كانوا يأتونه وينشدونه الشعر والغزل[٤]. فيصدّهم عنه حاصباً جماعاتهم بالحصى كما شهد ذلك ابن عوض عندما قال مخاطباً نصياً :

انظر، نصيب، ضجة وصبية ورجل يرمي الصغار بالحصى (٥

اما ما كان يقوله الاحداث فهو :

قيس عصفور البوادي ومزار الربوات
قيس كشفت الذارى وانتهكت الحرمات (٦

قابل ذلك بقول عثمان المرّي :

«كان يلعب بالتراب والحجارة ... ويأتيه احداث الحي فيحدّثونه عنها — اي ليلى — وينشدونه الشعر والنزل» (٧

وبما قاله رجل من بني مرّة من انه خرج اليه ولما رآه قيس تناول حجراً يرميه به[٨].

---

١) الاغاني ٢ : ١٦
٢) المجنون ٣٦
٣) الاغاني ٢ : ١٦
٤) المجنون ٣٧
٥) المجنون ٣٨
٦) المجنون ٣٧
٧) الاغاني ٢ : ١٧
٨) الاغاني ٢ : ٤

وجاء في شوقي ان قيساً اضرب عن الاكل، وذلك فيما قاله زياد :
بـالله قيس الا اكلت (١

فيلاحظ شوقي بقوله :
يشتدّ ميل قيس عن الطعام

وتزيد بلهاء هامسة لزياد :
زياد ، ما ذاق قيس ، ولا همّا

وكان قد جاء في التاريخ خبر لعبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن ابيه عن جده قال :
« اختلط عقل قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب » (٢

وجاء في شوقي ان قيساً كان يهيم ويظل متشرداً في مغارب البلاد ومشارقها، كقول منازل :
تشرّد مستطلماً في البلاد ، وجُنّ فما ازداد الا نُهى (٣

وقال جني من العفاريت الذين كانوا بصحبة الاموي ، شيطان شعر قيس :
لقد ضلّ الطريق ، أما تراه يمقّق باليمين وبالشمال ؟
وقد قلب الثياب عليه نهجاً على عاداتهم عند الضلال (٤

وشهد قيس على نفسه اذ قال :
ربِّ ، الى اين انتهت بي السُرى وايّ وادٍ انزلتني ، يا تُرى ؟
عمايَ في الشام ؟ لعلي جزته ؟ او انا بالطائف ؟ او اين انا ؟ (٥

وكان عثمان المرّي قد تكلم عن هيامه اذ قال : « فهو يهيم » (٦

ولم يأت ذكر الشام فيما ذكرناه من شعر قيس عرضاً . وانما كان قد بلغ قيس الشام في تشرده ، وذلك عند حدّ قول هشام بن الكلبي :
« وصل قيس الى الشام وكان يسأل من يمرّ به : اين نجد ؟ » (٧

جنّ قيس فلم يفتقد آله وانسباءه هذا الجنون نظراً لظواهره التي رأيت

١) المجنون ٣٢
٢) الاغاني ٢ : ٣٥
٣) المجنون ١٩
٤) المجنون ٩٣
٥) المجنون ١٢
٦) الاغاني ٢ : ١٧
٧) الاغاني ٢ : ٢٢

ومن البديهي ان يقوم والد قيس ، وكان لم يزل في قيد الحياة ، بامر شفائه مما هو فيه ، وهكذا كان . وقد اطلعنا على ذلك شوقي في قول زياد لابن عوف ، عندما اشار عليه هذا ان يذهب بالمجنون الى الكعبة للاستشفاء ؛ وهاك ما قال زياد :

رويدًا ، سيدي ، مهلا ! فلا تستترب الامرا
لقد سقناه بالاس ، فحج الكعبة الغرّا
فلما لمس الركن ، ومست يده الستر ا ،
وقلنا : الآن من ليلى ومن فتنتها يبرا ،
سمعناه ينادي الله من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال ؟

زياد، متابعاً: ما تاب من العشق ، ولا استبرا
ولكن قال : يا ربّ ملكت الخير والشرا
فهات الخير ، ان كان هوى ليلى هو الضرا ،
وان كان هو السحر ، فلا تبطل لها سحرا !
ويا ربّ ، هب السلوى لغيري ، وهب الصبرا ،
وهب لي موتة المضنى بها لا ميتة اخرى (١

وكأن شوقي احبّ ان ينظم شعرًا ما قاله هشام الكلبي عن ابيه نثرًا من ان ابا قيس قاد ابنه الى مكة وقال له :

«تعلّق باستار الكعبة واسأل الله ان يعافيك من حبّ ليلى فتعلق باستار الكعبة وقال : « اللهم زدني حبًا لليلى ، وبها كلفًا ، ولا تنسني ذكرها ابدًا . » فهام حينئذ واختلط فلم ينضبط » (٢

هذا ما حضرنا عن جنون قيس، وهذا كل ما جاء في رواية شوقي عن اصله ومظاهره . فلنتكلم الآن عن عشقه الذي هو في نظر المؤرخين ، ونظر شوقي، علة هذا الجنون . اما كيف نشأ هذا العشق وما هي مظاهره فهذا ما سنجد باظهاره فيما يلي :

يقول شوقي ، فيما يخص اصل عشق قيس لليلى ، بالرأي الذي يأخذ به معظم المؤرخين . اما هذا الرأي فادلى به شوقي في مقالين مختلفين اولهما قول قيس مخاطباً ليلى :

---

١) المجنون ٤٢-٤٤ ٢) الاغاني ٢ : ٣٢ -

تنالي الى ذكرى الصبا وجنونه ، واحلام عيش من دد وأسان

...

ولم تكُ تدري يوم ذلك ما الهوى ولا ما يرود القلب من خفقان (١

وثانيها قول قيس تجاه جبل التوباد :

جبل التوباد ، حيّاك الحيا ! وسقى الله صبانا ورعى !
فيك ناغينا الهوى في مهده ، ورضعناه ، فكنت المرضعا ؛
وعلى سفحك عشنا زمناً ورعينا غنم الاهل معا
هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا ، وكانت مرتعا (٢

ونحن نعلم ان ابا عمرو الشيباني وابا عبيدة قالا في نشأة هذا الحب ما قاله شوقي :

« ان المجنون كان يهوى ليلى وهما حينئذ صبيان فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي اهليهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا .... » (٣

اما مظاهر هذا العشق فهي ان مجنون شوقي قال الشعر واجاد في ساعات هيامه، ولم يكن مجنون التاريخ ليقصر عنه في هذا المضمار فقد كان شاعراً فذّاً. كان عشق قيس يثير فيه الشعور فيقول الشعر فيزيد هذا العشق عشقاً فيغمى على قيس من وجده. ان قيس التاريخ كان سريع الاغماء كثيره. وقد رأينا الاغماء يعاود قيس شوقي عندما يأتي في طلب النار من دار ليلى ويسرّها ما به[٤] ؛ وعندما يسمع صنار الحيّ ينشدونه غزلاً ويذكرون له اسمها ؛ وعندما يشخص امام حي ليلى ، بصحبة ابن عوف ، ويرى ليلى في حيها المضطرب بين الرماح والسيوف[٦] . وقد شهدنا ابا المهدي ينصح اتباع قيس بان يكبّروا في اذنيه فيصحو[٧] ؛ ثم عندما اطلعه بشر على وفاة ليلى حبيبته[٨]. وهي صفة اقرّها له التاريخ فقال فيها مهدي بن سابق :

« ان قيساً صادف حيّ ليلى راحلاً ولقيها فجأة فعرفها وعرفته فصعق وخرّ مغشياً على وجهه » (٩

---

١) المجنون ١١٣–١١٤ ٢) المجنون ١٢٣
٣) الاغاني ٢:١ ٤) المجنون ٢٦
٥) المجنون ٢٨ ٦) « ٥٢
٧) « ٧٢ ٨) « ١٤٠ ٩) الاغاني ١٤

ونقل خبرًا كهذا ايضًا نوفل بن مساحق والقحذمي[١].

وقد ضمّ شوقي الى هذه المظاهر مظهر البكاء، فاسمعنا قيساً يقول:

وكم جدت على الرملِ ولم ابخل على العشب
بدمع مثل دمع الشكل منزوف من القلب[٢]

وهذه ظاهرة لم يتعب المؤرخون باثباتها له، فضلاً عمّا قاله هو في نفسه عن بكائه ودموعه.

وقد تجلّى عشقه بعلامات، غير الجنون والاغماء والبكاء، اهمها الهزال والصفرة فقال شوقي في ذلك — والكلام صادر عن جنّي اسمه هبيد —:

تأمل قيساً المضنى تجده ، من الذوبان ، أصبح كالخيال[٣]

وهاك ورد يرى قيساً فيقول فيه:

لمّاه ابن سبيل يجرّ بالحيّ مرًّا
انى رآه سقيماً يجرّ ساقيه جرًّا

رفيق: عرفت من هو؟

ورد: قيس به الغرام إضرًّا[٤]

وهاك قول منازل:

هو ابن الملوّح دلّ الهزال عليه ونمّ اضطراب الخطا[٤]

وهاك قول ليلى:

ابني، ما تراه كالغصن الذا وي نحولًا وكالنيب اصفرارا[٥]

وهما صفتان — الهزال والصفرة — حدّث عنهما ابن مسكن قال:

«... واذا معهم فتى ابيض طوال — اي مفرط الطول — كاحسن من رأيت من الرجال على هزال منه وصفرة، واذا هم مشتملون به، فسألت عنه فقيل لي: هذا قيس المجنون»[٦]

وحدّث عنهما التاريخ في قوله:

ولم يبقَ الا الجلد والعظم عارياً ولا عظمَ لي، ان دام ما بي، ولا جلد[٧]

امّا كيف كان يقوم المجنون بواجب هذا العشق فقد قال مجيباً في رواية شوقي:

كم جئت ليلى باسباب ملفّقة ! ما كان اكثر اسبابي وعلّاتي ! [٨]

١) الاغاني ٦٦ ٢) المجنون ٥٠
٣) المجنون ٩١ ٤) المجنون ١٠٤
٥) « ٣٩ ٦) الاغاني ٢٢-٢٣
٧) الاغاني ٦٥ ٨) المجنون ٢٢

فنشتم من هذا البيت انه كان كثير التردد الى بيت ليلى ممهدًا لنفسه الطريق باسباب ملفقة . ولم يكن يأتي بهذه الاسباب الا في سبيل الاجتماع بها والتحدث اليها .

وقد اثبت التاريخ الشيء نفسه في قول رباح بن حبيب العامري حيث جاء :

« كان المجنون اول ما علق بليلى كثير الذكر لها والاتيان بالليل اليها والعرب ترى ذلك غير منكر ان يتحدث الفتيان الى الفتيات » (١

وهو القائل :

« . . . وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره اجمع حتى اذا امسى انصرف » (٢

اما ما نراه عند شوقي من ايفاد هذا وذاك الى ليلى ، فهذا ناتج عن اهدار الخليفة دمه ، فهو ان عرض لآل ليلى قتلوه ، لا لخجل منه او جزع من القيام بحضرة من يحب .

قال شوقي :

حلل السلطان بالامس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟

وجاء في الاغاني :

« حدث الهيثم قال . . . ولم يسمح للمجنون بدخول الحي قال القوم : « لا والله لا يدخل المجنون منازلنا ابدًا او يموت فقد اهدر لنا السلطان دمه » .

وليست هذه السفارات ، سفارة ابن ذريح وسفارة ابن عوف ، من مخترعات شوقي وانما وردت في الاغاني حيث جاء :

« حدث اسماعيل بن ابي اوس قال : التقى قيس بني عامر قيساً بن ذريح وطلب اليه الاول ابلاغ سلامه لليلى فمضى قيس بن ذريح حتى اتى ليلى فسلم وانتسب فقالت له : حياك الله الك حاجة ؟ قال نعم . ابن عمك ارسلني اليك بالسلام ؛ فاطرقت ثم قالت : ما كنت اهلًا للتحية لو علمت انك رسوله » (٣

وهذا ما جرى حقًا في رواية شوقي لابن ذريح الذي نراه في الفصل الاول في المشهدين الاولين[٤] . ولم تكن سفارة ابن عوف الا تاريخية ايضاً ، وقد نسبها شوقي لابن عوف ، ولي صدقات بني كعب وقشير و . . . وقد قام بها في الحقيقة

---

١) الاغاني ٤٣ ٢) الاغاني ٤٤-٤٥
٣) « ٦٣-٦٤ ٤) المجنون ١-١٤

خليفته نوفل بن مساحق الذي تولى الصدقات في السنة الثانية. ونحن نكتفي، لاظهار الدور الذي مثله هذا في رواية شوقي، بايراد الحادثة كما جاءت في التاريخ:

« ولي ابن عوف صدقات بني كعب وقشير.. فنظر الى المجنون قبل ان يستحكم جنونه فكلمه، وانشده فاعجب به... فاخذه معه في الجمع... جاء رهط من رهط ليلى واخبره بأمته وانه لا يريد التجمّل به وانما يريد ان يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يجواها فاعرض هذا من قيس... ووليت الصدقات في السنة الثانية نوفل بن مساحق وعنه رويت حادثة الثوب... وخطبة ليلى من ابيها لقيس... وهياج الحي وحرمانه الدخول اليه » (١

فجلّ ما غيّره شوقي في هذه الحادثة انه مزج ما حدث لوليّي الصدقات وقيس ونسب كل ذلك لوليّ واحد هو ابن عوف.

هذا. وقد نسب شوقي الى مجنون ليلى صفات خارجية باتت تحبّب النساء فيه جمعها ابن ذريح بقوله:

وقيس، يا ليلى، وان لم تجهلي، زين الشباب؛ وابن سيد الحمى
لم تدر في حيّك او في حيّه فتى حكاه نسبا ولا غنى
ولا جمالًا... (٢

وكلها صفات ذكرها ابن مسكن بقوله:

« واذا معهم فتى ابيض طوال جعد كاحسن من رأيت من الرجال » (٣

واتمها عثمان المرّي اذ قال:

« كان قيس اجمل الفتيان » (٤

وهكذا فاننا نرى تقيد شوقي المفرط بالتاريخ، وما لهذا في ذمته في اخراج رواياته، وخاصة في اظهار شخصية قيس المصوّرة اعلاه... اجل! ان قيسنا مجنون، وهو مجنون على طريقته، ولم نطلب من شوقي يوماً ان يصوّره لنا متعقلًا، مماكساً في ذلك الحقيقة التاريخية، وانما رغبنا اليه لو صوّر هذا الجنون بطريقة تعرف به لا ينقل فيها التاريخ واسلوب التاريخ... وهو لو فعل لكان جنونه على غير ما هو عليه من الروعة والجمال... والذوق الفني.

١) الاغاني ١٦-١٧
٢) المجنون ١٣
٣) « ٢٢-٢٣
٤) الاغاني ١٥

ولم يقلّ تقيـد شوقي بالتاريخ في علي بك الكبير ، وقمبيز ، ومصرع كليوباترا ، واميرة الاندلس ، عنه في مجنون ليلى.

الا ان شوقي ، على ما شهدنا عنده من الاحتفـاظ بالحوادث التاريخية ، لم يكن يحسن المحافظة على الحقيقة التاريخية او قل على جوهر التاريخ.

وذلك ظاهر في عنترة على الاخص ، عندما يصوّره لنا وعبلة تجول فيهما روح القومية الحية فيدعوان الى الوحدة العربية وعندما لا يحسن تصوير « السيد العربي » فيما نسبه لمالك ابي عبلة ، كما سترى .

فما هو مستند هذه الدعوة من التاريخ ؟

مما لا مراء فيه ان ذاك العربي ، ربيب الصحارى الواسعة الارجاء ، الممتدة الاطراف ، الذي حُكم عليه ان يعيش معتزلاً ، منفردًا باعضاء اسرته كان لا يحلم بالوحدة ولا يشعر بتلك الروح ، روح القومية التي نُسبت اليه . وجلّ ما كان يفكر به هو ان يحمي قبيلته فتبقى له مراعيه ومواشيه ويحـافظ على نسائه من ان تُسبى . واذا تمّ له ذلـك كان يغالب جيرانه على مـاء آبارهم وحشيش مراعيهم ليحقق حياة ماشيته المتعلقة بها حياته وحياة اهله .

وقد اخذ ابن خلدون بهذا الرأي في صفحات من مقدمته حيث بيّن كيف « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك »[1] وانهم « ان تغلبوا على اوطان عامرة اسرع اليها الخراب »[2] والتاريخ العربي باجمعه كفيل بتبيان هذه الحقيقة .

وقد قال ما يقابل ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتابه « Le Berceau de l'Islam » . وجاء له في احد اعداد « المشرق »[3] ما يلي :

«ان البدوي رجل فردي ولهذا لم يرتقِ قط الى مستوى «الحيوان الاجتماعي» فيؤلف نظاماً سياسياً واجتماعياً ثابتاً . وان تلك الصفـة الفردية وحدهـا تشرح ما نراه في البدوي من عدم الاخـلاص للمصلحة العامـة المشتركة » ولاحظ انه جاء في سفر التكوين (١٦: ١٢) في وصف اسماعيـل جدّ العرب

١) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص١٠٧ الفصل ٢٨
٢) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص ١٠٥ الفصل ٢٦
٣) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

هذه الصورة: «ويكون رجلاً وحشياً يده على الكل ويد الكل عليه وامام جميع اخوته ينصب مضربه»... وقال: «ما ذاك الا لانه عاجز عن ان يرتفع، بنفسه، الى ما فوق فكرة الحي او القبيلة. عاجز عن ان يتصوّر نظاماً اجتماعياً اوسع وارقى. واذا ارتفع الى شيء من ذلك بمساعدة قوة خارجية. فلا يلبث ان يرجع الى تقسّماته وتشنباته عندما تتركه تلك القوة الخارجية وسواء اكانت هذه القوّة نبوغاً سياسياً كنبوغ معاوية الاول او حزماً ادارياً كحزم زياد بن ابيه والحجاج وغيرهما... فيعود البدوي القهقرى الى فطرته الفوضوية»

فالعربي اذاً، من فطرته، فردي وفوضوي، ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان لا يمكنه، ولا بوجه من الاوجه، ان يطمح الى الوحدة... بل انه لا يمكن ان يتصوّرها.

فاين نحن، واين الحقيقة التاريخية، واين شوقي منها؟

ولم يكن شوقي في تصويره «السيد العربي» باقرب الى الحقيقة التاريخية منه مصوّراً الرجل العربي.

ذلك انه اظهر مالكاً بمظهر اللؤم والخسة في حين ان هذا لم يكن على شيء من ذلك. والا لما كان نصّب سيّداً، والعرب يتعبون في انتخاب اسيادهم.

فمن هو مالك في شوقي؟

سيد لئيم، حسود، خسيس النفس، دنيئها، لا هم له الا قتل عنترة، فارس الفرسان، وحامي القبيلة الفرد[1]. فهو القائل لسراة بني عامر اذ طلبوا يد ابنته لصخر اميرهم:

أصيخوا لي: اذهبوا، قولوا لصخر يقدّم رأس عنترة صداقا (٢

وهو القائل لضرغام في سبيل هذه الغاية:

المهر يا ضرغام غال فاجتهد ان تحذره...
اسمع، اذن، اصغ له: المهر رأس عنترة (٣

---

١) راجع عنترة ص ٢٤ وما يليها. ٢) عنترة ص ٥٦
٣) عنترة ص ٦٥-٦٦

امّا التاريخ فيعلمنا ان الخسّة واللوم والدناءة والحسد ليست من صفات السيد العربي . وانما هي صفات وسم بها شوقي مالكا ظلماً وجوراً . امّا صفات السيد العربي ، على ما ذكر الاب لامنس ، فمنها الحلم والكرم : « يجعل السيد العربي بيته مفتوحاً للضيافة ، وحديثه لطيفاً ، ولا يتطلّب شيئاً . بل يرحّب بالكبير والصغير فيبذهم جميعاً من امثاله . وهي صفات تفرض التجرّد والتضحية الدائمة وقد جمعتها حكمة العامة في امثالهم فقالوا : « سيّد القوم اشقاهم » وقالوا ايضاً : « سيد القوم خادمهم »[1]

فاين التجرّد فيمن رغب ان يجرّد رأس عنترة عن جسمه تشفياً ؟ واين التضحية الدائمة فيمن يضحي بابنته ، وبعنترة ، حامي القبيلة الوحيد ، في سبيل غايته الفردية ! ! !

وقد يكون شوقي تعمّد النقل ، في هذا الموقف ايضاً ، فنقل الاسطورة فجاء « ابو عبلاء » على ما هو عليه في روايته .

فان صحّ هذا الزعم جاز تخطئة شوقي في امرين : اولهما تحدّيه اقاويل الاسطورة المغلوط فيها ، غير عابئ بما للتاريخ من حقوق حتى على الروائي نفسه ، ثانيهما افساد روعة الاسطورة بانتقاصه منها وزيادته عليها حيث لا ينبغي الانتقاص ولا الزيادة .

ثم ان شوقي جعل من عنترة رجلاً مستهتراً ، يجتمع الى الفتيات فينازل عبلة[2] . ويذهب الى ما هو ابعد فيحمله على اختطافها من ركب بني عامر ليتزوّجها قسراً . وكلها اشياء لم يتعودها قائل :

اغشى فتاة الحي عند حليلها وإذا غزا في الجيش لا اغشاها
واغضّ طرفي ، ما بدت لي جارتي ، حتى يواري جارتي مأواها

على ان نقل التاريخ في الرواية حدا بشوقي في بعض الاحيان – وهي قليلة جدّاً – الى حسنات منها انه احسن تصوير اخلاق المماليك وفساد بيئتهم في علي بك الكبير ، فرأينا الابن يثور على ابيه ، والمأمور يخرج عن طاعة آمره

١) الاب لامنس في المقال نفسه ص ١١٠

٢) عنترة : ٣١-٤٦ ، ٨١-٨٣ ، ٨٥-٩٥

فيدبّر له الدسائس ويقتله ، ورأينا الفساد سائداً فبات يخشى الصديق الصديقَ ، على امرأته او اخته.

وقد نجح بعض النجاح في تصوير اخلاق الفرس والاسبان ، وذلك في قمبيز واميرة الاندلس.

فنحن ، كما ترى ، لا ننتقد على شوقي مخالفته للحوادث التاريخية . فلكم وددنا ان يتصرف بها . وانما ننقد عليه مخالفته للحقيقة التاريخية تلك التي رأيت ، مخالفته لجوهر التاريخ الخاصّ وروحه الخالصة اذ جعل عبلة وعنترة من دعاة الوحدة العربية فاوجد فيهما الروح القومية التي يستحيل وجودها عند قوم صفاتهم الفطرية : الفردية والفوضوية ، وصوّر « سيد العرب » عاتاً لئيماً حسوداً خسيساً ، وهي صفات لم يتفق لواحدة منها ان اتصف بها مالك السيد العربي .

نتائج هذا الموقف

لم يكن موقف شوقي هذا تجاه التاريخ بدون نتائج . فقد حدا به الى الازدواج في الواقعة ، والى مسائل اخر سنتناولها بالبحث في دورها .

واقعتان في زواية واحدة . هذا اول ما يلفت نظر القارئ في روايات شوقي ، وهي صفة اظهرناها جلياً فيا تقدم لنا من اختصار الروايات . ولا يخفى انها نتيجة تقيّد شوقي تقيداً ماديًا بالحوادث التاريخية اذ انه مهما اطنب المؤرخون في ذكر واقعة من المواقع فهم لا يأتون على ما يكفي انشاء رواية تمثيلية،ولاسيما ان شوقي كثير الاحتفاظ بذكرات التاريخ فهو يكاد لا ينقص منها ولا يزيد. فما العمل وشوقي ممن ينشئون رواياتهم على ذكر الحوادث ليس غير ؟ واين المواد لالف بيت تنظم فيطلق عليها اسم رواية تمثيلية ؟ فما كان من شوقي ، وهذا موقفه ، الا ان هبّ يضفر على الحادثة التاريخية حوادث غرامية لا صلة لها بتلك ولا لحمة ، اوجدها ولم يحسن ادماجها بصميم الموضوع التاريخي ، فجاءت الرواية « الشوقية » ذات واقعتين كما اظهرنا سابقاً : واقعة تاريخية ، واخرى غرامية اخلاقية ابعد ما يكون عن التاريخ . اما النتيجة الثانية ، والتي لا تقل قيمة عن الاولى ، فهي ان « الرواية الشوقية » قصة للقراءة والمطالعة لا للتمثيل

والمسرح ، ذلك ان شوقي نحا فيها نحو المؤرخين في تواريخهم اذ اخذ بنبط حوادث رواياته باسبابها ونتائجها كما في التاريخ وكما شهدناه فيما خص «المجنون».

المجنون يحب ليلى . فشوقي يطلعك على كيفية نشأة هذا الحب[1] على تطوره ، ونموه ، وعلى نتائجه : الجنون فالتشرد . واذا بنا تجاه واقعة تولد ، وتنمو ، وتموت ، ولا نجد احتكاكاً في الارادات المتماسكة والعواطف المتنافرة . . . فالرواية عنده تاريخ ، اشخاصه آلات متحركة تسير دوماً الى الامام . . . نحو النتيجة .

ثم ان من نتائج موقف شوقي تجاه التاريخ انه لم يعط لكل حادثة من حوادث رواياته القيمة النسبية التي تستحق ان تحتلها في الرواية[2] ، مراعياً في ذلك الفن التمثيلي والشروط المسرحية . وانما ابقى الحوادث القيمة التي اقرّها لها المؤرخون وفقاً لقوانين التاريخ . وفي هذا من الغلط ما فيه ، لان الرواية التمثيلية شيء والتاريخ شيء آخر . . . وشتان بين حقيقة الواقع والخيال .

وهكذا ترى هذا الشاعر المبدع يقيّده التاريخ في معظم مواقفه .

عنترة شوقي وعنتر غانم

وهل يجب ان نذكر بين المصادر ما كان « لعنتر » غانم من التأثير في شوقي « بعنترة » ؟

يكاد لا يداخل ، قارئ هذين الروايتين ، ريبٌ في ان شوقي لم يتعرف الى عنتر غانم . وذلك لما بين حوادثهما من التباعد والفروق . الا ان من ينعم النظر فيهما ، وان قليلاً ، يلمس بيده ما كان من تأثير غانم في شوقي بكيفية تركيب الرواية ، وطرق الموضوع ، وكيفية ايجاد العقدة وحلها .

فكيف نظر غانم الى الموضوع ؟

---

١) مجنون ليلى ، ص ١١٢-١١٤ ، ١٢٢

٢) « مجنون ليلى » ، وفادات المجنون الى ليلى : وفادة ابن ذريح ، ص ١ . . . ووفادة ابن عوف ص ٣٨ . . . ثم مقابلة المجنون ليلى وورداً زوجها ص ١٠٢ . . . وفي غير « المجنون » كثير من هذا .

عنتر العبد ، الراعي ، ابن الأمة تعشق ابنــة الامير فبادلته حبه . ولكن كيف السبيل الى الزواج وبينهما ما بينهما من الفوارق الاجتماعية ؟ على عنتر ان يأتي اذاً بافعال تحببه الى الجمهور ، وتجعل سيد القبيلة مديناً له بخدماته . وهكذا كان اذ ذاد عنتر في مواقف عدة عن القبيلة وحقوقها ، وفتك بغزاتها. ولما كان مالك شهماً يقرّ بالجميل ويجازيه ، بادل الفعل الجميل بعمل اجمل ، وحلل يد عبلة ، ابنته ، لعنتر فتم الزواج.

امّا شوقي فنظر الى الموضوع من الناحية التي نظر اليه منها غانم فجـاءت العقدة هي هي في غانم وشوقي . الا ان هذا الاخير جعل مالكاً لئيماً ظالماً لا سبيل لارضائه ... فكانت النتيجة ان اختطف عنترة عبلته وتزوجها قسراً.

ثم ان شوقي لم ينجُ من تقليد غانم في مسائل استخدمها هــذا تحسيناً لفنه الروائي كالتي استعملها ليزيد شخصية عنــتر ظهوراً اذ جعل عنتر جـد الدعاة الى الوحدة العربية ... هي دعــاية في غانم اجل ! الا انهــا دمجت في صميم الموضوع فخفّت وطأتها تماماً، فكانت راضخة للفنّ معينته على امره، فيما اظهرته من الصفات المجيدة في عنتر.

فما كان من شوقي الا ان علق بهذه الدعاية وجعل عبلة لا عنتر ــ وذلك للتمويه والتضليل ــ بطلتها الكبرى فجاءت نافرة لا صلة لها بالرواية ، ولا نفع لها في خدمة الفن الروائي.

واظنّ ان غانماً كان اشد: تأثيراً في شوقي مما ذكرت وذلــك بدفع الاول الثاني الى معاكسته ، رداً سابقاً على القائلين بتقليده له.

في غانم ، عنتر هو الذي يدعو الى تحرير العرب ، وفي شوقي عبلة.

في غانم يظهر مالك وعليه صفات السيد العربي من حلم وشهامة . امّا في شوقي فيظهر لئيماً خسيساً ناكر الجميل حسوداً.

في غانم يتزوج عنتر عبلة عند رضى القوم ورضى ابيها . وفي شوقي يتزوجها اغتصاباً رغم انف القوم وانف ابيها.

في غانم يظهر عنتر الحقيقي ، ذاك البطل المقدام المغيف كــما صوّره لنا التاريخ وضخمته الاسطورة. فلا يجتمع بعبلة قبل الزواج ، ولا يحدثها عن حبه

لما. وفي شوقي نرى عنترة يجتمع الى عبلة غير مرة، وينازلها في كثير من المواقف، ويتوصل اخيرًا الى اختطافها من ركب بني عامر، فلا نعرف. فيه صاحب القول:

اغشى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها

وما الى ذلك مما احب شوقي ان يعاكس فيه غانمًا فجاءت معاكسته له مخالفة حقيقة الواقع كما يصورها التاريخ وكما تتناقلها الاسطورة في كل عصر ومصر. فضلًا عن انه لم يوفق الى ما توخاه، بل بالعكس، فظهر تأثير غانم فيه سلبيًا وايجابيًا ... كما رأيت.

وقبل الانتقال الى موضوع آخر احب ان اعرض للقارىء حادثة استغلها غانم، ولم يتراجع عن استخدامها شوقي، فيكون لنا فيها مثال على طريقتي غانم وشوقي، في تنسيق الرواية التمثيلية.

يزاح الستار عن الفصل الاول من «عنتر» غانم، فيكون الحي قد سبي ويكون عنتره قد اعاد عبلة ومن معها من السبيات الى آلهن. فنرى، في المشهد الاول منه، القوم يلهجون باسم عنتر وفضله ويتحدثون عن اعماله ومآتيه.

اثر هذا المشهد في شوقي فبنى عليه ثلثي الفصل الاول من الصفحة الاولى الى الصفحة ٣٥ – وينتهي الفصل عن ٤٦ صفحة – حيث نرى الحي يسبى وعبلة تدافع عن نفسها دفاعًا قويًا الى ان تغلب على امرها وتقاد مع السبيات، وحيث نرى عنترة في غطيطه وشداد ومالك يوقظانه طالبين نجدته للمدافعة عن الحي ... فيرضى بعد قيل وقال ويكر فيعود بالسبايا ويتم له النصر وينادي في الحي بالفلبة للعبسيين، فينتبط الجمهور، وينتهي شوقي حيث ابتدأ غانم. وقد يكون دافع شوقي الى هذا التطويل رغبته في استيعاب ما ورد في الاغاني[1] من حديث طويل رواه ابن الكلبي اذ قال:

«ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاستاقوا من ابلهم فتبعهم العبسيون لستنقذوا اموالهم فقال شداد لابنه: كر يا عنترة. فقال: العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وانت حر. فكر وقاتل قتالًا حسنًا فادعاه ابوه والحقه بنسبه»

---

١) الاغاني – طبعة بولاق – ص ١٤٦

وهاك ما ورد في شوقي[1]

شداد : اضجعة ، يا عبدُ ، والحيّ سبي

عنترة : من المنادي؟ سيدي! صوت ابي!

شداد : ماذا يقولون غدًا في العرب؟
يا ابن شداد!

عنترة : ما انا ابن شداد ولكن عبد يوم ويلي
لست من عبس، لا ، ولست لك ابنًا لون امي افاتني منك حتي

شداد : قم ، يا فتى عبس ، انهض ذر عن حربي وعني
اذا رددت السبايا فانت عنترة ابني

ولم نورد هذا المثل الا ليتعرّف القراء الى طريقة شوقي في التأليف والتنسيق ، فتخف عليهم وطأة المفاجأة نوعاً. ثمّ اوَ ليس في هذا الكلام برهان جديد على تقيد شوقي بحوادث التاريخ ؟؟ ... بقشوره ، كما شهدت ؟؟

امّا الآن وقد اطلنا الكلام عن المصادر فنختم هذا البحث ، منتقلين ، في بحث آخر ، الى الفن في روايات شوقي ، مظهرين مذهب هذا الشاعر في الرواية التمثيلية وما له في ذمة التاريخ من الفضل عليها ... او ما لها عليه.

---

١) عنترة — ص ٢٤ وما يليها



الامير دي جوانفيل في شمالي لبنان

اثر خطي عن رحلة ابن لويس فيليب ، ملك فرنسة ، الى لبنان

نشره لاول مرة واضاف اليه بمقدمة وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس كفرشخنا الراهب اللبناني

توطئة

حكاية المخطوطة

لما عهد غبطة بطريركنا المفدى ، مار انطون عريضة السامي الاحترام ، برئاسة المدرسة البطريركية في قصبة زغرتا الى حضرة القس سمعان عاقله ، في صيف سنة ١٩٣٣ ، انتدبنا حضرته مساعداً له في ادارة المدرسة مع القيام بتدريس الافرنسية والعربية لصف واحد . وفي شتاء تلك السنة المدرسية (١٩٣٣–١٩٣٤) كان يتردد الى المدرسة صديق حميم لرئيسها هو حضرة الوجيه السيد سليم طربيه من سبعل . وعندما تعارفنا لم يكن حظنا من صداقته باقل من حظ الرئيس . وفي بعض الاحاديث ، طلع علينا بخبر تاريخي استرعى الانتباه كله ، وهو انه يحفظ في خزانة كتبه القيمة مخطوطة جميلة موضوعها وصف زيارة الامير دي جوانفيل بن لويس فيليب ، ملك فرنسة ، الى البيت الكرمي والارز سنة ١٨٣٦ . فاصاب ذلك الخبر من قلبنا الوقع الطيب ، وسألنا السيد طربيه ان يتكرم علينا بهذه المخطوطة لنبعثها من الطي الى النشر . فوعدنا بها الى اللقاء الثاني ، ووعد الكريم صدق . فاقبل علينا بالمخطوطة المنتظرة ، وما تركها لنا حتى تأكد منا العهد الوثيق على نشرها والتعليق عليها . فشكرناه جزيلاً وانفردنا بها نقلبها ونتصفحها ، فالفيناها واقعة في ١٧ صفحة ، طولها ١٦ س .

في عرض ١٠ س. ذات خط حسن من النوع الكنسي البسيط ، وورق عادي صقيل متين ، اورد فيها مؤلفها ، وهو شاهد عيان ، تفاصيل دقيقة وافية عن مقدمات رحلة الامير دي جوانفيل في المياه الشرقية ، وكيفية وصوله الى ثغر طرابلس ، وصعوده الى اهدن ، وزيارته الارز ، وما جرى له فيه وفي البيت الكرمي ، ووقوفه اشبيناً لابنة الشيخ بطرس كرم ، كل ذلك باسلوب مسجع ، يبدو فيه التكلف ، ولكنه ذو قيمة في ذلك العصر المتأخر بالشؤون الادبية . وقد رأينا المخطوطة جديرة بالنشر لما فيها من الفوائد التاريخية ، ولكونها الوحيدة من نوعها لم ينسخها ناسخ ولم ينشرها مؤرخ بعد .

خطها — مؤلفها

اما الخطاط الذي كتبها فهو الشيخ حبيب عواد من حصرون ، ابن الخوري يوسف من صلب الشيخ ابي سليمان عواد القديم الشهير . له اليوم حفيد من ابنه خاطر هو الشيخ شكري عواد الموظف حالياً في ادارة الجمرك بالاسكندرونة . كان خطاطاً مشهوراً في عصره يجيد الخط العربي والسرياني كما تدل عليه آثاره الخطية الرائعة في كثير من الكتب الطقسية في كنائس حصرون وبعض كنائس شمالي لبنان . وقد كتب في ذيل الصفحة الاخيرة من مخطوطتنا هذه العبارة :

« كتب هذا الكراس عن امله حبيب عواد لجناب الخواجا طوبيا طربيه الاجد في ١٥ ايار سنة ١٨٣٧ صح صح صح . »

كما انه كتب على الصفحة الخارجية الاولى من المخطوطة هذه الكلمة :

« تخص جناب الخواجه طوبيا طربيه المحترم . »

اما مؤلفها فقد ترجح لنا ، بعد البحث الطويل ، انه طوبيا طربيه ، مقتنيها ومستنسخها بحرص واعتناء ، الذي يرد ذكره مراراً في تضاعيفها ، وقد واكب الامير في من واكبه من المشايخ والاعيان من اهدن الى الارز ذهاباً واياباً ، ولازم حاشيته طيلة وجوده في الشمال ، فوضع مشاهداته في هذا الكراس الفريد بنوعه في كل البلاد . وهو من اسرة طربيه السبعلية ، من انبل الاسر اللبنانية ، وجدها هو العلامة الشرقي الشهير المطران اسحق طربيه الشدراوي .

الامير دي جوانفيل ، بطل المخطوطة

هو فرنسوا - فردينان - فيليب لويس ماري دورليان ، المعروف بالامير دي جوانفيل ، ثالث اولاد لويس فيليب ملك فرنسة . ولد في بلدة نوبللي - سور - سان ، القريبة من غابة برلونية على ضفاف السان . دخل في مدرسة الجيش البحري سنة ١٨٣٤ ؛ وتعين ضابط دارعة سنة ١٨٣٦ . ولما ابلى احسن بلاء سنة ١٨٣٩ ، في احتلال حصن سان جان دولوا ، وامام ڤيراكروز ، كوفئ بالترقية الى قائد دارعة . وسنة ١٨٤٠ احضر الى فرنسة رفات نابوليون . وسنة ١٨٤٣ اقترن بالاميرة فرانسواز دي براغانس شقيقة بطرس الثاني امبراطور البرازيل (١٨٣١-١٨٨٩) ، ورزق ولدين : فرنسواز التي وُلدت سنة ١٨٤٤ وتزوجت من دوق دي شارتر سنة ١٨٦٣ ، وبطرس دوق دي بانتييڤر الذي ولد سنة ١٨٤٥ . وكان ، في سنة ١٨٤٣ ، قد تعين اميرال الاسطول الفرنساوي واعطي لقب « امير فرنسة القديم » ، وسنة ١٨٤٤ تولى قيادة الحملة البحرية التي دمرت ثغر موغادور على شاطئ الاطلانتيك في مراكش . وقد احرز بثورته الحامية على وزير ابيه ، غيزو ، زعامة شعبية كبرى . وسنة ١٨٤٨ لحق بوالده المتنازل عن العرش الى المنفى . وعبثاً ازدلف سنة ١٨٧٠ الى حكومة « الدفاع الوطني » ، وحاول ارضاءها بجهودات عنيفة وخدم جلى ذهبت ادراج الرياح . لكنه في سنة ١٨٧١ انتخب عضواً في المجلس الوطني ، ورُدَّ عليه منصبه في الاميرالية البحرية . وفي سنة ١٨٧٥ اعتزل السياسة وقضى حياةً منفردة الى ان توفاه الله في باريس سنة ١٩٠٠ ، وهو من شخصيات فرنسة ورجالاتها اللامعين .

ترك مؤلفات قيمة في شؤون البحرية الافرنسية مع كتاب نفيس ضمنه مشاهداته وتذكاراته من سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٤٨ واسماه مذكرات قديمة ، « Vieux souvenirs » طبعه في باريس سنة ١٨٩٥ .

موضوع المخطوطة في نظر المؤرخين

اهتمَّ المؤرخون المعاصرون لزيارة الامير دي جوانفيل هذه ، وكتبوا عنها

نبذاً موجزة لكنها طريفة وعلى اهمية من القيمة التاريخية . واول ما يجمل بنا ايراده من اقوالهم مـا كتب الامير دي جوانفيل نفسه في كتاب مذكراته الذي تقدمنا ذكره منذ هنيهة . وهذه ترجمة ما جاء بالحرف في صفحته ٩٨—٩٩ :

« ومن طرابلس سورية توقلت في جبل لبنان حتى قمته[1] فوقع نظري على مشهد من البلاقع والمجاهل فسيح الارجاء ، سحيق الاطراف ، تتوسطه خرائب بعلبك وصحاريها . وهناك تحت ظلال الارز الجبار كانت لنا مأدبة برية (او حقلية) (champêtre) مع بطريرك لبنان[2] ورهبانه[3] . »

ثم يقول : « وفي اهدن ، حاضرة الموارنة وعاصمتهم ، استقبلني الشيخ بطرس كرم ، الشيمان من الايام ، باعظم ما يمكن من الحفاوة الملوكية . واريق عليّ من ماء الورد العطر ما كدت اكون تحت وابلـه الغزير في حمام او مغطس ، حتى انني اتفت من رائحته على عطريتها الزكية . وقد كان وصولي اهدن موافقاً عيداً عظيماً فيها يشغل الاحتفاء به شعبها بجملته ، وهو عرس ابنة[4] الشيخ بطرس كرم . وكل الامة المـارونية (كذا!) قد هرعت الى هـذا العرس في ملابس العيد ، وهي ارومة جمال في الوجوه الصبوحة والقدود الهيفاء . يسترعي افرادها الانظار خصوصاً بملابسهم وعمائمهم الشرقية اللبنانية . وقد وقفت شاهداً (اشبيناً) للعروس ، فوضع على رأسهـا ورأسي ايضاً اكليلان متساويان ، وقت الاحتفال برتبة الاكليل الكنسية . واذ ذاك ارتفعت العروس تحت خمارها فوقع الاكليل عن رأسها . وبعد الرتبة قابلتني سافرة دون خمار ، فاذا بها على اسرار جميلة للغاية في زي معجب جداً . على انها لا تعد من الثانيات . »

ومن كتبوا عن زيارة هذا الامير لبيت كرم[5] والارز ، المطران نقولا مراد

١) اي قمة الجبل الذي فوق الارز رأساً ، كما سترى في النص المخطوط .

٢) هو البطريرك يوسف حبيش الشهير .

٣) يريد الحاشية البطريركية من الكهنة الدائليين الذين خالهم رهباناً .

٤) كاترين التي تكللت على الشيخ نعمه المثي كما سيجيء .

٥) اشتهر البيت الكرمي في اهدن بضيافته وحسن استقباله اشتهاره بتأصله في النبل والمجد . وقد حل فيه كثير من العظماء والوجهاء . نـذكر منهم في القرن الاخير الكونت

المارونى من قرية عرامون كسروان في صفحة ١٦ و٣٦ من نبذة تاريخية عن الموارنة وعلاقاتهم بفرنسة، طبعت في باريس سنة ١٨٤٤ . وما جاء فيها عن الزيارة ستقرأه مفصلاً في نص المخطوطة عما قليل . فلا حاجة الى اثباته هنا .

ثم نسيم نوفل، كتب عن موضوع المخطوطة بعض الشيء في كتابه « بطل لبنان » المطبوع بالاسكندرية سنة ١٨٦٦، صفحة ٢٥٣ . فوصف بالاخص حفلة الزفاف بكل دقائقها مما سنثبته في حاشية خاصة عند ذكر المخطوطة .

واخيراً جاء حضرة البحاثة الفاضل الخوري اسطفان البشملاني بكتابه القيم الضافي عن تاريخ بطل لبنان وعنوانه « لبنان ويوسف بك كرم » . فاستعان بما كتب المطران مراد ونسيم نوفل، على ما دونه حضرته عن زيارة دي جوانفيل للبيت الكرمي في كتابه المذكور صفحة ١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ . فعليك بذلك هناك .

واليك، بعد هذه التفاصيل، وصف زيارة دي جوانفيل للارز والبيت الكرمي في نص المخطوطة بعبارتها المسجعة وحرفها الواحد :

دي جيرامب، من الرهبان الكبوشيين، في ١٨ ايلول ١٨٣٢ ؛ ثم الشاعر الفرنسوي الكبير الفونس دي لامرتين في اول نيسان ١٨٣٣ ؛ ثم الامير دي جوانفيل بطل مخطوطتنا، في السنة ١٨٣٦ . وحلّ الدار الكرمية سنة ١٨٣٩ ابراهيم باشا الفاتح المصري . ثم المونسنيور ميلن الرحالة النمسوي الشهير سنة ١٨٤٨ . وكذلك اقام في ضيافة هذا البيت اوجين بوجاد، قنصل فرنسة العام في بيروت بعد السنة ١٨٤٥ . ثم الكونت دي باري ولي عهد فرنسة، سنة ١٨٦٠ . وفي السنة التالية زارها فؤاد باشا، ناظر خارجية تركية، ورئيس اللجنة الدولية للنظر في حوادث ١٨٦٠ . وممن زارها من العظماء البرنس اوف وايلس، ولي عهد الملكة فيكتوريا سنة ١٨٦٢ . ثم ولي عهد سكوتية . واكثر متصرفي لبنان قبل الحرب . والكثير من القناصل والقواد والاميرالية الاجانب، وجم غفير من كبار الرحالة، ورجال الدين والدنيا من شرقيين وغربيين .

[١] تذكرة

بزوغ شمس سليل السلطنه الفرنساويه

في اقاصي الديارات الشرقيه

١ً مقدمات السياحة وظروفها[١]

ان جلاله الملك المهاب المنتصر ، لويس فيليبوس الاول المظفر[٢] ؛ سلطان الجماهير الفرنساويه ، وصاحب العزه القيصريه؛ لما تسنم معالي ذروات العز والافتخار، وجلس على سرير سلطنه فرنسا ذات الاقتدار ؛ قد وجّه فكره الشفاف ، نحو اشباله الاتراف ؛ موثرًا ان ينظم كلًا منهم بمقام ، كما حسن لرأيه الملوكي القوام. فاخص النجل الاول[٣] ذا اللطافه ، والمتولي بعده الخلافه ؛ بشرف مقام سام ، اي سر عسكر[٤] عام . واخص النجل الثاني المصان[٥] برياسه الالآيات الخياله الفرسان ؛ ومميناً بصصامه الابتر ، لسعاده اخيه الاكبر .

اما النجل الثالث المجيد ، والشبل الفتاك العنيد ؛ العالي الشان ، والمتوقد الجنان ، الاثيل الامير فرديناند دورليان ، برنس دي جوانفيل ؛ قد حسن لارادة ابيه السنيه ، ان ينظمه مع الجيوش البحريه ؛ لكي بعد ان يتقن

---

١) ان كل ما ترى من التناوين المتسلسلة والنقط والفواصل « ، » والرجوع الى السطر عند اللزوم هو من وضعنا .

٢) ابن الامير فيليب ايكاليته والاميرة لويزا دي بوربون . ولد في باريس سنة ١٧٧٣ تسنم عرش فرنسا سنة ١٨٣٠ . تركه سنة ١٨٤٨ لحفيده الكونت دي باري الذي كان والده دوق دورليان قد مات سنة ١٨٤٢ . ونفي الى كلارمون بانكلترة حيث توفي سنة ١٨٥٠

٣) دوق دورليان شارل هنري المعروف بدوق دي شارتر الذي ولد في باريس سنة ١٨١٠ وتوفي سنة ١٨٤٢ ، وهو والد الكونت دي باري ، ولي عهد فرنسا المذكور.

٤) إصطلاح تركي معناه رئيس العسكر وقائده .

٥) دوق دي نيمور لويس شارل فيليب . ولد في باريس سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٩٦

استعلام هذه المعيه ، يحرز الارتقاء درجه فدرجه ؛ حتى الى وظيفه سرعسكر البحار ، وضابط عمارات دولته البحريه في كافه الاقطار.

ففي الحال لبى هذا الابن المطواع ، صوت جلاله ابيه المطاع ، وارمى بنفسه في البحار العباب ، رهينه السفن والاخشاب . واذ كان الامر معلوماً من عامة الانام ، ان ضابط العمارات البحريه العام ؛ يلتزم في كل الممالك ، ان يخوض جميع البحور ويتجرع التهالك ؛ فلهذا قد التزم هذا النجل المنصار ، ان يستتبع هـذه الاثار ؛ فيتدجج بتوى اسلحه الرحمن العاليه ، ونهج اولاً بلاد ايطاليـه . ثم سار ثانيه ينفس سارّه ، ناجماً جهات انكلاترّه . واخذ ثالثاً يقطع البحور [٢] وينحو جزاير اسور[1] ؛ خايضاً بعزم نشيط ، مخايض البحر المحيط . وفي الرابعه قـد اثر الترب ، الى جزاير العرب . ثم فاء بعدُ من هذه الاسفار الشاسعه ، الى المدينـه المتملكه باريز الشمس الساطعه . فتقدم بامر عظمه ابيه المزوم ، الى فحص فاحصي غزاه البحور حسب الرسوم . فظهر بعـد الفحص فطحلاً شجاعاً ، وبطلاً جراعاً ، متمعناً بهذا الفن ومتعلقـاته ، ومدركاً كامل غاياته . ففاز من ابيه بالمحظوظيه ، وبالاحرى ، قد حاز التقدم من وظيفه الى اخرى . ولا زال يرتقي سؤدد المعـالي ، ويتولى المراتب والموالي ؛ الى ان حاز من الوظائف العظام ، رتبه قيقام .

٢ العزم على السفر والتأهب له

ثم راق ايضاً لاراده ابيه السنيه ، ان يرسله خامساً نحو الامصار الشرقيه ؛ فلبى صوت ابيه الخطير ، واسرع للسفر دون تأخير . ولما حل بركابه الشريف المصون ، في احـدى مداين فرنسا المعروفه بطولون[2] ؛ الشهيره بينا الحروب ،

---

١) وبالافرنسية (Açores) وهي مجموعة جزر في الاوقيانس الاطلانتيكي الشمالي على ١٣٠٠ كيلومتر من البورتوغال ، وعددها ٩ : سانت ماري ، سان ميشال ، تيرسايرا ، سان جورج ، غراسيوزا ، فايال ، بيكو ، كورفو ، فلوريس . وكلها اليوم تحت الحكم الافرنسي .

٢) من اعظم الثغور الحربية . موقعها على الشاطئ المتوسط شرقي مرسيلية . وسكانها اليوم ١١٥٬١٢٠

والترس الموقي من الخطوب . فتأهبت هذه لاستقباله ، مبتهجة باقباله ؛ واثارت المدافع برًا وبحرًا من جهاتها الاربع ، فغدت اصواتها كالرعود من كل مربع . واذ كان قد خرج الامر الكريم الموقر ، من سعادة وزير ومدير امور البحر المظفر ؛ ان يعدّ لركوب سعادة الامير المومى اليه مركوبًا امينًا ؛ وهو احدى الفراقاتات المعروفة بالايفيجينا[1] الشهيرة بحمول معلوم من المدافع ستون مدفعًا ، ومن الرجال خمسمائة واربعة عشر جدعًا[2] ؛ تحت مناظرة الرجل الشهير الامين ، قبودان باشي المعروف في برسفال دوشين[3] . وأعِدَّ ايضًا بصحبتها البريك[4] ، المسمى دوكديك[5] ؛ الشهير بحمول معلوم من المدافع اثنان وعشرون مدفعًا ، ومن الرجال مايتان وستة عشر سميدعًا[6] ؛ تحت مناظرة الرجل الباسل الشمشم ، الكرمندانت بريت المفخم[7] .

---

١) محرفة وصوابها ايفيجينيا Iphigénie او Iphigénia ، وهو اسم تاريخي شعري لابنة اغاممنون بطل الاغريق الاعظم ، وقد قدمها ابوها ضحية الى الآلهة لينصروه على أعدائه الطروادبين . اتخذ قصتها نوابغ الروائيين موضوعًا لاعظم آثارهم التمثيلية مما هو زينة ام المراسح في العالم. ولشهرة هذه الابنة اطلق اسمها على الدارعة التي اقلت دي جوانفيل في سياحته هذه. وقد ذكرها هو في « مذكراته القديمة Vieux souvenirs » ، صفحة ٩٤

٢) لفظة عامية يراد بها الشجاع .

٣) Parseval Deschênes ، وهو الكسندر فردينان اميرال الاسطول الفرنسي الشهير . ولد سنة ١٨٠٩ وتوفي سنة ١٨٦٠ . وجاء ذكره في الكتاب المذكور : «المذكرات القديمة» صفحة ٩٤

٤) لفظة افرنسية (brick) معناها مركب شراعي ذو صاريين مربعين .

٥) تحريف دوكوّيديك Ducouëdic وهو اسم شهير قديم لشارل لويس احد ضباط البحرية الافرنسية البسلاء . ولد سنة ١٧٤٠ ومات صريع الوغى سنة ١٧٨٠ ، وتخليدًا لذكره اطلق اسمه على هذه السفينة المذكورة ايضًا في كتاب « مذكرات قديمة » صفحة ٩٣

٦) والصواب سَمَيْذَع معناها السيد الكريم الشريف الموطأ الاكناف والشجاع . وغلط من كتبها بالدال المهملة وضم السين .

٧) محرفة ايضًا وصحيحها بُروَا (Bruat) وهو ارمن جوزيف الاميرال الافرنسي المشهور ولد ١٧٩٦ وتوفي سنة ١٨٥٥ . وكان رفيق دي جوانفيل في هذه السياحة ، كما ورد ذكره في صفحة ٩٢ من المذكرات المعهودة .

٣ً الشروع في السفر

ومن ثم قد تحرك ركاب سعادته السعيد ، الى هذا السفر [٣] البحري المديد . ولما دنا من جزيره مالطه ، بنفس رضيه غابطه . فلم يرغب ان يتحول عن التيار ، بل ظل خائضاً البحار ، وقاطعاً الطرقات ، من غير التفات . ولما بلغ لمدينة اثينا الزهيه ، الشهيره بكرسي المملكه الروميه ، فحصل هناك لمقامه الفخام ، استقبال ملوكي سام . ثم تحرك من هناك بالمسير ، الى ان بلغ ازمير ، ومنها الى رودس ، ثم جزيرة قبرص . ولما انه اقترب من لاذقيه العرب ، فلم يشاء ان يدنوا الفراكاته الى المرسى ، ولا ان يلقى به مرسى . بل اخذ فلوكةً صغيره ، وبمعيته قبردان باشي والنفار يسيره ، وخرج للاسكلة المومى اليها ، فاقام نحو ثماني ساعات فيها . ثم انعكف للادبار ، لتكميل ما عليه من الاسفار .

الوصول الى ميناء طرابلس

ولما كان اليوم الـ ٢٩ من شهر ايلول النفيس ، والساعه الـ ٩ من النهار المعروف بالخميس ، وسنة المسيح الجزيله الشرف واللطف ، الواقعه في عدد ست وثلاثين وثمانمايه والف ، قد اشرقت شموس هذا النجل الهمام ، في نواحي مدينه طرابلس الشام . واذ كان موجوداً بهذه المدينه ، الشاب اليقظ اللطيف ، والرجل الفطن الشريف ، الحميد الشيم والمزايا ، والحسن المناقب والسجايا ، مسيو جفروا[١] القرنساوي المكرم ، قنصل دوله فرنسا المفخم . فهذا اذ شام اقبال المراكب ، ولم يدرِ من هو الراكب ، فمن دون ان يخلع عنه ملابسه النير الزريفه ، ويتسربل باسمال[٢] الوظيفه ، قد قام فوراً وبمعيته الكنشلير ،

---

١) جهدنا كثيراً لتعريف هذا القنصل فلم نظفر بذكر له ، لا في مذكرات دي جرانفيل ولا في قاموس الاعيان العام .

٢) يعني الاثواب . والاسمال : ج . سَمَل ومعناه الثوب الخَلَق البالي . ولم يقصد به المؤلف هذا المعنى .

وجد كلاهما بالمسير ، لينظرا من المفاجي ، وهل ثم خبرٌ ومناجي . فلما بلغا المينا حيث الشاطي ، واذا بفلوكه مقبله عليهما من غير تباطي ، وضمنها احد ملازمي عسكر فرنسا المنصور ، اتياً لاحضار القنصل المذكور . فسأله القنصل من هو كومندانت الفراكاته القادمه ، وما هي المأموريه اللازمه ؟ اجاب الملازم بانه لا يعلم شيئاً اخر ، سوى ان النجل السعيد المظفر ، سليل السلطنه [٤] الفرنساويه ، قادم بهذه الفراكاته الزهيه ، وهو صاحب الامر الجزوم ، في احضار القنصل المرقوم . فارمى على الفور القنصل والكنشلير نفسيهما بالسفينه ، وسارا عاجلين من غير سكينه . فلما انتهيا للفراكاته السعيده ، قيل لهما ان سعادته جالس على المايده . فبلغ خبر وصولهما المقدم ، لسعاده قبودان باشي المفخم . فنهض حالًا عن الطعام ، واستقبلها بكل انس واكرام . وبعد ان حياهما بالسلام ، احجم فورًا لدى النجل الهمام . فاستأذنه بادخالهما لديه . فدخلا وامتثلا بين يديه . فحازا من لطفه الرفق والمشاشه ، اذ صادفا منه كل لطف وبشاشه . ثم امرهما بالجلوس ، فجلسا طايبي النفوس .

السعي لزيارة الارز

وبعد هنيهه اظهر للقنصل المار ذكره ، ما ارتاح اليه توقد فكره ، سايلًا اياه ان كانت تمكن زياره ارز لبنان ، بعد ثلاثه ايام من الزمان . فاجابه القنصل بالايجاب ، وانه ليس هو من الامور الصعاب . فامره حينئذٍ بسرعه التأويب[١] ، لاستحضار ما يلزم من المراكيب . وانه في الساعه الثامنه من النهار الثاني ، سيكون السفر الملوكاني .

فلباه القنصل مسرعاً بالرجوع ، وتمم المأموريه من غير هجوع . واذ كان القنصل يعلم بتحقيق ، لزوم سعادته لقطع ليلتين بالطريق ؛ فسبق ولحظ ان المحل الموافق المدن ، هو القريه الشهيره باهدن . حيث ان هناك يستولي على نهار سفر سعادته الاسفار[٢] ، ويلتزم به لاخذ الراحه من عي الاسفار . واذ كان

١) اي المآب والرجوع . اعتمده المؤلف للسجع .

٢) عبارة مضطربة المعنى والمبنى تفسرها الجملة بعدها : « لاخذ الراحة من عي الاسفار ».

متقدم المحل المذكور، معلوماً بل ومحبوباً من القنصل المنفود[1]؛ وهو الرجل الماروني الشريف النسب، الزكي العرف والفسيح الرحب؛ المحب الدوله الفرنساويه العظمى، الشهير بالشيخ بطرس كرم[2] اسماً ومسمى. فلهذا امسك القنصل [٥] ساعياً (رسولاً) بالحال، وارسله للشيخ المومى اليه من غير امهال. فاخبره ما وقع عليه الخاطر، من صاحب السعاده والمفاخر. وان توجه سعادته هذا سيكون بصفه سايح في الغبراء، لا كابن الملوك والامراء.

وعند غد ذلك الصباح، المدّ للسفر الاغر المصباح؛ قد حضر لدار القنصليه، جناب الاجل الماجد المفرد، السنيور جورجي كاتشفليس[3] قنصل الانكليز الامجد. ثم شقيقه الاجل الاحشم، السنيور خريستوفي قنصل فرنسا المحترم. ثم افتخار الأماجد الكرام، الحاج صالح افندي وكيل متسلم طرابلس الشام[4]. واظهروا للقنصل ما حوته الاراده، وانهم آتون لملاقاة صاحب السعاده. فتوجهوا والقنصل من غير احجام، وصحبتهم جمع من الخدام؛ آخذين بجد الذهاب والمسير، الى حيث هو سعادة الامير. وفيما هم بوسط الطريق مجدين الاقدام، واذا بسعادته قادم على الاقدام؛ وبمعيته احد الملازمين الشهير بالكولير انوته[5] المنازي، ووكيل الاسكلة المعروف بمصطفى غازي؛ فتقدموا لاستقباله، وتشرفوا بقبلة اذياله. وقدّم القنصل لديه الخيل المعده لركوبه، واعرض ان اهبه السفر تهيأت حسب مرغوبه. فامر ان ترسل عشره روس من الخيل اخرين، لركوب ساير الاتين. منهم مسيو برنيت وقبودان باشي، وسته

---

١) اي المكشوف. عنى بها المذكور او المعروف لاستقامة السجع.

٢) والد يوسف بك كرم.

٣) او كاتسفليس. وهي من انبل اسر الروم الارثوذكس في بلادنا، اغريقية الاصل من جزيرة كورفو اليونانية في البحر المتوسط. برز منها شخصيات وجيهة اعتمدها الدول المسيحية قناصلها في طرابلس.

٤) هو خلف مصطفى آغا بربر، ولم نظفر باسمه على رغم بحثنا، وعسانا بكتشفنه في بحوثنا عن تاريخ بربر الآخذين بتكوينه.

٥) احد رفاق الامير دي جوانفيل. وقد نشدنا اصل اسمه بالافرنسية في ام المراجع، فوجدناها مع « المذكرات القديمة » ابتاً غفلاً من اي ذكر لهذا الرجل وعائلته.

من الاوفيسياليه (الضباط) الحواشي. ولا سوى مما تقدم ، الا نفرين من الخدم. فلباه القنصل بما ذكر ، وارسل الخيل حسبما امر. ثم انعكف للاياب سايراً صحبة الركاب.

٦ زيارة طرابلس

ولما بلغ سعادته للمدينه المحميه ، عرّج الركاب لحي القنصليه الفرنساويه. فاقام به يسيراً من الزمان ، وذهب للمدينة السابقة البيان. فجال كافة شوارعها واحياها، الى ان [٦] اكمل الثانيه من مرءاها. ثم توجه نحو ذلك المحل، المعروف بالتل ؛ وكانت وقتيذٍ الساعه الثامنه من النهار، المرسومه لاخذ طريق الاسفار. نفي الحين عينه اقبل سعاده قبودان باشي وساير الاعوان ، فنفر سعادته للركوب كالاسود الشجعان. وامر ان يكون المذكورون والقنصل من المسافرين بركابه الشريف ، ومعهم ايضاً الشاب الانيس والفرع النفيس اللطيف، الخواجه موسى بنينو[1] ترجمان القنصلية الفرنساويه ، وجمهور من ابناء الديانه المسيحيه.

في طريق اهدن

ثم اخذوا يجدون السير ، بعدوٍ يحاكي خفة الطير. وقبل ان يناهزوا الوفود ، لمحل اهدن المعهود ، قد انتهوا الى طرقات شاقة شزونه ، ودخلوا العقبه الشهيره بجبرونه[2]. واذ كان هناك قد شاخ النهار وانهزم ، ودجن الليل واعتم ؛ وشق التسيار ، وكثر العثار ؛ فاستحوذت عليهم عوارض الحيره ، واستولى جمهم ظلامُ البصيره. وفيما هم بهذه الحال المكفهرة ، يقاسون نوايب شديدة مرّة ؛

---

١) بنينو ، لغةً ، لفظة ايطالية معناها الولد الصغير . واصطلاحاً هي اسرة لاتينية نبيلة شهيرة نزحت الى طرابلس حول سنة ١٧٢٦ من جزيرة كورسكا ، فاعتمدت فرنسة اعضاءها قناصل ووكلاء قنصلياتها في طرابلس وحماه وبيروت .

٢) لفظة سريانية اصلها ܓܒܪܘܢܐ تصغير ܓܒܪܐ ومعناها ارض وعرة ذات تلال ومناور . وهي طريق عقبة تطرقها الارجل صعوداً ونزولاً بين اهدن وساحل الزاوية وطرابلس . موقعها شرقي قريتي سبعل وايعلو وراء حرج اجبع الجميل .

اذا قد تخيّل امامهم رجل ماشي ، من رعاه المواشي ؛ فسُئل من القنصل : من ذا المرانس ، بالليل الدامس . فاجاب الموحى اليه ، بانه من رعاه مواشي الخواجه طوبيا طربيه[١] ، حبيب السايل ، ومجيب المسايل . ففرح القنصل اذ سمع حسن جوابــه ، لا سيا اذ هو خاصة احبابه . وقال له فترغب اليك اذاً ان تكون من حفظة نعم ، وتدلج امامنا على القدم ؛ موقداً بازاينا مصابيح النار ، لتنقذنا من هذا العثار . فلباه الرجل من غير احتجاج ، واخذ بايقاد المصابيح والاسراج .

الاستقبال في اهدن

ولما دنوا من الوصول الى اهدن [٧] وتلك الطلول ، اسرع القنصل بارسال الخبر ، للشيخ بطرس المحرر . اما الشيخ المذكور اذ كان يؤمل هذا الاقدام ، قبل دجون الظــلام ؛ قد كان صنع نهاراً الاستعداد الفاخر ، للقاء سعادة هذا الليث الظـــافر ؛ وخرج من القريه هو وبنوه وساير اقربايه ؟ وجمع غفير من خواصه واصدقايه ؛ سايرين مسافه بعض اميال ، ينتظرون اقبال صاحب الجلال . ولـمـا اطالوا المكث وداهمهم الظلام ، وابطا سعادته عن الحلول والاقدام ؛ فاستحوذ على جمهم ضعف الرجا ، بقدومه بذلك الدجا . ولـمـا حصلوا بهذا الارتياب ، انعكفوا للاياب .

وفيما هم في الهذيذ (الحديث) والمنافسه ، في ثالث ساعه من تلك الدامسه ؛ اذا قـد وقف في بهرة جمعهم احد الشبان ، ونشر عليهم بشرى قدوم سعادته بذلك الان . فهبَّ الشيخ وبنوه وجميع من حضر ، هبّة البـارود عند ملتقى الشرر ؛ اخذين بايديهم المصابيح والشموع المسرجه ، متسابقين للملاقاه الشريفه المبهجه . واذ بعدوا قليلاً عن المحل ، واذا بركاب سعادته قـد حل . فساروا امامه باحتفال طابت به النفوس ، حتى الى الغرفه المهيّأة للجلوس . فجلس بمكانه واجلس بحضرته كافـه اعوانه . ثم حضر الشيخ الموحى اليه (بطرس كرم) ، وامتثل متهيباً بين يديه . وبعد ان استعلمه سعادته اخـذ بالمشاشه ، وانثنى

١) مؤلف المخطوطة على رأينا ومنتيها ، راجع التوطئة .

يخاطبـه بكل رفق وبشاشه . ثم اجلسه عن جانبه اليمين ، وهكذا اجلس ساير الحاضرين فاسدوه وجلاله والده القاهره ، مواجب الدعوات المتواتره.

الليلة الاولى في البيت الكرمي

وبعد ان مضت ساعه من الزمان ، واخذ راحته كل عيان ؛ فامر سعادته باحضار العشا ، فحضر فورًا حسبما شا . فجلس على المايده واجلس بشماله الشيخ بطرس عن يمينه والقنصل عن شماله . ثم الملازم موسير ازته المعتبر ، وقبودان باشي الموقر ؛ والكومندانت [٨] بريت ذي الاكرام ، والاوفيسياليه الستة الكرام. واذ كان الشيخ وقتيئذٍ مهتماً بصدفه غير مظنونه ، بترويج ابنته كاترين الكبرى المصونه بخطيبها الشاب الشهير المعروف بالشيخ نعمه الغشي[١] ولد الشيخ لطوف. وانه في اليوم الثالث من تشرين سعاده النجل الامجد ، والثاني من تشرين الاول المحكم يوم الاحد ؛ ستكون حينئذٍ حفلة السرور والابتهاج ، باتمام اكليل هذا الزواج . فلهذا قد كان العرس يومئذٍ بادي الاستعداد ، حسب عاده البلاد ؛ قـائماً محفله بذلك المغنى ، بالطرب والفرح والرقص والغنا . واذ كان المحفل ملاصقاً بيت العروس ، حيث وجود سعادته وساير الجلوس ؛ فسمعوا وهم على المـآكل ، ضوضاء العرس والمحفل : الطبول بالرجيج ، والزمور بالصفير والضجيج . فسال سعادته عن المغنى ، فأعرض لديه من غير استئنا . وبعد ان انتهى من المآكل ، قد رغب الذهاب الى المحفل . فذهب وبمعيته جميع من كان واخذ يتفرس باعمال المكان . فاقام نحو ساعة من الزمان ، متعجباً في منظر كنا جديد العيان . ثم انعم على اولى الرقص بما اراد . ونهض للرجوع والمعاد ، فراقه له الوسن والرقـاد ، لاخذ الراحه من الطراد . فذهب لمخدع منامته ، وهكذا جميع عزوته .

١٠ زيارة الارز بموكب عظيم

وبعد ان خطف من النوم نحو اربع ساعات ، قد هبَّ هبـه القطاحل الى

١) اسرة شامية يرتقي اصلها الى اوائل القرن الرابع عشر . سميت بذلك لان جدها يقال عنه انه كان طاهيًا ماهرًا عند حاكم الشام .

الغارات ؛ مريداً بذلك السحر، تكميل ما عليه من السفر. فامر بشد الركبان، واخذ بالكد لارز لبنان. فسار وبمعيته خواصه وحواشيه، والشيخ بطرس وابنيه[١] وابن اخيه[٢]، والخواجه طوبياطربيه والشيخ خطار الشدياق[٣]، وغيرهم كثيراً من الرفاق، ركاب خيل وازلام، وشرذمه من الخدام[٤].

ولما اقبلوا على ذلك الارز، المتقدم عنه الرمز ؛ فدخل سعادته والبقيه ، تحت [٩] ظلال تلك الاشجار البهيه . واخذ يتأمل بنباتها الراسخ ، ويتفرس بارتفاعها الشامخ . ثم جسامة اجسامها الجسيمه ، المخبره عن احقابها القديمه . اذ قد بلغت كمية غلاظه احدى هـذه الاشجار ، استدارة خمسة باعات رجال كبار . فتحقق حينئذٍ لدى سعادته والجميع ، ان هذا الارز المقدس الرفيع ، هو عين الارز المقطوع منه الخشب المظيم ، الى هيكل سليمن الحكيم . بل هذا الذي كان به قول النبي داود اعظم برهان، وهو ان الصديق ينمو كالارز في لبنان. وقول النبي الاخر النبيل : « هلمي من لبنان يا عروسي للتكليل » . وبالتالي هذا هو الارز المثنى بمدايح موتلفه ، والمنعوت بتقريظات مختلفه ؛ بعبارات جزيله مؤسسه ، على الاسفار المقدسه . وناهيك من وجوده في سفح ذلك الجبل الاسيل الاملد ، في بقعه جليله بشكل مفرد ؛ حاوي المـاء العذب ، والنسيم اللطيف الرطب ؛ والمنـاخ اللين الحسن ، والمشهد الشهي السكن . وما احلا المقال الناذر ، الذي قاله في مثله الشاعر :

وقـانا نفحة الرمضاء نادٍ   سقاهُ مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحهُ فحنى علينـا   حنوَّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظماٍ زلالاً   ارقَّ من المدامـة للنديم :

١) يوسف بك ومخايل بك.   ٢) حبيب بك كرم.

٣) هو ابن خال بطل لبنان وحفيد الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المؤرخ الشهير و « شيخ مشايخ الجبة » من قرية عينتورين الكائنة في بطن الجبل بين اهدن ودير قزحيا. وهي اسرة عريقة ونبيلة جدهـا الشدياق توما . تفرع عنها مشايخ بيت رفول في قرية اجبع ومشايخ بيت عبد النور في بنشعي (عن قلائد المرجان المخطوط).

٤) وقال عن ذلك نسيم نوفل صفحة ٢٢٦ ، انه كانت تنحر الخرفان بالمئات من اهدن الى الارز طول الطريق ذهاباً واياباً في ذلك الموكب الملوكي.

يصد الشمس أنّى واجهتنا   فيحجبها ويأذن للنسيم [1]

فلهذا قد استوعب سعادته من ذلك مزيد السرور ، بل امتلأ من البهجه. والحبور. واخذ يرسم بيده اللطيفه صوره تلك الاشجار الشريفه.

١١ بين دي مواتيل والبطريرك الماروني

واذ كانت قد بلغت من الليل الماضي ، بشرى تشريف سعادته هـذه الاراضي، الى غبطه السيد الكلي القداسه ، والسامي اللطف والرياسه ، صاحب المحبه القدمى ، لدوله فرنسا العظمى ، الشهير بمار يوسف [2] بطرس بطريرك الطايفه المارونيه ، في ساير الاقطار الشرقيه [١٠] . فحالما سمع غبطته بهذه البشرى السنيه بل المنة الكبرى العليه ؛ قد ارسل لاهدن كاتم اسراره ، لاستبار الخبَر المارّ تذكاره ؛ لكي اذا ما تحقق غبطته اقبال سعادة صاحب الجلال ، يتوجه فوراً للقا. والاستقبال . واذ بلغ كاتم الاسرار لاهدن ليلاً ، واذا بسعادته وتتيـنـز متبلاً . فتقدم كاتم السر لناديه ، وامتثل بين يديه . ثم اعرض للمسامع الشريفه ، عن غايه مجيئه بتلك الليله الحالكه الكثيفه.

---

١) هذه الابيات لشاعر حلب الشهير ابي نصر المناذري. وهي في اصلها خمسة اهمل المؤلف خامسها وهو :

« تروع حصاه حالية العذارى   فتلمس جانب العقد النظيم »

انشدها المناذري في حضرة ابي العلاء المعري الضرير حيث جمعتهما صدفة في الشام ، متغنياً فيها بوصف وادي بُزاعة قرب حلب . وبعد الانشاد قال له ابو العلاء : « انت اشعر من بالشام ». مرت على ذلك ٧ سنوات وجمعتهما صدفة اخرى في بغداد فانشده المناذري خمسة ابيات اخر على نفس الوزن والقافية . فقال له المعري : « ومن بالعراق ». عطفاً على قوله السابق في الشام ، قبل ٧ سنين. وهو مثال اعلى اقامه ابو العلاء من قوة الحافظة وشدة الذكاء وسرعة الابتداء. وحبذا لو ابقاها المؤلف على اصلها خارجةً من فم المناذري. ففي البيت الاول وضع « نفحة » عوض « لفحة » « وناد » عوض « وادٍ » ، وفاته ان اللفح للحر والنفح للقر. وفي الثاني اتخذ حللنا بدل نزلنا ، وهذا ما قال المناذري لا ذاك . ثم اخطأ في كتابة « حنى » والصواب « حنا » لان مضارعها يحنو، كما لا يخفى. وفي الثالث اعتمد كلمة «ارق» مكان « الذّ » ، وعهدُ المناذري بالثانية دون الاولى . اما البيت الرابع فيحمد الله على السلامة. واما الخامس فقد عصبه الاهمال من نكبات اخوانه.

٢) البطريرك يوسف حبيش (١٨٢٣ – ١٨٦٥).

فاخذه سعادته بوجه مانوس ، وامره بالجلوس. اما كاتم السر المذكور ، عندما تحقق الخبر المسفور ؛ فهمَّ واخبر غبطته عجلًا ، وان يكن الوقت ليلًا .

ولهذا فقيا ان سعادته متزه الالحاظ الالمعيه ، بشهد تلك الاشجار البهاظ البهيه ؛ اذا بغبطه السيد المومى اليه قد اقبل ، وبمعيته جمهور من الخدام والحلل[1] واذ بلغ سعادته خبر اقباله ، امتلأ فرحاً وتأهب لاستقباله. وذلالةً على انه سليل تلك العيله الملوكيه الشريفه ، المجمله بحسن الديانه المسيحيه الغرّاء المنيفه ؛ فلهذا حالما اقترب غبطته لحاه ، فرَّ منتصباً وجدَّ السير لقاه ؛ وحيّاه تحيات التقاه الكرام ، واجل مقامه الروحي اجلالًا فايق المقام. وكان هكذا اول خطاب سعادته مع سيادته : « انه ليصعب عليَّ جدًا مما الَمّ بسيادتك من الثقله والعنا ، في حضورك بسببي لهذا المنا ». فاجابه غبطته هكذا :

« يا له من امر عجيب ، وشرفٍ سامٍ غريب ؛ الشرف الذي حازته هذه الامصار ، الامر الذي ما اخبرت عنه سوالف الادهار . وهو انه قد وجد ههنا فرع الشجره الملوكيه ، وسليل السلطنه الفرنساويه ؛ الحارسه في كل اقاصي البريه ، حسن الديانه المسيحيه [١١]. ومن ثم ليس اني فقط لم اشعر بسفري هذا على ادنى عناء او اذا (اذى) ؛ بل بالحري قد حزت حظًا سعيدًا سامياً ، وشرفاً فريدًا متسامياً . حيث اني في هذا الوقت والمكان اللطيف ، قد تشرفت بمقابله شخص سعادتك الشريف . وسيكون لي سرور اعظم ، وشرف جزيل افخم ؛ اذا حصلت من منازلة سعادتك الوفيه ، على تشريفك الكرسي البطريركيه (قنوبين) ».

وعند انتهاء هذا المقول ، انشى سعادته يقول : « ان جميع الاقاصي الشرقيه ، منسوبه للبطريركيه المارونيه . وامر معلوم ان اشرف هذه الاقاصي بل وكل الامصار ، هو ... لبنان الكلي الشرف ... الانتخا... اني حصلت على زيارته الشريفه ، فافتكر ... زرت ذات كرسيك المنيفه ». فحينئذٍ اخذ سيادته يبدي سعادته مواجب الدعوات الخيريه الوافره ، والتوسلات

---

١) جمع حلة ومعناها المجتمع . عبّر بها عن كثرة الجمع القادم برفقة البطريرك .

التقويه المتواتره . وبسط اكف الابتهال والضراعه ، لدى صاحب الاستماع والشفاعه ؛ بحفظ عز جلاله ملك الفرنساويه ، وترس الديانه المسيحيه . وان يديم سرير سلطنته بالعز والاقتدار ، ويوبد نعيم دولته مدى الادهار . وبعد ذلك قد حسن لدى سعادته ، ان يكلف غبطته للجلوس لاخذ راحته ؛ فابى غبطته من الجلوس تلاطفاً ، حيث ان سعادته استمر واقفاً . واذ شعر سعادته بذلك ودرى ، قد جلس فوراً على الثرى . ثم انه اعدَّ بيده الشريفه ، وسادتة الظريفه اللطيفه ؛ فاجلس غبطته عليها بكل احترام . واخذ يلاطفه بعذوبة الكلام .

ولما حان وقت غداء ، كلف غبطته للجلوس حذاه . واخذ يستمثل نحوه واجبات الموايد ، بمناولة الاطعمه حسب العوايد . وجرت بعدُ محادثات [١٢] اخر انيسه ، بموضوعات عذبه نفيسه . فاقام سيادته بحضره سعادته نحو اربع ساعات ، فكانت لديه كاضغاث حلم وفات .

١٢ وداع الامير للبطريرك

واذ كان النهار ، قد ناهز الاسفار[١] ؛ وضاق على غبطته الزمان ، لبعد مسافه الاوطان[٢] ؛ فلهذا قد حاول الاياب مستأذناً سعادته قبل الذهاب . اما سعادته قد كان امتطى جواده ، كالبطل ، راغباً الصعود الى اعلا الجبل ؛ ليقابل من هناك الاطرونه العجيبه ، والاعجوبه الغريبه ؛ بهجة الدنيا الوحيده ، الشهيره بقلعة بعلبك الفريده . لانها تتراءى من اعلا الجبل شرقي بقعه الارز الجليله ، من مسافه ست ساعات مستطيله . واذ شعر ان غبطته يحاول المعاد ، فارمى بنفسه عن سنام الجواد ؛ وتقدم نحو غبطته للوداع ، والقلب مصمى بسهم الالتياع . فودّعه بكل ودٍ واحترام ، طالباً منه الموازره بالدعا المستدام . ثم اخذ كلٌ طريقه ومضى ، كانه ساير على جمر الغضا .

---

١) جمع سَفَر ومعناه بقية النهار بعد مغيب الشمس .
٢) بين تنوبين والارز مسافة اربع ساعات مشياً .

١٣ الرجوع الى اهدن والليلة الثانية فيها

فلما بلغ سعادته الى اعلا الجبل المذكور ، وشاهد تلك القامه بواسطة الناظور ؛ قد راق له مشهد ذلك ، ثم اخذ بالرجوع طريقه السالك . ولما انتهى للارز المارّ بيانه ، امر بتقطيع حصة من اثاره واغصانه . وظل مجداً السير بالرجوع ، الى اهدن وتلك الربوع . واذ اشرف على المحل المحرر ، واذا بجموع مقبله للقاه لا تقرر ؛ رجال ونساء وحدثان ، من القرى القريبه واهل المكان . فساروا امام سعادته بالاجمال ، بغايه من الابتهاج والاحتفال . فانتهوا الى نادي الشيخ بطرس المعلوم ، في اخر النهار المرقوم . فاقام سعادته نحو ساعتين زمان ، ثم امر باحضار العشا من غير توان . فهيأه الشيخ بطرس من دون [١٣] تغاضي ، كما اعدّه باليوم الماضي .

وعند الانتهاء من الطعام ، واحضار ما فخر من المدام ؛ فنهض الشيخ منتصباً على الاقدام ، بغاية المهابه والاحتشام ؛ وانشى يقدم الدعوات اللطيفه ، والشكرانات المنيفه ، لجلاله الملك المظفر ، والريبال المصور الغضنفر ؛ صاحب السلطه القيصريه ، سلطان الابطال الفرنساويه . ثم اخذ كاساً من السلافه ، مستاذناً سعادته بكل لطافه . فرشفها بسر جلاله الملك الوقور ، سلطان الفرنساويه المنصور .

اما سعادته ، عندما شاهد ذلك ، فنزّ منتصباً على الاقدام ، اجلالاً لسر عظمة والده المفخام واعدّ عمل الشيخ بطرس هذا بانه عن نباهة رايته ، وفطنة شفافه حاذقه . واوعده بانه سيعرض لجلالة والده المطوق ، كلما بدى منه من اللطف والمعروف . وعند الانتهاء من الطعام ، وحسو المدام ، نهض سعادته للقيام ؛ ودعى لمجلسه الشيخ المومى اليه ، حضر لديه مع ابنيه ؛ وهما ميخايل ذو اللطافه ، ويوسف ذو الملاحه والظرافه . فانعم عليهم سعادته بعلبه فاخره من العسجد ، وساعه من الذهب المنضد . ثم بزوج من الطبنجات ، من منتوجات الملوك والولاة . فقبلوا امتنانه ، وشكروا احسانه . واذ بلغ وقت الرقاد ، ذهب لمخدعه كالمعتاد .

١٤ اليوم الثالث في اهدن : حفلة العرس

وفي غد ذلك الصباح ، عندما بثق الفجر ولاح ، قد نهض سعادته من منامته ، ودعى الشيخ وابنيه لحضرته . واخذ يرسم[1] في بنانه الشريفه ، صور اشخاصهم اللطيفه . ثم رسم ايضاً صورة الشيخ حبيب ابن اخي الشيخ بطرس المومى اليه ، وصورة الخواجه [١٤] طوبيا طربيه ، مشهراً بانه قد راق له لطف هندامه ، ثم رسم ايضاً صورة احد خدامه . واذ كان ذلك اليوم المسعد ، متوقعاً يوم الاحد ، الذي تم به بعد التقديس ، اكليل ذينك العروسه والعريس ؛ فلهذا قد تأهب سعادته للذهاب تأهب الفضلا ، لسماع قداس احد السادات النبلا ، المعروف بالسيد الجليل ، والراعي النبيل ، اسطفانوس[2] دويهي أسقف اهدن الزهيه ، وتلميذ المدرسه الرومانيه ؛ الذي قد كان حضر لدى سعادة الامير المومى اليه ، واسداه الدعا حسبما وجب عليه . فتقدم حينئذٍ الشيخ بطرس لدى سعاده حميد الشيم ، بقلب مملو من الرجا والشم[3] ، وتوسل اليه ان كان يشاء متنازلاً ؛ وينعم متفاضلاً ، فيصير اشبيناً لذلك التكليل ، ليكون ذلك لديه شرفاً ملوكياً جيلاً بعد جيل . فيا له من تنازل جزيل لا يستقصى ، وتفاضل ملوكي لا يحصى . فمن فرط حبه الوفور ، نحو الشيخ بطرس المذكور ، كان الجواب بالايجاب ، مجيباً التماس الشيخ بطرس ومراده ، ومتمماً له كلما اراده . وبعد الذهاب والاياب من القداس والتكليل ، بالاحتفال الجزيل[4]

---

١) كان الامير دي جوانفيل رساماً حاذقاً كما قال هو عن نفسه في كتابه « المذكرات القديمة » صفحة ٩٣ وما بعد ، انه كان يختلس الفرص مدة سياحته هذه في المياه الشرقية ويجزع الى القلم فيرسم به ما حدث له من المشاهدات براً وبحراً كل يوم بيومه .

٢) هو الحلقة الاخيرة التي انتهت عندها سلسلة الاساقفة الدوجيين الاعلام .

٣) الطمع ، ويريد به الدالة .

٤) واليك وصف هذا الاحتفال ملخصاً عن نسيم نوفل صفحة ٢٢٥ وما اليها : « ولما علم الشيخ بطرس كرم ان ابن ملك فرنسا سيكون اشبيناً لابنته اجل الاكليل الى اليوم الثالث واعلن البشائر على قرى الجبة والزاوية وعموم مقاطعات شمالي لبنان . واجتمع في اهدن يوم الاحتفال نحو ٣٠ الف رجل ينشدون ويهللون ويطلقون البارود . وكانت مراقص الفتيان

الجميل ؛ قـد جلس سعادته بمكانه ، ومَثُل بحضرته جميع اعوانه . ثم امر فحضرت العروسه ووالدتها واشبينتها لديه ، وتشرفن بلثم اذياله وامتثلن بين يديه . فاجلس العروسه بجانبه الفخام ، بغايه اللطف والاحتشام ثم اخذ كعادة الاشبين ، يهنيها بكل رفق ولين. فمكث ريثما حيّاها بالسلام ، ثم ودعها ونهض للقيام.

فامر باحضار الفطور ، فصار ذلك من غير فتور . فجلس على المايده واجلس المتادين [١٠] بالجلوس ، ثم اجلس ايضاً عن شماله قرين العروس.

١٥ مغادرة الهدن الى ميناء طرابلس

وحالمـا انتهى من الطعام ، اخذ فوراً بالسفر المقوام . فسار امامه الجمع الغفير ، بالاحتفال السابق التقرير . ولما جازوا امامه بعض اميال ، امرهم بالرجوع والمآل . ثم اودعهم وذهب ، واودعهم اللهب . فظل سايراً بركابه الوقور ، ابنا الشيخ بطرس المذكور ؛ ثم الشيخ حبيب (بك كرم) المومى اليه ، والخواجـه طوبيا طربيه ؛ والشيخ خطار الشدياق ، وبعض من الرفاق . ولما انتهوا الى ارض البقاع[1] جايزين الطرقات الشاقه ، غدوا يشدون الركبان اخذين بالمسابقه . فظهر

والنيات مالئة شوارع اهدن وفسحاتها الرحبة على قرع الطبول ونغمة المزمار ونقرة الاوتار وكانت اهـدن في تلك الليالي الزاهرة برجاً من نُور . وعندما ازف وقت الزفاف خرجت العروس من خدرها وعلى وجهها طلاء من الدقّ الوردي وثوبها من الاسطوفة المذهب ويداها مخضبتان بالحناء ، جرياً على ازياء وبهرجة تلك العصور ، والعذارى يحطن بها احاطة الهالة بالقمر . وسار الموكب بالعروس الى الكنيسة وعن يمينها سمو البرنس دي جوانفيل حاملاً بيده شمعة طويلة مزدانة بالورد والزهور . واذ وصل الى ساحة الميدان ، بين اطلاق البارود وزغردة النساء وتهليل الرجال ، عزفت موسيقى المطاربة (النَّور) بالطبول والزمور . فقام لها سموه بمبلغ سبعة الاف فرنك ، وبنصفه عند الرجوع من الكنيسة . وبعد اقتبال العروسين سر الاكليل المقدس من يد المطران اسطفان الدويهي ، طلب سموه ان يشاهد العروس في بيت ابيها . فلما وصلوا بها الى الدار رآها جالسة في معرض الجلاء وهي منمنمة اليدين . واذ علم سموه من شقيقها يوسف بك البطل الكرمي ان ذلك من العوايد الشرقية اخذ رسمها في الفوتوغرافيا وارسله الى شقيقته الدوقة ورتمبرج التي كانت ممتازة بصنعة حفر الصور . وبارح سمو البرنس اهدن بعد ساعات قليلة من حفلة الجلاء.

١) يعني سهل الزاوية في الجنوب الشرقي من طرابلس ، لا سهل البقاع الشهير.

سعادته على سنام الجواد ، شديد الهمه والطراد ؛ اخف من العقاب ، واسرع من السحاب. فجاز الجميع بالسباق ، وغادرهم يحاولون الالحاق. وما زال بالجد والكد والاقدام ، الى ان بلغ طرابلس الشام . وظل اخذاً الجدّ والالحاح ، الى المكان الشهير بسوق حراج ، المشتمل على بعض عواميد عظيمه ، تستحق ترسيمات الملوك الوسيمه . فرسم سعادته صورة ذلك ، وظل اخذاً طريقه السالك. ولما انتهى الى المينا حيث الشاطى ، اخذ فلوكه ونجع الفراكاته من غير تباطى.

١٦ وليمة الوداع في الدارعة ابفيجينيا

وبعد ان استوى على سريره الباهر ، امر ان يعد العشاء من الطعام الفاخر. ثم ارسل يدعي بوليسته المنيفه ، جميع الاتين بخدمته الشريفه . فمنهم من اعتفى لبعض موانع ، وابنا الشيخ بطرس لبياه من غير مانع . فسارا الى الفراكاته السعيده ، وتشرفا بمشهد تلك المناظر الفريده . فسعادة النجل [١٦] المنتصر ، ظل متسربلاً بحله السفر ، اما اعوانه تسربلوا بحللهم الرديفه ؛ وتقلدوا بنواشين وظايفهم الشريفه.

ثم امر سعادته باحضار العشاء ، فسار ذلك حسبما شاء . فجلس بالمكان المنسوب اليه ، واجلس ابنيّ الشيخ بطرس عن جانبيه . ثم جناب القنصل وبقيه اعوانه ، كلاً لمكانه . فأُحضرت الاطعمه الفاخره ، والمشارب المذبه العاطره ؛ المعدّه بالانيه الذهبيه ، التي لا تنعت سوى بايدة ملوكيه . وعند الانتها من الطعام ، واحضار ما فخر من المدام ، قد اثر سعادته ان يظهر زيادة حبه السامي ، وانعطافه الملوكيّ الطامي ، نحو الشيخ بطرس المحرر ، فاخذ امام كل من حضر ، كاساً من الخمر الباهر المنور ، فحساها بسر الشيخ المسفور. فانتصب ابنا المشروب بسره على الاقدام ، وشكرا احسانه ودعيا بحفظه مدى الدوام.

وكان الانتها من هذا العشا الاثيل ، في الساعه الخامسة من الليل. وبعد ذلك دعى لحضرته ، القنصل المذكور الذي كان بخدمته ، واخذ يظهر له سروره منه بما يفوق القياس ، ثم انعم عليه بثلث قطع من الماس. فتقلدها بتمام الازرار لاسماله النظيفه ، وشكر مكارمه العميمه. وحينئذٍ تأهب سعادته للسفر ،

وودع جميع من حضر ، فودعهم وفات ، واودعهم الافتتات[1].

١٧ مغادرة الشواطئ اللبنانية

ولما بلغ الى مدينه بيروت ، لم يوثر بها الثبوت ، بل ظل اخذاً الطريق اللاطيف ، حتى الى القدس الشريف . وبعد زيارته مقادس تلك الربوع ، انعكف اخذاً طريق الرجوع . ولما انتهى لجزيره مالطه ، قد ادخل نفسه تحت لوا. الشريعه [١٧] القاسطه ، متمماً بها عمل الكورانتينا حسب الواجب ، واخذ شهاب المسير من غير حاجب . ولا زال يقطع الطرقات بالمجيز ، حتى انتهى الى باريز ، فافل حينئذٍ شعاع شمس سعادته المشرق ، عن اقاصي بلاد المشرق . فغدا لبنان يعض بنان الندمان ، ويفتكر بما كان ، شعراً :

ولذاك اصبح في المذيذ بما مضى — فكأنه اضغاث حلم وانقضى
وغدا لسان الحال يهتف قايلاً — متضوراً متأرقاً متمضمضاً
فكأنه برق تالق بالحشا — ثم انطوى يا ليتهُ ما اومضا

والى هنا كانت الغايه ، مما اشرت عنه البدايه . اي بزوغ شمس سليل السلطنه الفرنساويه ، في مرامي الديارات الشرقيه . فلا زالت شموس هذه الدوله مظللة السرايا بكل الاقطار ، ومدججه باسلحه العز والفخر والبها والانتصار ، محفوفه من المولى الرحمن ، بدوام التاييد لانقضاء الدوران ، آمين .

كتب هذا الكراس عن اصله حبيب عوّاد لجناب الخواجه طوبيا طربيه الامجد في ١٥ ايار ١٨٣٧

ملحق

هذه هي المخطوطة اوردناها بنصها وفصها معلقين عليها ما رأيناه واجباً يناسب المقام . وقبل ان نمسح اليراع بوقيعة الختام نذكر ما فعل الامير دي جوانفيل مع البيت الكرمي بعد وصوله الى باريس مبتدئين بما قاله نسيم نوفل عن ذلك في كتابه « بطل لبنان » صفحة ٢٣٦ ، وخاتمين بما رأينا نحن رأي

١) كلمة من نحت المؤلف ، جاء بها لقيام السجع ، والتعبير عن الم الفراق الشديد .

المين . قال نوفل :

« وبعد وصول سموه (دي جوانفيل) الى باريس ارسل هدية ملوكيه الى العروس وهي عقد وحلق من الجواهر الثمينة وصليب معلق بسلسلة ذهبية وسوار مرصع بالحجارة الكريمة . والى والدها علبة عطوس من ذهب ثمين مرصعة بالالماس . والى كل من مخايل بك ويوسف بك بنادق من الطرز الاخير وست مسدسات . وقد رأيت برأى العين مدة وجودي باهدن تلك المجوهرات التي لا زالت محفوظة كذخائر مقدسة يتوارثها الخلف عن السلف ».

وبعد ان مرت على العروس حقبة كبيرة من السنين صارت ام بنين كثيرين . منهم الشيخ بولس المثي البطل والشهيد اللبناني المهود . وقد ازوجته امه من خزون ابنة شقيقتها حوا زوجة قبس بك الضاهر الشهير وهنأتها بالتحفة الملوكية ، هدية دي جوانفيل اليها وهي عروس . امـا خزون فاحتفظت بهذه التقدمة النفيسة العزيزة الى مـا بعد ان ماتت خالتها وحماتها السيدة كاترين ، ريانةً من الايام والامجاد ، بردح من السنين طويل . ثم باعت زوج الحلق والسوار والسلسلة ممن بحثنا عن معرفته بجد وعناء ، وعبثاً ما نشدنا وبحثنا .

امـا العقد الثمين فاشتراه منها شقيقها المرحوم بركات بك الضاهر وقدمه بعد حين لابنته السيدة حسنا تهنئة بزفافها الى الشيخ نعمة الله الضاهر في قرية كفرياشيت الزاوية . والسيدة حسنا وهبت بدورهـا تقدمة ابيها لابنتها السيدة مريانا عقيلة النطاسي الفـاضل الدكتور سعيد نخول من قرية بسلوقيت وطبيب قضاء زغرتا الحالي . والسيدة مريانا مـا زالت في ميعة الصبا ونضارة الفتوة تزين جيدها بذلك العقد الملوكي النادر . وهو بشكل سلسلة عريضة ، من الذهب الثمين جداً ، بديعة الصنع للغاية ، يتصل طرفاها بصليب ثمين محفور عليه شعار المملكة الفرنساوية بصورة زنبقة منتصبة . وقـد زرنا بنفسنا السيدة مريانا في دارها بزغرتا مـدة وجودنا السنة الماضية هناك ، فارتنا بين حلاها ذلك العقد الفريد ، وقد اخذنا صورته كما هو بالذات وتكرمت علينا بهذه المعلومات التي تقدمت عن مصير تلك الهدية الملوكية وتنقُّل العقد بالتسلسل حتى انتهى اليها على ما تقدم والسلام .

شذرات

دروس الآداب الشرقية
في السنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥

كان موعد افتتاح الدروس في معهد الآداب الشرقية[1] للسنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥ نهار الاربعاء ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤ ، فافتتحها الاب مرسيل لوبيناك اليسوعي ، رئيس المعهد البابوي الكتابي في اورشليم ، بمحاضرة عنوانها : « الممالك الآرامية في سورية ، وسيادة دمشق في القرن التاسع قبل المسيح ».

ومما يجدر بالذكر ان المعهد اعلن هذه السنة انه يعطي في آخر السنة ١٩٣٦ « شهادة اولى بالدروس الشرقية » على اثر امتحان يقدمه الطالب في تاريخ سورية وفنيقية وآثارها في العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية ، وفقاً لمنهاج خاص سينشر في ما بعد . وقد عيّن لإعداد هذا الامتحان سلسلة خاصة من المحاضرات العلمية يجد المطالع ذكرها في القسم الخامس من منهاج الدروس للسنة الحالية . اما تفصيل هذا المنهاج فكما يلي :

١ : اللغة العربية وآدابها

عواصم الادب العربي : السلسلة الثانية : دمشق عاصمة الادب الاموي .

• ١٠ امثولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف من ١٠ كانون الثاني الى ٢٣ ايار ١٩٣٥

٢ : التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

ا : مملكة دمشق الآرامية وعلاقاتها بدولتي عمري وياهو في اسرائيل .

• امثولات يلقيها الاب مرسيل لوبيناك اليسوعي ، رئيس المعهد الاثري البابوي في اورشليم . من ١٤ تشرين الثاني الى • كانون الاول ١٩٣٤

١) راجع في تأسيس هذا المعهد وغايته ، مشرق السنة الثالثة (٣٢ [١٩٣٤] ١٢٢) .

ب : الآلهة الفنيقية وطرق العبادة في فنيقية.

• امثولات يلقيها الامير موريس شهاب، امين المتحف الوطني اللبناني . من ١٢ كانون الاول ١٩٣٦ الى ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٥

ج : بعض مظاهر المدنية التدمرية، استنادًا الى الآثار . الديانة، الفنون، اللباس.

• امثولات يلقيها هنري سيريغ، مدير مصلحة الآثار القديمة في المفوضية العليا في بيروت من ٣٠ كانون الثاني الى ٢٧ شباط ١٩٣٥

د : انطاكية الوثنية والمسيحية، استنادًا الى الحفريات الحديثة.

امثولتان يلقيهما جان لاسوس، استاذ في الادب من جامعة فرنسة، وعضو المعهد الفرنساوي في دمشق . في شهر اذار.

٣ً : علم الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية الادبي والسياسي والديني منذ القرن الثالث حتى القرن الحادي عشر.

١٥ امثولة يلقيها الاب جان معيربان، الاستاذ في كلية اللاهوت من جامعة القديس يوسف . من ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٦ الى ٢١ اذار ١٩٣٥

٤ً : تاريخ الكنائس الشرقية القديمة ومؤسساتها

ا : الآداب السريانية.

٦ امثولات يلقيها الاب بولس موترد اليسوعي، استاذ الكتاب المقدس في جامعة القديس يوسف . من ١١ كانون الثاني الى ١٠ شباط ١٩٣٥

ب : الليترجيات القديمة : درس الهيكل.

٦ امثولات يلقيها الاب جان معيربان اليسوعي . من ٢٦ اذار الى ١٢ نيسان ١٩٣٥

٥ً : محاضرات عملية في التاريخ والآثار القديمة

غاية هذه المحاضرات مساعدة الراغبين في الحصول على الشهادة الاولى بالدروس الشرقية، وهي تخوض في مصادر البحث وتحليل المؤلفات ونقد النصوص، ودرس الآثار ورقيها وتنوعها . يدير هذه المحاضرات الاب رينه موترد اليسوعي . من ١٠ كانون الاول ١٩٣٦ الى ١٣ ايار ١٩٣٥

علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطات[1]

من جهود الالمان في سبيل إحياء العلوم أنهم اسسوا جمعية تساعد العلماء مساعدةً ماليــة على القيام بالابحاث والدروس التي تطلب نفقات تنوء بها قوى الافراد . وان تلك الجمعية سهّلت سبيل العمل للسيد أوتو برتزل ، فسافر الى استنبول سنة ١٩٣٠ ، واشتغل في مكاتبها ، وبذل جهده في الاطلاع على ما فيها من المخطوطات الموضوعة في علم القراءة . ورأى في مكاتب العاصمة العثمانية من الكتب في ذلك الصنف ما هو جدير بالنشر ؛ ولكن انى للعلماء ان ينالوا المبالغ للقيام بالنشرات العلمية ، والازمة الحاضرة آخذة بخناق الناس !

على ان السيد برتزل لقي في ادارة مجلة « الاسلاميات » الالمانية ، تشجيعاً على نشر لائحة المخطوطات في علم القراءة . فقدّمها الى قرّاء المجلة المذكورة في الكرّاس الاول للعام ١٩٣٣ ، وفي الكرّاسين الثاني والثالث للعام المنصرم .

عــدّ لا اقلّ من ٥٦ مؤلفاً في علم القراءة ، ورتبها الترتيب العلمي ، وقــدّم عليها بدرس في علم القراءة ونشأته ومصادره . فمنها الكتب التي تعنى بالقراءة على العموم ، وفيها ذكر للقراءات السبع ، والثماني ، والعشر وغيرها ؛ ومنها الكتب المختصة بالتجويد والوقف وعدّ آي القرآن . . .

ولم يكتفِ بالبحث عن تلك المخطوطات في استنبول ، بل استعان على الكلام فيها بما اطّلع عليه بذاته ، او بواسطة غيره ، من المخطوطات المحفوظة من هذا الصنف في احدى وثلاثين مكتبة ، اكثرها موجود في عواصم اوربة ، وبعضها موجود في القاهرة . فاشار اليها في كل مخطوط وصفه ، وذكر من المخطوط اوله ولائحة فصوله ، اذا ما كان سبيل الى ذلك .

في سنة ١٩٣١ عرّف المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٣١٨) الى قرّائه « كتــاب التيسير في القراءات السبع » تأليف ابي عمر بن عثمن بن سعيد الداني ، وقد عني بتصحيحه اوتو برتزل . وان المصحّح خصّ في المقــال الذي نحن في صدده

[1] Otto Pretzl, *Die Wissenschaft der Koranlesung*, Islamica, Heft 1, 1933 ; 2, 3, 1934

درساً بكتاب التيسير ، وحلّله للقرّاء الالمان ، واستند اليه في ذكر روايات غيره من المؤلفين فأفاد ، لا علم القراءة فقط ، ولكن علم العربية ايضاً ، لما بين علمَي التراماطيق والقراءة من الصِلات ، وقدّم على بحثه بديباجة حسنة ، وهي صفحة من تاريخ الآداب العربية يسرّنا تعريب شيء منها ، قال :

موضوع علم القراءة

علم القراءة موضوعه التلفّظ بالفاظ القرآن طبقاً لاصول وقواعد مستندة الى استعمال قرّاء القرن الاول الهجري . وهي تختلف في طرائق اللفظ ، وربما ادّت الى اختلافات في المعنى .

وقد كان لتسميع القرآن الشفهي اهمية عظيمة منذ القديم لان محمداً اراد ان يكون كتاب المسلمين اشبه بكتاب اليهود والمسيحيين ، وهؤلاء يقرأون الاسفار المقدسة في صلواتهم ويلقّنونها الناس بالسمع ؛ فسمّاه قرآناً ، دليلاً على واجب تلاوته شفهياً ولم يكترث كثيراً لتدوينه خطاً . وبعد ان مات محمد ، خشي الصحابة ان يأتوا على عمل احجم عنه نبيّهم ، فلم يجمعوا وحيه في كتاب الى ان ظهر عثمان ، ثالث الخلفاء الراشدين ، فجمع آيَ القرآن ودوّنها خطاً ، ضناً منه لا بتحديد طرق قراءة القرآن ولفظه ، ولكن بصيانته من النوافل والزوائد . فجمعت آيُ القرآن وسوره في كتاب واحد ، كان على ما فيه من المصاعب المتوترة سبيل قرآنه — وهو مخطوط بالخط الكوفي المجرّد من الحركات والتشكيل — حاجةً من حاجات الاسلام الحيويّة ، وقد صار اساس التشريع للبلاد التي اخضعها المسلمون لحكمهم . ولم يرضوا ان يترجموه الى لغاتها وتمسكوا التمسك الشديد بالعقيدة « ان القرآن أُنزل باللغة العربية فهو بطبيعته عربيّ » ، فكان ولا بدّ من ان يبقى عربياً . لكنهم قرّبوا مناله من الناس بوضع القواعد في شرحه وفهمه وتحليله ، وهذه التعليقات كانت جزيلة الفوائد لا للمسلمين غير العرب فقط ، ولكن لمن تحضّر من العرب ايضاً من اهل الامصار ، بعد مغادرتهم الجزيرة مع الفتوحات ، وقد فقدوا لهجة البادية . فوُضعت لهؤلاء قواعد العلمَين : علم الصرف والنحو وعلم القراءة . وامتاز بهما الاسلام لانهما باتصالهما بتفسير القرآن اصطبغا بصبغة دينية . وان علم الصرف والنحو وعلم القراءة

صنوان لا يفترقان ، وممثلو العلم الاول هم ايضاً ممثلو العلم الثاني كأبي العلاء العطّار ، والكسائي ، والفراء ، وابي الحسن الفارسي ، وابي عمر الداني.

لم يكن في الغرب لعلم القراءة ما كان له في الشرق من الاهمية الدينية. على ان فيه من الاهمية التاريخية واللغوية ما يجدر بلفت انظار المستشرقين. وان لم يشتغلوا فيه ، الى يومنا ، فذلك لان مصادره غير الحصول عليها في غير الكتب المستحدثة. وذلك ان مؤلفات الاقدمين ، وعليها العمدة في تحصيل العلم ، صعبة المنال لم تتداولها ايدي الناس ولم يعمل فيها العلماء رويّتهم على خلاف ما هو معهود من العلوم الصرفية والنحوية ، مع كون علم القراءة لا يقل قيمةً عن علم القراماطيق.

تطوّر علم القراءة

ان الاستاذ بركشتريسر ، من مونيخ في المانية ، بيّن في كتابه «تاريخ القرآن» (١١٦:٣) ان علم القراءة يشمل عهدين ، وان المقابلة بينهما توقفنا على تطوره ، وتعرّفنا الى اهم المؤلفات الموضوعة في هذا الصنف ، وتقدير قيمتها.

في البدء كان تعليم القرآن يقصر جهوده على تلقين قراءة القرآن وحفظه ، من غير العناية الخاصة بلهجة دون غيرها. وان كان لملقن القرآن همّ فانما هو القراءة الصحيحة من غير خلل يؤدي الى اضطراب في المعنى ؛ وان كان له طريقته في اللفظ فهي اختيارية لا اجبارية ، وهو لم يكن يجبر عليها تلاميذه.

على ان القرآن لم يكن مشكّلا بالحركات ، فكان ولا بدّ من ضبطه ، وكان الحكم في ذلك لما هو معهود بين الناس في استعمال اللغة العربية. هذا ما يظهر جلياً في كتاب ايضاح الوقف والابتداء لابن الانباري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) وهو معاصر لابن مجاهد اول من علّم القراءة واثّر في اصولها تأثيراً بالغاً. روى ابن الانباري القراءات عن القرّاء ، لكنه لم يؤدّ رواياتهم بالاستقصاء ، ولم يفرق بين القراءة القانونية وغير القانونية.

اما فيما بعد ، فتغيرت الحالة تغيّراً جوهرياً :

كان ابن مجاهد قد اختار من القرّاء الذين سمعهم سبع قراءات ، وادخل في الاستعمال الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ، ولم يدل اختياره من

الناس التفضيل المطلق لانهم بعده عدّوا ثماني قراءات ، وعشرًا ، واربع عشرة واكثر ، وهم في ذلك يتركون الحرية في اختيارها ، بالرغم من علماء الحديث واحتجاجهم بان السبع القراءات او « الاحرف » تؤدي الى تحريف القرآن . على انهم اتخذوا الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة اساسًا في تعليم القرآن، وقيّدوا مذهبهم بالقول ان القراءة سنة، فأغلق باب الاجتهاد في هذا العلم وقصر العلماء جهودهم على تفسير وفهم ما بلغ اليهم من تعليم محمد والصحابة .

فكان ولا بدّ من التعويل على الحديث لضبط القراءة . وحيث لم يكن حديث يستندون اليه في البتّ بشكل ما ، صاروا يتخذون القياس والمقابلة بين الائمة قاعدة لتلاوة القرآن . ولما كانت الحرية مطلقة في اختيار قراءة دون غيرها ، ولكل امام روايات مختلفة مع اختلاف السامعين الآخذين بها عنه ، تعدّدت القراءات ووُضعت فيها الكتب ، لكل كتاب موضوعه طبقًا لاختيار صاحبه . فللداني عن نافع كتاب التقريب ، وهو على عشر روايات ، ولابي علي الفارسي كتاب الحجة على السبعة القراءات ، ولابي علي المالكي كتاب الروضة في القراءات الاحدى عشرة . اما كتاب التبصرة ، وكتاب التيسير فلا يُذكر فيها لكلّ إمام الا قراءتان . وان الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ادّى بالطبع الى اهمال الاولى فلم يشتغل بها المؤلفون الا نادرًا ، ومن كتبهم « كتاب الشواذ » لابن خالويه ، و « كتاب المحتسب » لابن جني .

ثم دخل علم القراءة في طور جديد مع ظهور كتاب « حرز الاماني ووجه التهاني » المعروف بالشاطبية لابي القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣م) ، نظم كتاب التيسير للداني ، فصار كتابه مدرسيًا يتعلّم فيه طلاب علم القراءة ، ووضعت الشروحات على الشاطبية نظمًا ونثرًا . ولما انتشر فنّ الطباعة في الشرق نال السبق على سائر الكتب كتاب « النشر في القراءات العشر » لمحمد الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩م) ، واثرت قصيدته المقدمة الجزرية في التجويد تأثيرًا بليغًا في علم القراءة فطبعوها وشرحوها . وله ايضًا كتاب قيّم في علم القراءة مهيّأ للطبع برگشتريسر ، اعني به طبقات القراء المسمى « غاية النهاية » . اما كتاب « الاتقان في علم القرآن » لجلال الدين السيوطي

ففيه كامل ما يرغب في معرفته عن علم القراءة . ف . ت .

الاصلاح اللغوي في تركية[1]

ان ما يسمّونه الاصلاح او الانقلاب اللغوي نشأ منذ زهاء قرن في تركية، لما وضع احمد جودت (١٨٢٢ — ١٨٨٠) ، كتاب الغراماطيق التركي ، واحمد وفيق باشا (١٨١٩ — ١٨٩٠) قاموسه ، وقد عني فيه بجمع الالفاظ التركية . وان تلك الدروس ساعدت على اليقظة الادبية التركية ؛ لكنها لم تحو برنامجاً غرضه النهضة اللغوية القومية . فظلّت اللغة العثمانية في فكر الناس كزيج لغات ثلاث اعني بها التركية ، والعربية ، والفارسية. وكان لا بدّ للمتضلّعين منها ان يكون لهم إلمام باللغتين العربية والفارسية ونحوهما وتاريخهما ؛ وكان القاموس مكتظاً بالالفاظ العربية والفارسية غنياً تقيلًا بها . وكذلك الغراماطيق وقد تسربت الى طياته الاضافة الفارسية والمصادر العربية . في ايام نشأة السلطنة العثمانية ، لم يكتبوا باللغة التركية الا نادرًا. ولما صاروا مع الايام يستعملونها في الدواوين كانوا يضمّنون في المتن التركي العبارات الفارسية او العربية ، وذلك لاسباب دينية وسياسية. وفي غضونها كان الشعب التركي يحافظ على لغته وروحها الفطري. ومنذ زهاء ٥٠ عاماً دخلت تلك اللغة التركية الصميمة طورًا جديدًا ، لما اخذ الادباء يستعملونها . ومنهم محمد امين (ولد سنة ١٨٦٩) ، وعمر سيف الدين (١٨٨٢ — ١٩٢٠) ، وضياء جوك الپ (١٨٧٥ — ١٩٢٤) ولم ينبذوا استعمال العربية او الفارسية نبذًا تاماً الى ان وضعت في السنة ١٩٢٣ مبادئ الاصلاح التركي الحديث ، واليك بنودها الثلاثة : ١ً استبدال اللغة المستعملة في الاناضول باللغة العثمانية. ٢ً اسقاط اللفظة العربية او الفارسية ان كان لها مرادف في التركية. ٣ً التخلي عن كل تعبير عربي او فارسي غير موافق لنحو اللغة التركية.

وكان للانقلاب الكمالي تأثيره الشديد في الاصلاح ، وقد قويت شوكته بانتصارات الغازي على اليونان والغاء السلطنة والخلافة ، فدخل مشكل اللغة

---

١) عن اتوره روسي في مجلة «الشرق الحديث» الايطالية : ك٢ ١٩٣٥ ، باختصار :
Ettore Rossi, *La Riforma linguistica in Turchia*, Oriente Moderno, pp. 45 sq.

في طوره الجديد . فوضعت سلسلة قرارات كانت اهم بنودها الغاء المدارس الدينية والغاء تعليم اللغة العربية ، وادخال الابجدية التركية اللاتينية ، واستبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري . وما عتموا ان منعوا استعمال الابجدية العربية لا في المدارس فقط بل في البلاد وحكومتها ودوائرها ، واقتصروا على تعليم العربية والفارسية في كلية الآداب في استنبول ، وفي معهد الفقه . وقرروا جعل لغة الخطب تركية لا عربية . وكذلك ترجموا القرآن الى التركية . واجروا القرارات بالتنفيذ ، وصاروا يؤذنون بالتركية . واجبروا كل شركة تركية او اجنبية على استعمال اللغة التركية في مخابراتها وسجلاتها ، وخطوا في ذلك خطوة جديدة في سبيل الاصلاح الكمالي ، وغرضه التخلق باخلاق الغرب وتتريك البلاد .

وفي السنة ١٩٣٠ ظهر كتاب عنوانه « في سبيل اللغة التركية » ، ألفه صدريٌ مقصودي ، وهو رجل تركي ، روسي الاصل ، درس في روسية والمانية ، ثم صار يعلّم في معهد الحقوق في انكره . قال في كتابه بواجب تطهير اللغة التركية من كل اصل فارسي او عربي ، والتعويل على المؤلفات التركية القديمة لاستنباط الالفاظ من التراث التركي القديم الحيّ في لغة الاناضول وغيرها من بلاد اوربة وآسية ، اشتقاقاً ، شأن ما فعله اصحاب اللغات اللاتينية المستحدثة ، مستمدّين الالفاظ من اللغة اللاتينية القديمة . وقدّم صدري مقصودي كتابه الى رئيس الجمهورية ، فنال رضاه .

وفي السنة ١٩٣٢ اسّس الغازي « جمعية دروس التاريخ التركي » ، و « جمعية دروس اللغة التركية » ، وترأس الجمعية سامي رفعت بك ، وكان مساعده وكاتب الاسرار العام معه روشن اشرف بك . فعُقد المؤتمر اللغوي الاول في قصر طولمه بغچه في استنبول . وفي ختام المؤتمر حُدّدت غاية الجمعية ، وهي تعريف جمال التركية ، وجعلها في مقام يحلّها محل اللغات العالمية . وفي الجمعية تشكلت لجان لكل لجنة مهمتها ، فمنها اللغوية ، والاشتقاقية ، والغراماطيقية ، والقاموسية ، والفنية ، لوضع الاصطلاحات في المخترعات الحديثة . ونالت الجمعية موافقة الغازي . ودخلت الصحافة في الحركة فصارت تتعاطى شأن الالفاظ المستعملة في التدريس والتشريع ، وتتناقش في موضوعاتها . وفي غضون ذلك

كانوا ينشرون استعمال اللغة التركية في المعاهد والمؤسسات العمومية ، وبين الاقليات . ودعت جمعية « دروس اللغة التركية » سكان المدن الى التفتيش اللغوي الواسع النطاق . نشرت بالراديو او بالجرائد ١٠٥ لوائح من الالفاظ العربية او الفارسية الاصل ، وسألت الناس مرادفاتها التركية ، فجمعت أجوبة سكان المدن لتنشرها في مؤلف عنوانه « دليل الالفاظ التركية المرافقة للالفاظ العثمانية » — وجدير بالذكر ان الجمهورية التركية نبذت اللقب « عثماني » منذ الغت الخلافة وطردت سلالة بني عثمان — وطرحت بين ايدي الناس في تركية ، واوربة ، وفي الاناضول الوفاً من البطاقات او الاوراق لكي يدونوا عليها ما اصطلحوا عليه من الالفاظ المرادفة للالفاظ العثمانية المطلوب اسقاطها من القاموس ومن الاستعمال . وقد عمدوا الى المؤلفات التركية فصاروا يستنبطون منها الالفاظ التركية . وكان عدد العمال في ذلك الحقل يبلغ الثلاثين . فجمعوا من مطالعات المخطوطات ١٥,٠٠٠ بطاقة ، ومن ديوان لغة الترك لمحمود الكشغاري ١٢,٤٩٨ ، ومن قاموس اللغة التركية لردولف ٨,٤٢٨ ، ومن القاموس التركي لشمس الدين سامي بك ٧,٤٣٢ ، وعملوا المذرى في ذلك البيدر ، فطيّروا منه ٧,٠٠٠ لفظة عربية وغيرها من افرنسية ، وايطالية ، وعوّضوا عنها بثلاثين الف لفظة تركية مشيرين الى اصل كل لفظة من هذه الالفاظ . وان هذه الحصيدة تدلّ على جهود قيّمة جديرة بالثناء . ولكن شائبتها سرعة نموّها ، وتفاوت قيمة منشئيها وليس فيهم لغويّ اختصاصي .

قال السيد اتوره روسي ، ما خلاصته :

ان الحركة في تجديد اللغة التركية اساسها الانقلاب السياسي ، والقوة التي يستمدّها الاتراك من فكرتهم الصادقة ، او الموهومة ، ان اللغة التركية والامة التركية ، منذ القدم ، ارقى واعظم أمة ولغة ظهرت تحت الشمس او تكاد ! ولكن هل في تلك الفكرة من القوة ما يمكنها من تكوين لغة جديدة ؟ وعلى كل فان العربية والفارسية سوف تنسحبان من تدريس اللغة التركية . ولكن ليس في ذلك ما يقرب منال التركية الى المستشرقين ، وكانوا اذا تعلموا العربية او الفارسية وجدوا فيهما التسهيل الى لغة الاتراك ! ف . ت .

فهارس صبح الاعشى للقلقشندي

ان كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ، بعد طبعته المصرية الاميرية باجزائه الاربعة عشر ، صار قريب المنال في المكاتب ، وأشهر من ان يعرّف الى قرائنا ولهم فيما كتبه الاب شيخو (مشرق ٣ [١٩٠٠] ٣١٠) ترجمة مختصرة لصاحبه ، وذكر لمؤلفاته . وقد قال ان صبح الاعشى « يتضمن خلاصة الفنون الادبية والعلوم العربية » كأنه الموسوعة او دائرة المعارف .

على انه مع حسن طبعه وترتيب فهارس فصوله في كلّ جزء من اجزائه ، ليس له فهرس عامّ يسهّل الوقوع على الموضوع من غير الاضطرار الى مطالعة الاجزاء كلها ، فلا يزال كالبحر الخضمّ لا يعثر على لآلئه الا الغوّاصون .

وان السيد محمد عبد الجواد الاصمعي ، بدار الكتب المصرية ، اخذ على عاتقه المهمّة الخطيرة في وضع فهارس القلقشندي ، وله الباع الطولى في هذا النوع من العمل المفيد ، وقد سبق ووضع فهارس « الاغاني » في طبعته المصرية الجديدة ألتي وصفها المشرق مرارًا .

وقد ارسل يبشّرنا بما عزم عليه من الاعمال ويستشيرنا في امر الفهارس ؛ فنشكر للعامل الهمام في خدمة العربية وآدابها عنايته بتلك المؤلفات الكبرى ، ونروي رسالته لما فيها من الفوائد ، ثم نبدي رأينا في الامر .

قال عن فهارس صبح القلقشندي :

« اما هذه الفهارس فتقع في نحو ثلاثين نوعاً مما وقع في الكتاب كالاعلام والاماكن والقبائل واسماء النبات والمعادن والاحجار والحيوان والكلمات (المفسّرة والمضبوطة بالعبارة والدخيلة والمستعملة في عصر المؤلف والالفاظ الاصطلاحية) والوثائق التاريخية والسياسية ، وقد قسمناها الى قسمين : داخلية وخارجية . اما الداخلية فهي المكاتبات التي دارت بين مصر والامم التي كانت تابعة لها . والخارجية المكاتبات التي دارت بين مصر والامم الاخرى . وفهرس خاصّ بالعادات والاجتماعيات ونحو ذلك . واعرّفكم لزيادة الايضاح ان كلّ فهرس من هذه الانواع سيكون مرتبًا على الحروف الهجائية ،

وسنذكر بجانب عدد الجزء ورقم الصفحة وعدد السطر المناسبة التي جاء بسببها هذا الاسم، اذ رأيت ان سرد الارقام بجانب الاسم لايكفي في هذا الكتاب الكثير الاجزاء . فنرى مثلاً اسم « مصر » و« الشام » و« بغداد » و« ابن خلدون » و« ابن فضل الله العمري » وغيرها من الاسماء وردت في الكتاب مئات المرات فأبيّن للقارئ كل مناسبة ورد بسببها هذا الاسم حتى أسهّل للباحث كل ما يحتاج اليه . اذ في مراجعته اسم « مصر » مثلاً ، وقد ورد في اكثر من ١٠,٠٠٠ صفحة من صحف الكتاب ولم يجد فيها ما يبحث عنه في الصحف التي راجعها ، تضيع لوقته ، فبيّنت المناسبات التي وردت في هذه الصحف خاصة بمصر . وهكذا في كل فهارس هذا الكتاب اذ لا اذكر اسم شيء والصفحة التي ورد فيها الّا بالمناسبة التي ورد بسببها »

ثم كان حضرته قد سبق وكتب الينا في رسالة غيرها :

« اودّ ان تشرفوني بكلمة عن الفهارس وفائدتها مع تنويهكم بهذا العمل الشاقّ لانني كتبت الى الآن من مفردات هذه الفهارس نحو ٦٠٠,٠٠٠ الف جذاذة . »

فنتزل عند طلبه ونقول :

ان فائدة الفهارس بيّنة ، ليس فقط في وضع لائحة المواد اخذاً عن عنوان فصول الكتاب وابوابه لانها كالدليل في الطريق وكالمصباح في الظلام ، ولكن في وضع لائحة المواد بالترتيب الابجدي او القاموسي لما في المواد العديدة الواردة في شتى الفصول من الفرائد التي يُقتبس منها شعلات تنير علوماً كثيرة ولا يمكن اكتشافها من العناوين في الفصول .

وان ٦٠٠,٠٠٠ جذاذة تدلّ على عمل جباري هائل ، وطبعها على افتراض وضع كل مئة جذاذة في وجه واحد من حجم الاغاني في طبعته الجديدة المصرية ، سوف يقتضي لا اقل من ستة آلاف صفحة اي ما يكاد يوازي عدد صفحات صبح الاعشى بمجلداته الاربعة عشر . ولكن ألا يُخشى ان تتضعضع الموادّ بين غثّ وسمين فتفقد السلسلة بطولها منفعتها القيمة من تسهيل الحصول على المقصود منها ؟

هوذا بين يديّ مجلد الاغاني الاول وفي آخره الفهارس الثاني ، وهي تستغرق خمس الكتاب واكثر ، وآخرها فهرس الموضوعات وليس هو بابجدي . ولعل المؤلف احجم عن وضع فهرس ابجدي للمواد ، شأن گويدي صاحب الفهارس في طبعتها الافرنجية ، لان في الاغاني تقاطيع وتفاصيل يعسر معها جمع الفكر حول مادة واحدة . اما صبح الاعشى فليس الامر فيه كذلك . وفصوله تتناول مسائل مطولة ، وفهارس المزادّ في كل مجلد من المجلدات تحوي او تكاد تحوي في كل لفظة من الفاظها باباً جديراً بان يدخل عنواناً في فهرس ابجدي. فلذلك، لو سمح لنا الاستاذ الاصمعي ، لاشرنا عليه بان يكتفي بان يضمّ في سلسلة ابجدية الالفاظ المهمة الموجودة في صدر كل مجلد من المجلدات عنواناً للابواب والفصول . وكفى بذلك إشارة الى اهمّ المواضيع . والمثال في ذلك اخذاً من المجلد الاول :

الكتابة: فضلها ١: ٢٥ مدلولها ١: ٥١ ، كتابة الانشاء ٥٤
النثر وترجيحه على الشعر ١: ٥٨
الشعر يرجّح عليه النثر ١: ٥٨
الكتّاب وآدابهم ١: ٦٦
ديوان الانشاء: وضعه في الاسلام ١: ٩١ ترتيبه ١: ١٠١ صاحبه ١: ١١٠ وظائفه ١: ١٢٠

فنكتفي بخمسة عناوين ، او بخمس جذاذات لهذه الالفاظ الخمس المطبوعة بالخطّ الرقعي ، على ان نضعها بعد نهاية الشغل في سلسلتها الابجدية . واذا اضاف السيد الاصمعي الى هذا الجدول جدولاً آخر للاعلام الامكنة والاشخاص اكتفى بفهرسين وكفانا مؤونة السبيل الى مطالعة الكتاب السهلة ، ومن ثمّ سوف لا يزيد مجلد الفهارس المنوي طبعه على حجم مجلد من مجلدات القلقشندي الاربعة عشر .

هذا ما نراه موافقاً لذلك المشروع الخطير . اعربنا عنه ، مع التحفظ ، عسى ان يرى غيرنا ما لا نراه ، ويكون احق منا بان يدلي برأيه، واننا نتمنى للسيد محمد عبد الجواد الاصمعي ان ينهي فهارس القلقشندي باسرع ما يمكن ويتحف العربية بها وبامثالها كفهارس نهاية الادب للنويري ، كما وعدنا بذلك .

ف . ت .

مطبوعات شرقية جديدة

W. J. A. VISSER, Die Entwicklung des Christusbildes in der frühchristlichen und frühbyzantinischen Zeit. In-8°, 187 pp. Bonn, J. Carthaüg, 1934.

تطوّر صورة المسيح في الصور القديمة للنصرانية وفي العصر البيزنطي

مؤلف الكتاب من كاثوليك هولندة سمع محاضرات بون ، وهي مدينة فيها عدد من علماء الفنّ القديم ، فدفعه ذلك الى اعداد هذا التأليف في صور المسيح المختلفة والمثال الاصلي الجامع بينها . ثم اقام مدة طويلة في رومة فزاد معلوماته وموادّه مستفيدًا من علماء الفن القديم فيها ، ومن مكاتبها الفنية . اما كتابه فيبتدئ ، كما يتوقع المطالع ، بالقول انه ليس في الكتب المسيحية القديمة كالاناجيل واعمال الرسل والرسائل ما يفيدنا شيئاً عن صورة المسيح الخارجية . ثم يعرض للنصوص العديدة التي تشير الى شيء من هذا ، وهي لقدماء المؤلفين من كاثوليك ، ومنشقّين ، ويهود ، وغيرهم حتى يصل الى العهد البيزنطي فيرى شيئاً ثابتاً يقرّه ارباب الفن اجمالًا . فيتحقّق ، اذا ما وضع جانباً مسألة ثوب المسيح وبعض صفاته ، ان المناقشات تتعلّق على الغالب في هل كان المسيح طليق اللحية ام حليقها.

هو عمل كلّف جهدًا وجلدا كبيرين فبدا متقناً جزيل الفائدة لكل من يهمّه البحث في تطوّر صورة المسيح . فنشكر للمؤلف هذا الاهتمام ، ونتمنى ان يعطينا يوماً مجموعة ، وان صغيرة ، لصور المسيح المختلفة يضع فيها الشواهد على نظريته هذه.

س. ر.

ALFONS M. SCHNEIDER, Die Brotvermehrungskirche von Et-tàbga am Genesarethsee. [IV Bd des *Collectanea Hierosolymitana*]. In-8°, 82 pp., 18 fig., 31 pl. Paderborn, F. Schoningh, 1934.

كنيسة تكثير الخبزات في الطابغة على بحيرة طبرية

ملك الكاثوليك الالمان ، منذ السنة ١٨٨٦ ، على الشاطئ الغربي من بحيرة طبرية قطعة ارض واسعة فيها كثير من الآثار القديمة . على انهم لم يهتمّوا بابراز

الحفريات فيها الا مؤخرًا . فدرسوا في السنة ١٩٣٠، بمعاونة الاب كوبيل اليسوعي من المعهد الكتابي البابوي في اورشليم ، التكوين الجيولوجي في تلّ من ارضهم . ثم قاموا في السنة ١٩٣٢ ، تحت ادارة الاب مادر ، الذي يفتخر المعهد الشرقي في جامعتنا بانه عده من مستمعي محاضراته مدة اشهر قبل الحرب ، باجراء الحفريات في نقطة غنية بالآثار المسيحية . وقد اسفرت الابحاث التي عاون فيها الاب شنيدر ، من معهد اورشليم الشرقي المنتسب الى Görresgesellschaft ، عن نتائج باهرة يعرض خلاصتها الاب المذكور في هذا الكتاب الذي نصفه اليوم.

ظهر ان الكنيسة ترقى في اصلها الى اواسط القرن الرابع . وقد أُجريت فيها اصلاحات عدّة في القرن الخامس وفي اوائل السادس ، على اثر زلزلة ارضية ، فجدّدت ارضها ، وغُيّر تصميم الصحن والخورس . ثم انها خربت في القرن السابع الحافل بالاضطرابات . ولم يُجدَّد بناؤها . على انها ظلّت معروفة بواسطة النصوص القديمة . ثم هناك كنيسة اخرى كانت معروفة في القرن التاسع ، وقد اعتقد العلماء ، على مدّة ، انها متصلة بالاولى . وهذا خطأ فان اطلال هذه بعيدة عن اطلال تلك . وعلى عهد الصليبيين كان الناس يشيرون ، بطريق التقليد ، الى بقايا كنيسة قديمة بُنيت في المكان الذي اجرى فيه المسيح اعجوبة تكثير الخبزات . اما الصليبيّون انفسهم فلم يعرفوا الكنيسة القديمة .

على ان الحفريات الاخيرة كشفت آثار بناء مستطيل يزيد طوله عن خمسين مترًا في نحو ثلاثين عرضًا ، مع مرافقه المختلفة . فامكنت من استخراج التصميم العامّ ، ومن تمثيل بناء المعبد ، والتدقيق في تاريخ بنائه ، ووصف ميزاته الخاصة . وهو عمل جزيل الفائدة لا في درس المعبد المذكور فحسب ، بل في ما يفيده من معلومات للمقابلة بين المعابد المسيحية في تلك المنطقة وفي فلسطين كلها .

ومما يجدر بالذكر في هذا الاثر ، ما اكتشف فيه من قطع الفسيفساء الجميلة وقد صُوِّرت كلها باتقان ، وقوبلت بما يعرف من هذا النوع في فلسطين وفي سائر انحاء العالم المسيحي . فاتى البحث غاية ما يُنتظر من نوعه . فنهنئ المؤلف ومعاونيه ، والطابع .

ب . د .

Histoire de l'art byzantin, publiée sous la direction de M. Ch. Diehl. · **Monuments d'architecture byzantine**, par J. Ebersolt. In-4°, VI-217 pp., 48 pl., 74 fig. Paris, Les éditions d'art et d'histoire, 1934. Prix : 185 fr.

آثار الهندسة البيزنطية

كتاب متقن جميل من آثار عالم معروف ، طواه الموت قبل اوانه ، فشاركنا الاستاذ دييل ، كاتب المقدمة ، في حزنه وأسفه . اما موضوع الكتاب فظاهر في العنوان . على ان المطالع لا يدخل الفصول الاولى منه الا وتملكه الدهشة . ذلك ان المؤلف يدرس الكنائس البيزنطية : تصاميمها وزخارفها على طريقة لا يتوقعها المطالع . فهو لا يتبع فيها الترتيب الجغرافي ولا التاريخي . انما يرتبها على انواع فنية خاصة ، ويدرس كلًّا منها خلال التاريخ : منها الكنائس الموحدة السوق ؛ والكنائس الملكية ؛ والكنائس ذات التصميم الشعاعي ، وذات التصميم الصليبي ، او المثنى او المثلث ، او ذات القبب . . . ودرسه في ذلك اقرب الى الوصف الخارجي الملتحق بمذهب هندسي منه الى العرض التاريخي . بيد انه لا يهمل التاريخ ، فهو يعرض اللازم منه بوضوح في المختصرات البالغة ٢٠٦ الملحقة بالمتن ، وفي ما يقوم به من المقابلات العديدة بين المنشآت حتى اقدمها واكثرها فروقاً . وهناك جدول مثلث نظمه الاستاذ سور (M. G. Seure) فسهّل به الاستفادة من معلومات الكتاب . اما الصور فتقنة . وهنا يجدر بنا ابداء ملاحظة لا تغيّر في شيء من آراء المؤلف ، وهي ان كنيسة بيت لحم (اللوحة الثالثة) مصوّرة عن رسم قديم . اما اليوم فان الحائط الذي كان يحجب منظر الخورس أزيل في اوائل عهد الانتداب الانكليزي على فلسطين. ر.م.

R. P. Louis Paré, S. J., **L'Eucharistie vie de nos âmes**. Illustrations de R. de Coniac. In-16, 172 pp. Toulouse, Apostolat de la Prière. Prix : 6,50 fr.

الافخارستيا حياة نفوسنا

اننا نحث جميع قرّائنا على مطالعة هذا الكتاب الصغير ، بل على تأمل ما فيه عن الافخارستيا حياة نفوسنا . فان كاتبه من اساتذة الروحانيات ، يقرن

ثبات العقيدة وبسّها بالاسلوب الدقيق البسيط ، مشيراً الى المركز المهمّ الذي يحتلّه سرّ الافخارستيا في حياتنا الروحية ، عارضاً ملخصاً جامعاً للحياة المسيحية طالما ينساه ، لسوء الحظ ، كثير من المتدينين . وهو يجمع بين النظرات المتابعة فيسوقها الى الغاية المثلى . ان يكن سرّ الافخارستيا قد مُجّد على ما نعرفه في الفنّ وفي الطقس الكنسي فذلك لانه النقطة المركزية في العبادة المسيحية ؛ ان تكن الكاتدرائيات رُفعت عظيمةً جليلةً ، وان يكن على المؤمن ان ينحني احتراماً فيها انحناءه في احقر معبد فذلك لان يسوع حاضر فيها جميعاً ؛ ان يكن نظرنا يرتفع بشوق نحو القربانة فتندفع بنا خطواتنا اليها ، فذلك لانها اجلّ هدية اهداها ابن الله الى كنيسته ؛ ان يكن علينا ان نرمي بالروح الجنسيني دون ان نخرج عن الاحترام الواجب ، فذلك لان المسيح يريد ان يعطينا ذاته تحت شكل الخبز المقدّس ؛ ان تكن هذه الهبة تفوق بما لا يقاس افكار العالم الضيقة ، فذلك لانها تذكرنا بالنعمة السماوية والحياة الخالدة ؛ ان يكن غذاؤنا الروحي الميّا ، فذلك لان حياتنا فائقة الطبيعة ؛ وان تكن المناولة غريبة باعجوبتها ، فان تبتّي الله ايانا بنعمته اعجب واغرب ؛ وان يكن من الافضل ان يتناول الانسان في آخر الذبيحة المقدّسة ، فلانّ التناول ثمرة هذه الذبيحة القربية ؛ وان يكن القدّاس المقام كل يوم على ما نعرف من الجلال والعظمة ، فلانه يعيد ذبيحة الجلجلة ويسهّل علينا الاستفادة من جميع استحقاقاتها .

امام هذه العقيدة القوية الجميلة يتلاشى كل ما نراه فينا وفي غيرنا من ضيق في الفكر ، وتقييد مادي في العبادة ، وجفاف في القلب ، واهمال في واجباتنا تجاه يسوع الحاضر في القربان المقدس . وقد عرف الكاتب ان يطبّق نظريته في المجال العملي . فبيّن ، في جملة ملاحظاته ، كم تعمل عادة التناول قبل القداس او بعده ، على فصل سرّ الافخارستيا عن الذبيحة ، فترفع عنه معناه الاسمى . وهو يدقق في اهمية الاستعداد والشكر لا بالافعال التي تتلى في الكنيسة وحدها ، بل بافكار الانسان وميوله كلها في نهاره ذاك ، وبالاتحاد المتين بالذبيحة الالهية وبنفقه العبادات الطقسية ، فيدفعنا ذلك الى ان نقدّم لله لا اعمالنا او رغباتنا وحدها ، بل اعمال ابنه الذي اصبح واحداً منا .

وان من مفاعيل هذا الحبّ العجيب ان يحملنا على التعويض عن سيئاتنا وعن سيئات سائر الناس . ومن ثمّ ينقلنا المؤلف الى عبادة قلب يسوع ، وهي في اصلها عبادة افخارستية ، شارحاً ميزات رسالة الصلاة ، مظهراً ما ينيلنا اياه التناول المتواتر من صحبة يسوع الودية المخلصة . كل ذلك في كتيّب صغير ، بخس الثمن ، سهل القراءة ، نراه ضرورياً لكل مسيحي يرمي الى الحياة المسيحية الكاملة .

ل . ب .

VLADIMIR SOLOVIEV, Les fondements spirituels de la vie. Préface de Mgr D'HERBIGNY. Bruxelles, Editions de la Cité Chrétienne, 1932.

أسس الحياة الروحية

نشكر اولاً للمترجمين الابوين تزبريكوف ومارتن اهتمامهما ونجاحهما في نقل هذا الاثر المهمّ للارثوذكسي الروسي الكبير ، وهو يمثّل التعبير عن فكرته الكاثوليكية قبل ارتداده الرسمي الى حظيرة رومة .

يبهرنا الكتاب ، لاول وهلة ، بما يتسلسل في صفحاته كلها ، من عناصر تلك الفلسفة السلافية التي لم نتعودها . ولكن كم هناك من تحليل عميق في النفسيات وفي ما وراء الطبيعة ! كم من هتاف قويّ بعيد الصدى ! كم من ملاحظة مُثقلة بما تحمله من منهاج تامّ في الحياة ! كما يتحقق المطالع في الفقرات المختارة ادناه :

« يمكن الكائن بارادته ، وبارادته وحدها ، ان يقاوم الله ، وينفصل عنه ، وينفيه من نفسه ومن حياته . » (ص ٤٩) — « اذا ما اندفع الانسان ، دون مقاومة ، في سبيل انانيته . . . تراه ، وقد فقد كل قرار ، بل كل توازن اخلاقي ، يتحوّل ، حياته كلها ، الى خطيئة مستمرة . » (ص ٧٨) — « نحن نعيش غالباً على طريقة بعيدة عن الانسانية ، نعيش مستعبَدين للطبيعة السفلى ! » (ص١٤) — « في النفس البشرية ميلان متجاوران يرفعانها فوق الطبيعة كانهما جناحان خفيّان ، هما : التعطّش الى الخلود ، والتوق الى الحقيقة والكمال الاخلاقي . اما اذا فصل احدهما عن الآخر فلا يبقى له معنى . » (ص ٢٣) - « ان الكنيسة بحدّ نفسها ومن حيث جوهرها ، تولينا حقيقة المسيح الالهية على الارض » (ص ٢٧) — « ان

الله ، وكلُّ ما فيه وحدة وألفة ، يظهر لارادتنا الخير الاسمى ، ولعقلنا الحقيقة المطلقة ، ولاحساسنا الجمال الفائق . . . وبما ان لنا ما يخوّلنا حق تملك كل شيء اذا ما اتحدنا بالينبوع الاصلي لكل شيء ، فاننا نزيد بدل هـذا ، ان نتحول نحن انفسنا الى هذا الينبوع . » (ص ١٠٣) ل . ب .

BERNARD JANSEN, **La philosophie religieuse de Kant.** Traduit et adapté de l'allemand par PIERRE CHAILLET. [*Bibliothèque d'histoire de la philosophie*]. In-8°, 180 pp. Paris, Librairie philosophique J. Vrin, 1934. Prix : 25 fr.

فلسفة كانت الدينية

« ان تأثير كانت لواضح في جميع فروع الفلسفة . فقد وسم وروحه كل ما ظهر بعده من الآثار سواء أكان في الاسلوب ام في الموضوع . وذلك لا في الاخلاقيات والمنطق فقط حيث بدا تأثيره عميقاً غالباً ، بل في ما وراء الطبيعة ، وتكوين العالم ، والنفسيات ايضاً . ولقد كان تأثير كانت في الفلسفة الدينية واسعاً عميقاً كذلك . » ان هذه الاقوال ، ولا يفكر في انكارها احد من ذوي الثقافة ، لكافية في الدلالة على اهمية كتاب الاب جانسن الذي نقله الاب شاييه الى الفرنسوية ، نقلاً ارتقى فيه عن الترجمة العادية ، فبدا لا يستمده النص الاصلي ، ودلّ ، فوق التضلّع من دقائق اللغتين ، على روح فلسفية ، ومعرفة شخصية واسعة بما ظهر من الدروس في الموضوع .

يبدأ الكتاب بفصلين تصيبين على قسط وافر من الحياة والرشاقة ، يضعاننا في بيئة القرن الثامن عشر الادبية ، فيصوّران امامنا ، بوضوح وتفصيل ، شخصية كانت ادبياً واخلاقياً . فنستعد لخوض الموضوعات الصعبة . واذا بنا نرى في الفصول الثلاثة الاولى من القسم الاول درساً دقيقاً « للنقطة التي سارت منها الفلسفة الجديدة ، واسلوب سيرها ، والنتائج التي ادّت اليها . » وهذا الدرس يفرض عند المطالع مستوى لا بأس به من الثقافة الفلسفية . اما القسم الثاني ففيه اربعة فصول يحلّل فيها المؤلف نظريات كانت في الاخلاق والدين ، وموقفه من الدين المسيحي . وينتهي بخلاصة غاية في الدقة والضبط توضح في عشر صفحات ما احدثته فلسفة كانت الدينية من التأثير البليغ في المانية خاصة ، بما اثارته من

الحركات الفكرية في دعمها ، او في معاكستها . وان اهتمام المؤلف الدائم بالمقابلة بين نظريات الفيلسوف ومظاهر حياته تجمل المطالع كمن يشهد تطوّر الفكرة الكانتية ، فيوافق الكاتب على تلك الاحكام المائلة عن الادّعاء والتحيّز ، الدالة على معرفة دقيقة ضابطة للموضوع دلالتها على فكرة قوية شخصية . ولا غرو فان المؤلف معروف في المانية بآثاره في الفلسفة الكانتية ، وقد جعل من كتابه الحاضر اداة ثمينة لدرس تلك الفلسفة ، بما فيه من مراجع لآثار الفيلسوف ، ومن اشارات الى ما نُشر فيها من الابحاث . وعلينا ، بعد تهنئة المؤلف ، ان نشكر للاب شاييه نقله هذا الكتاب الجديد بكل من يرغب بالابحاث الفلسفية ، بل بكل من يهمّه تطوّر الموضوعات الدينية في القرن السابق ، ان يحفظه في مكتبته الخاصة .

ي . دوش

GEORGE O'NEILL, S. J., Golden Years on the Paraguay. A History of the Jesuit Missions from 1600 to 1767. In-12, 276 pp. London, Burns Oates Washbourne, 1934. Prix : 5 sh.

السنون الذهبية في الپاراغواي

لا يخفى ان اشهر رسالات الرهبنة اليسوعية القديمة هي رسالاتها في الپاراغواي . تلك الرسالات التي جعلت « فلاسفة » القرن الثامن عشر يتكلمون عنها كلامهم عن المثال الاعلى التام التسلّط والتنظيم ، ولتطبيق الاشتراكية قبل ظهور نظريتها ، وما يدور حول ذلك من الحوادث والاساطير التي لم يفهمها الناس على حقيقتها فعلقوا بها ولا تزال عالقة في ذهن الكثيرين من جمهرة المتعلّمين . اما الحقيقة فهي الظاهرة في هذا التاريخ تنتج من عرض الحوادث عرضاً بسيطاً واضحاً . هي سنون ذهبية حقّاً تلك التي قضاها المرسلون اليسوعيون ، على مدة تتجاوز القرن ونصف القرن ، في مجاهل الپاراغواي ، يهذّبون اولئك المتوحّشين فيجعلونهم رجالاً اولاً ثم مسيحيين ، ويحامونهم في اكثر اعمالهم وطنيّوهم من البيضان ، وكان من حقّهم ان يتّكلوا على مساعدتهم . انما الجشع الذي كان يدفع باولئك المغامرين كان يحول بينهم وبين العاطفة الانسانية ، اذ يرمون في استعباد سكان البلاد ، فيجدون في وجههم اليسوعيين وقد آلوا

على انفسهم تحرير الهنود وتعليمهم الواجبات والحقوق البشرية ، فينقمون عليهم ويشتمون عنهم تلك الروايات . اما اليسوعيون فقد ثابروا على خطتهم فـأولوا الالوف من الهنود حياة هنيئة مطمئنة ، شبّهها بعضهم بحياة الفردوس الارضي ، على ما كان يتخللها من نزاع وعراك . وها ان تاريخ هـذه الحياة غدا واضحاً ظاهرًا لمن يشاء ، مستندًا الى المصادر الوثيقة بفضل مؤلف الكتاب.

ج.ل.

Louis Baudiment, François Pallu, principal fondateur de la Société des Missions Etrangères, 1626-1684. In-8°, 498 pp., cartes hors texte et gravures. Paris, Beauchesne. Prix : 50 fr.

فرانسوا پالو ، اهمّ مؤسسي جمعية الرسالات الاجنبية

انها لنقطة مهمة في تاريخ ارساليات الشرق الاقصى ، وفي تاريخ فرنسة الكاثوليكية ، وصول الاب اسكندر الرودسي اليسوعي الى فرنسة عائدًا من تونكن . كانت غايته ان يحمل رومة على ان تهتمّ بتـأليف اكليروس وطني في تلك البلاد ، فتبعث اساقفة مُرسلين . فصادف في باريس في اخوية الاب باكو نخبة من الشبان الاتقياء الغيُر ، وما هو ان كلّمهم عن الارساليات البعيدة حتى اظهروا رغبةً شديدة في الذهاب الى تلك المجاهل . وكان بينهم فرنسوا پالو ، من تُور ، وهو صاحب هذه الترجمة الكبيرة التي يقرأهـا المطالع بسهولة ولذّة فيتحقق ان صاحبها ملأ حياته بالاعمال الجليلة ، حياة كاهن اصبح اول نائب رسولي واول اسقف مُرسَل . وضع أسس جمعية المرسلين الى البلاد البعيدة ، وضحّى بكل ما لـديه في سبيل نشر الايمان ، فسار بنفسه ورتّب كنائس الهند الصينية والصين . وعاد الى اوربة مرتين في سبيـل رسالته ، ثم رجع الى الشرق الاقصى على رغم ما كان ينتظره من المصاعب والمخاطر المتنوّعة حتى الموت . كان على قسط وافر من توازن العقل ودقة النظر ، يقرن ذلـك بقدرة على التنظيم والترتيب ، بحمية وميل الى العمل لا تثنيه العقبات . ولم تكن اسفاره العديدة لتحول بينه وبين متابعة غاية يسعى اليهـا ، او تحقيق مشروع يفكر فيه . وقد زار سورية على مرتين ، فذكر في ما ذكره ، ان حلب كانت

من افضل محطاته . ويذكر انه مرّ في الاسكندرونة . ثم انه ابحر من بندر عباس الى الهند فالى مملكة سيام . وعند وصوله كتب ما يلي : « ان حرية المرسلين تزداد شيئاً فشيئاً كلما تقدمنا من تركية الى بلاد فارس ، ومن فارس الى الهند ، ومن الهند الى سيام . » ولقد ساقه الحظ الى القيام برحلة حول العالم دون ان يقصدها . وذلك انه ترك فرنسة في سفرته الثانية الى رسالته ، وعاد الى فرنسة بعد سبع سنوات ، وهو يسير دائماً نحو الشرق . فكان اول رحالة دار حول الارض متجهاً دائماً الى الشرق . على انه لم يهتمّ بهذا الامر . وبعد ان قضى ثلاث سنوات في رومة يعمل على حلّ بعض المشاكل الناشئة بين النواب الرسوليين والرهبان المرسلين وحقوق التاج البرتغالي، عاد الى رسالته وقد عُيّن نائباً رسولياً على منطقة فوكين في الصين ، وفيها مات على اثر وصوله سنة ١٦٨٤ .

يكفي هذا الملخص للدلالة على اهمية الكتاب ، لما فيه ، فضلاً عن ترجمة صاحبه ، من الامور المتعلقة بنشأة تلك الرسالات ، وبتأثير الأب اسكندر الرودسي . ج . ل .

L. Lercher, S. J., Institutiones theologiae dogmaticae. Seconde édition, 3 vol. in-8°. Innsbruck, Verlag F. Rauch: vol. II, M. 6,50 — vol. III, M. 7,50 — vol. IV, M. 10.

مؤسسات اللاهوت النظري : المجلدات ٢ و٣ و٤

وصف « المشرق » في الجزء الاخير من السنة الثالثة (٣٢ [١٩٣٤] ٦٠٩) المجلد الاول من مؤسسات اللاهوت النظري . وها اننا نفيد القرّاء عن ظهور المجلدات الثاني ، والثالث ، والرابع ، متصفة بما عرفناه للاول من صفات جعلت الكتاب من أسس التدريس اللاهوتي في كثير من المدارس الاكليريكية . وما الطبعة الثانية الا الدليل الواضح على اعتبار المدارس للكتاب . وقد أُنقص ثمنه في مجلداته الاربعة من ٤٢ مركاً الى ٣٢ .

ج . ل .

P. Léonce de Grandmaison, S. J., **Ecrits spirituels, II, Retraites.** In-8° couronne, X-316 pp. Paris, Gabriel Beauchesne et ses Fils, 1934. Prix : 20 fr.

آثار روحية : ٢ في الرياضات

هو الجزء الثاني من كتابات الاب ليونس دي گرانمزون الروحية . يضمّ مواعظ الرياضات التي القاها الاب بين السنة ١٩١١ والسنة ١٩٢٠ ، بعضها مكتوبة بكاملها ، وبعضها ملخّصة . ولا شك في ان الكثيرين الذين اعجبوا بالمجلد الاول ، الجامع محاضرات الاب الروحية ، يستفيدون من المجلد الحاضر ، وفيه صدى اجلى لتلك الحياة الروحية القوية التي كان يحياها الاب المذكور . فضلًا عن ان رجال الدين ، يمكنهم ان يجدوا في الكتاب دليلًا امينًا ثابت العقيدة ، ومعينًا على ما قد يقومون به من وعظ وارشاد .

Grandeurs mariales étudiées dans l'Ave Maria. (Œuvre inédite d'un auteur français publiée par Mgr Natale Licari. In-8°, 600 pp., Turin, Marietti, 1934. Prix : 20 fr. fr.

عظمة العذراء مريم في « السلام الملائكي »

ليس مؤلف هذا الكتاب من المتعبدين للعذراء مريم فحسب ، بل هو ، فوق ذلك ، لاهوتي دقيق النظر واسع الاطلاع . فاتى كتابه درسًا مشبعًا يلذّ للراغبين في هذا النوع من الابحاث اللاهوتية ، فضلًا عن قرّاء كتب الصلاة العادية . وقد شاء ان يغفل اسمه . الا ان هذا لا يمنعنا من شكره لتلك المادة الغزيرة في الكتاب ، ولما قام به من ترتيبها حسب ترتيب اقسام « السلام الملائكي » ، مفصّلًا الكتاب الى تسعين وخمسة ابواب و٥٩٥ فقرة .

Fritz Milkau, **Geschichte der Bibliotheken im alten Orient.** In-8°, 58 pp., 26 fig., cartes et plans. Leipzig, O. Harrassowitz, 1935.

تاريخ المكاتب في الشرق القديم

هذا كتيب مفيد لمؤلف انفق حياته كلها في درس علم المكاتب . وكان قد نشر القسم الاول من المجلد الثالث سنة ١٩٣٣ ؛ عندما فاجأه الموت . فكان ان الطابع اتفق وارملة الفقيد على نشر هذا القسم الذي نعرضه اليوم على القرّاء .

بعد ان عرضا على العالم بالاشوريات المشهور الاستاذ برونو ميسنر ان يعيد النظر في المخطوطة ويتعهد نشرها . فقبل ، وراجعها بمعاونة المستشرق اوبيتز ، فاضافا اليها بعض المعلومات دون ان يغيرا شيئاً في نصها .

والمؤلف ، على قصره ، يدرس حالة المكاتب في مصر ، وبلاد ما بين النهرين ، وبلاد الحثيين ، على غاية من الترتيب ، مشيراً الى المصادر الواسعة التي استقى منها المعلومات ، ممهداً بذلك السبيل الى القراء في التوسع بالموضوع . ومما يجدر بالذكر تلك الملخصات الواضحة ، وما يرافقها من خرائط ورسوم تطلع القارئ على تاريخ الثقافة في المناطق المختلفة التي يدرسها ، وتمينه في استخلاص الحكم العام على اقسام المؤلف ، بل على المؤلف بكامله . وهو حكم يقرّه المطالع على الغالب ، اذا استثنينا فيه بعض النقاط الشنوية .

نذكر من ذلك ان مصر ، على رغم ما اشتهرت به من الحكمة منذ اقدم العصور ، لم يقف المؤلف ، في درس بقاياها ، على اثر لتلك المكاتب التي كثيراً ما تكلم عنها القوم وقالوا انها مخبوءة في جميع الهياكل . قد يظهر المستقبل شيئاً من هذا ، اما اليوم فلا شيء .

وبضدّ حالة مصر ، كانت حالة بلاد ما بين النهرين في ما خصّ المكاتب . فان حفريات القرن التاسع عشر كشفت ، في بلاد اشور ، مستودعات مهمة للالواح الكتابية كان الملوك يجمعونها في قصورهم وقرب هياكلهم . يذكر منها المؤلف المكاتب المهمة في نينوى (مكاتيب اسوربانيبال) وفي اشور . . . ثم ينتقل الى القرن العشرين ، فيذكر مكاتب سيبّاز (ابو حَبَّا) ، ونيبور (نُوفَر) ، وسيبار أرورو (الدَّير) ، ولاگش (تلّو) ، وكيش (أُحَيمِر) .

اما الحثيون فقد جمعوا كل آثارهم الكتابية في عاصمتهم بوغاظ كوي . وقد كشفت الحفريات تلك الالواح المسمارية التي استعان بها العلماء على فهم لغاتهم المختلفة .

بيد انه يجب القول ان هذه المستودعات الجامعة لنحو ١٠٠,٠٠٠ لوحة كتابية والتي ساعدت على تجديد معرفتنا لتاريخ الشرق القديم ، لا توافق ما نفهمه اليوم بالمكاتب . فلا نتصورنَّ مجموعةً للكتابات يمكن كل انسان ان

يقرأها ويستفيد منها . انما هناك اماكن وُضعت فيها تلك الالواح دون ترتيب ، على الغالب ، ولا فهارس ، فألفت مستودعات للسجلات والوثائق ليس غير .

ولكن هذا لا يضير في شيء قيمة الكتاب التي تظلّ ثمينة بما يحمله من معلومات كثيرة ، قد تسهّل على ارباب الثقافة عندنا ان يستخدموه فيلقوا محاضرات يزينونها بالصور المشبّهة ، فيتذوقها مواطنونا ، دون شك . س.ر.

DAVID DIRINGER, **Le Iscrizioni antico-ebraiche palestinesi** raccolte e illustrate. [*Pubblicazioni d. Università di Firenze*]. In-8°, XXIX-361 pp., 30 planches de fig. diverses et 2 tabl. d'écritures. Firenze, F. Le Monnier, 1934.

الرقم العبرانية القديمة في فلسطين

سأصف هذا الكتاب النفيس وصفاً مطولاً في نشرة جامعة القديس يوسف. على ان هذا الوصف لن يظهر قبل مرور بضعة اشهر ، ولهذا رأيت من واجبي ان أطلع قرّاء « المشرق » باختصار على موضوعه.

كلّ يعرف ان ايطالية – ومثلها بلجيكة – لم تهتمّ الا متأخرة بالدروس اللغوية المتعلقة بالشرق الادنى . على انها تقدمت تقدماً سريعاً . ويكفي بهذا الكتاب باكورةً شهيّة في ذلك ، وهو يخوض موضوعاً لم يطرقه بجمله احد بعد . فينجح فيه ، ويعرض كل ما يُعرف من الرقم العبرانية في فلسطين ، من لوحة كَزِر ورقيم قناة سلوى في اورشليم حتى اصغر الاختام . فيدرسها ويعلّق عليها ويذكر المصادر والمآخذ العديدة لكل منها . وهذا يكفي للدلالة على اهمية الكتاب وفائدته ، ولست لاتبسط اليوم في وصفه ، انما ادعو الى مطالعته كل من بدأ من مواطنينا الشرقيين بدرس العلوم الرقية الشرقية والكتابية الاثرية . س.ر.

D^r G. CONTENAU, **Monuments mésopotamiens nouvellement acquis ou peu connus** (Musée du Louvre). In-4°, 27 pp., 7 fig. dans le texte et XV planches phototyp. Paris, Les éditions d'art et d'histoire, 1934.

آثار ما بين النهرين الجديدة او غير المشهورة

ان ناشر هذه المجموعة الجميلة ، الذي شاء فاهداها الى مكتبتنا الاثرية ،

الشرقية، استخرجها من « مجلة الفنون الاسيوية » من مجلدها السابع (١٩٣١). وحسناً فعل اولاً لان قيمة هذه الآثار كبيرة بحدّ نفسها، وثانياً لان الكثيرين من المقيمين في الشرق لا صلة لهم بتلك المجلّات المفيدة، فيستميضون بمجموعة جميلة تطلعهم على اشهر الآثار، في بلاد ما بين النهرين: شومرية وبابلية وفارسية، من التي حيزت حديثاً او غير المشهورة، وكلها في متحف اللوفر.

هذا فضلاً عما للدكتور كونتنو، امين قسم الآثار الشرقية في المتحف المذكور، وشارح هذه الآثار، من الشهرة في هذا الفن. وان قرّاءنا يعرفونه بمقالاته العديدة وابحاثه في الاختام السورية - الحثّية، والتصاوير البابلية وغيرها، كما انهم يقدرونه، ويعجبون بتاريخه الصغير الجامع « للمدنية الفنيقية » ولاسيما بكتابه الكبير في « علم الآثار الشرقية » ذي المجلدات الثلاثة، الذي كان ظهوره حدثاً مهماً في تاريخ الفنّ الشرقي.

ولا نرى حاجة الى التبسط في وصف الآثار المذكورة في المجموعة. فانها تهمّ الاختصاصيين، على الغالب. وتفيد امناء المتاحف الفوائد الكثيرة. اما الرسوم فعلى غاية من الاتقان تشهد بالذوق للناشر. س.ر.

PIERRE WALTZ, Le monde égéen avant les Grecs. In-16, 13 fig. Paris, Armand Colin. Prix : 10 fr. 50.

العالم الإيجي قبل اليونان

تقدّم لنا غير مرّة ان وصفنا مؤلفات في الآثار الاقريطشية، منها دليل الى اطلال كنوسوس تكلّمنا عنه مؤخراً (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٤٦١). هذا وليس من يجهل تلك الاكتشافات المهمة التي تظهر من نحو ثلاثين سنة في جزر الارخبيل وخصوصاً في اقريطش. وهي التي مدّت العلماء فخصّوا بها الابحاث القيّمة. على انه، لم يقم قبل مؤلف هذا الكتاب، من اهتمّ بعرض حالة تلك الاكتشافات على طريقة موجزة تامّة يستفيد منها، لا الاختصاصيون فقط، بل جمهور الادباء. وكل من يهمّهم الوقوف على التاريخ القديم. ولقد كان الشرق خاصةً بحاجة الى مثل هذا الكتاب، لاننا لا نعرف في بلادنا بحثاً رصيناً في هذا الموضوع.

فكان فضل مكتبة ارمان كولان ان عهدت الى المؤلف پيير والتز ، استاذ اللغة والآداب اليونانية في جامعة كليرمون فران ، والمعروف بعدة ابحاث في التاريخ القديم ، في ان يقوم بهذه المهمة . فجمع في كتابه سعة الاطلاع وقوة الاسانيد ، الى سهولة المبنى ووضوح التقسيم ، مزيناً كل ذلك ببعض رسوم مختارة ؛ فاستحق الثناء . وبقي علينا ان نتمنى ان ينهض احد ادبائنا فيستفيد من هذا الكتاب النفيس ، فيلخصه لقراء العربية ، ويزيد في عدد رسومه ، ويضيف اليه شيئاً عن العلاقات بين ذاك العالم الإيجي وشرقنا العزيز منذ اقدم عصور التاريخ ، فيطلع ابناء بلادنا على موضوع ستتقدم الدروس فيه دون شك سنةً فسنة ، ويؤدي خدمة جليلة لتاريخ البلاد . س . ر .

Festschrift Otto Procksch,... von A. ALT. F. BAUMGAERTEL u. ander. überreicht. In-8°, 166 pp. avec un portrait. Leipzig, A. Deichert, 1934. Prix : M. 4.

ذكرى تكريم اوتو پروكش

الاستاذ أوتو پروكش من اشهر علماء البروتستانت في درس العهد القديم وقد بلغ في العام الفائت ١٩٣٤ الستين من سنيه ، فاحتفل ثانية من زملائه ومريديه من الاختصاصيين بدروس العهد القديم ، بتكريمه على طريقة غاية في الذوق والفائدة وذلك انهم نشروا في هذا المجلد ابحاثاً متنوعة في موضوع اختصاص الاستاذ ، وقدموه اليه اقراراً بفضله . اما هذه الابحاث فهي : دور السامرة في تطور العقيدة اليهودية بقلم ألت (A. Alt) . الوصايا العشر المسيحية وعلاقاتها بالشريعة الموسوية بقلم بومغرتل (F. Baumgaertel) . العناية الالهية والنظرية في الاله كما تظهر في العهد القديم بقلم ايخرود (W. Eichrodt) . الاصول الاولية للصلاة الربية « ابانا الذي في السموات » بقلم هرمان (J. Hermann) . بعد هذه الابحاث يعرض نوث (M. Noth) شرحاً جديداً لاسم العبرانيين ... بالاستناد الى الوثائق المكتشفة اخيراً في فلسطين وما بين النهرين ويدرس فون راد (G. von Rad) العلاقات بين كتاب اللاويين واسفار الاخبار . ثم يهتم روست (L. Rost) بدرس الاسماء المتنوعة التي

يستعملها العهد القديم تسمية « البلد » و « الشعب » . واخيرًا يُعنى سلين (E. Sellin) بالتدقيق في نص انشودة ديبورا وضبطه وترجمته .

كل هذه الموضوعات يخوض فيها العلماء بضبط ورصانة ، فتؤلف عملًا مفيدًا يتقدم معلوماتنا في عدة نقاط من تاريخ اسرائيل السياسي والاجتماعي والديني . ولا يفيد هذا ان كل ما يُدلي به الكتاب من براهين ، وما يستنجونه من نتائج مقبول لا جدال فيه . لا ، فان هناك مجالًا لكثير من الملاحظات والتحفظات ، ولاسيما ان الروح الذي يهيب باكثرهم ، على ما يبدونه من مظهر المحافظة ، روح بروتستانتي محض مائل الى التحكم العقلي في العقائد .

على اننا استفدنا حقًا من مجئي ألت ونوث الحافلين بالاسانيد حتى الاخيرة منها . هذا وثمن الكتاب ٤ مركات ، قليل جدًا بالنسبة الى قيمته .

س . ر .

Hommage à Alexis Petrovics, In-4°, 132-227-241 pp. 147 fig. la plupart en phototypie. Edité par les amis et les fonctionnaires du Musée hongrois des beaux-arts. Budapest, 1934.

إكرامًا لالكيس پتروڤيتش

وهذا ايضًا كتاب تذكاري قدّمه فريق من المعجبين بالاستاذ الكيس پتروڤيتش مدير المتحف المجري في بودابست ، ومن موظفي المتحف المذكور ، الى مديرهم بمناسبة مرور عشرين سنة على بدء ادارته للمتحف . والكتاب على ثلاثة اقسام : ١ ابحاث باللغة المجرية كتبها كلها موظفو المتحف قدماء وحاليون . ٢ ترجمة هذه الابحاث الى اللغات الفرنساوية او الالمانية او الانكليزية او الايطالية . ٣ لائحة بجميع الآثار التي دخلت المتحف في العشرين السنة الاخيرة ، يزين ذلك عدد من الرسوم . ولا يخفى ان فكرة ترجمة الابحاث الى لغات اقرب متناولًا من اللغة المجرية لفكرة حسنة فسحت المجال للكتاب فيتسع انتشاره وتزداد فوائده وهي ثمينة للفنانين والاختصاصيين بالفن التصويري والمصورين ، وامناء المتاحف في اوربة وفي اميركا .

س . ر .

Giovanni Fausti, S. J., **L'Islam nella luce del pensiero cattolico.** In-8°, 149 pp., Roma, La Civiltà cattolica, 1933.

الاسلام في ضوء الفكرة الكاثوليكية

هذه مجموعة مقالات ظهرت في مجلة ايطالية في رومة . اما كاتبها فأُرسل في البانية ، وهناك عرف الاسلام ، ودرس المصادر المهمة لدرسه فاستفاد منها واشار اليها دائماً في ابحاثه . على انه ليس من المستشرقين . وتمتاز مقالاته بنفحة من اللطف والتحبب تدفع المسلمين الى قراءته دون نفور ولا تذمّر . وهو يدعوهم الى اعادة النظر في المسيحية فيتحققون ان عقيدة التالوث المقدّس غير ما يتصوّرون . واذا كان لا بدّ من ملاحظة نبديها فنقول ان المؤلف يولي الصوفية اهتماماً زائدًا فيبالغ في تقريبها من آراء نبيّ المسلمين. ه.ل.

Soualah Mohammed, **L'Islam et l'évolution de la culture arabe depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours.** In-16, 226 pp., 32 illustr. et 1 carte. Alger, P. et G. Soubiron, 1934. Prix : 12 fr.

الاسلام وتطوّر الثقافة العربية منذ القدَم حتى ايامنا

كتاب لطيف الحجم ، وافر المعلومات ، فيه ملخص جامع لاهم العقائد والعبادات الاسلامية ، ما يتصل منها بالتاريخ وما يستند الى الاساطير . وفيه لمحة سريعة يلقيها المؤلف على عصور الادب العربي المتتابعة منذ الجاهلية حتى العصر الحاضر . فيظهر مزايا هذا الادب الاجمالية ، وان كان يفوته الكثير من الدقائق في تقدير القيَم والحكم النقدي ، وفي صفات الاعلام البارزة . وقد يجد الاختصاصي في الموضوع هنات عديدة في التأريخ (وسبب بعضها خطأ الطبع في الارقام)، وفي تراجم الادباء على اقتضابها المقصود ، والحكم على المذاهب الادبية - مما يكاد يعلق بكل اثر روعي فيه جانب الاختصار . ولعلّ المؤلف دوّن هذه المعلومات قبل اليوم — كما يظهر من كلامه عن المعاصرين وفيهم من طواهم الموت منذ ثلاث او اربع سنوات فلم يشر الى ذلك — وحالت المشاغل بينه وبين اعادة النظر فيها ، ولم يستفد مما نُشر مؤخرًا من ابحاث في الادب والتاريخ ، فظلّ مختصره على ما فيه من نواقص . على انه كافٍ لاعانة الطلاب في الامتحانات الرسمية في الجزائر ، وهو ما رمى اليه المؤلف خاصة. ف.ا.ب.

Tuhfat al-Ahbâb. Glossaire de la matière médicale marocaine. Texte publié pour la première fois avec traduction, notes critiques et index, par H. P. J. Renaud et G. Colin. *Publications de l'Institut des Hautes-Etudes Marocaines.* t. XXIV. In-8°, XXV-218-٧٠ pp. Paris, Geuthner, 1934. Prix : 150 fr.

كتاب تحفة الاحباب في ماهية النبات والأعشاب

هذا الكتاب معجم صغير باسماء عدد وافر من النبات والجماد، وبعض الحيوان، مما له علاقة بالطب والعقاقير، وضعه احد علماء مراكش في العصور المتأخرة ليكشف « رموز المادة الطبية »، فيسهل الاستفادة من كتب الطب على بني قومه. وقد شرح تلك الالفاظ باقتضاب وذكر مرادفات بعضها باللغة البربرية. وقف الناشران على بضع نسخ خطية للتحفة فدرساها طويلاً وقابلا بينها. ثم طبعا الكتاب، وترجماه الى الفرنسية وعلقا عليه حواشي ثمينة كلفت جهداً متواصلاً، ودلت على معارف واسعة. واذا بذلك المعجم المقتضب الجاف يصبح اثراً نفيساً جزيل الفائدة لا لطلاب تاريخ الطب العربي وما اليه من عقاقير ونبات فقط، بل لكل مشتغل بتاريخ ادبنا، بل المشتغلين باللغة انفسهم من الذين يعنون على القواميس العربية-الفرنسية فقرها في مثل هذه الابحاث. وفي الكتاب مادة واسعة لفائدتهم جميعاً. ف. ا. ب.

Les axiomes médicaux de Yohanna ben Massawaih. Ouvrage publié pour la première fois, avec des corrections et des annotations, par le R. P. Paul Sbath. In-8°, 34 pp. Le Caire, 1934.

النوادر الطبية ليوحنا بن ماسويه

ان الطبيب النصراني يوحنا بن ماسويه († ٨٥٧)، طبيب المأمون، ومدير « بيت الحكمة » في بغداد، اشهر من ان يعرف. كتب بهذه النوادر الى تلميذه حنين ابن اسحق. وقد وقف حضرة الاب بولس سباط على مخطوطتين لما نقلهما الى مكتبته المعروفة ودرسهما، [illegible] قدم على ذلك مقدمة قصيرة مفيدة، وترجم بعض هذه « النوادر » الى اللغة الفرنسية. فاتى عملاً مشكوراً. ف. ا. ب.

R. GROUSSET, **Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem.** Tome I, **L'anarchie musulmane et la monarchie franque.** In-8° avec 4 cartes. Paris, Librairie Plon. Prix : 60 fr.

تاريخ الصليبية ومملكة اورشليم الفرنجية

يسرنا ان نرى عهد الصليبيين يلفت نظر المؤرخين في فرنسة ، منذ استقرار الانتداب الفرنسوي في هذه البلاد . ومن الحقّ انه كان للآثار القديمة نصيب وافر في هذا الامر . فان تلك القصور التي شادها الفرنجة في الشرق والتي لا تزال بقاياها ماثلة شواهد عظمة وسعة تصور ، أثرت في مشاهديها العديدين يوماً فيوماً فاخذوا يتساءلون : من كان اولئك البناة ؟ وكيف كان عهدهم ؟ وهكذا بدأت المقابلة بين تلك العصور وعصرنا الحاضر ، ولم تكن الافضلية من مزايا عصرنا في الكثير من الاحوال.

قام المؤلف بدرس دقيق في موضوعه ، فاستغلّ جميع الاعمال التمهيدية كآثار مؤرخي الصليبيين التي نشرها مجمع الرُقم والآداب في فرنسة ، ومجلة الشرق اللاتيني التي توقفت عن الصدور لسوء الحظ . وسار على اسلوب نقدي صحيح ، على كونه لم يتخلّص احياناً من بعض المزالق في هذه الدروس القديمة ، ومنها ان نقيس مؤسسات الماضي بافكار الحاضر . ومهما يكن من أمر ، فان تأليفه ، اذا ما انتهى في مجلداته الثلاثة ، يمثل اثرًا فخماً من اجلّ ما قام به علماء الفرنسويين في درس العهود الماضية في آسية الغربية . ج . ل .

HENRI MULLER, Touti-Nameh ou les contes du perroquet de ZIAY-ED-DIN NAKHCHABI d'après la rédaction de MOHAMMED QADERI, traduits de l'original persan. [*Publications de la Faculté des lettres de Strasbourg*, deuxième série, vol. 13]. In-8°, 124 pp. Paris, Les Belles Lettres, 1932.

حكايات الببغاء

هذه مجموعة حكايات فارسية واسعة الشهرة ، كثيرًا ما نقلها الكتاب او نسجوا على منوالها ، وكثيرًا ما تُرجمت باختصار او بتصرّف الى اللغات الشرقية والغربية . اما هذه الترجمة فمن أصل أصلح في القرن السابع عشر فاختُصرت

فيه الحكايات القديمة وحُذف منها الكثير من التوسيعات اللفظية ومظاهر البلاغة الجوفاء من التي لا تقوى على الترجمة . واما الموضوع فهو اشبه بموضوعات « الف ليلة وليلة » على فرق ان شهرزاد توسع المجال لبناء متكلفة تروي الكثير من الحكايات . الا انها ليست بالثرثارة ، فهي توجز التعبير فتريح السامع ، وتبهجه بما في ملاحظاتها من دقة ، وما في اساريها من حياة منعشة . وقد ترقى بملاحظاتها الى مجال الفلسفة الرفيعة . وهو ما دفع گوته ، الشاعر الالماني ، الى ان يقول ، بعد قراءته هذه الحكايات : «ان ادب هذه البلاد ادب رجل معمر ناضج يرى في ظواهر الحياة قيمة رموز متنوعة . »

ج . ل .

J. M. GOBLET, Le crépuscule des traités. In-12, 262 pp. avec 12 cartes dans le texte. Paris. Editions Berger-Levrault, 1934. Prix : 15 fr.

شفق المعاهدات

قد يظهر هذا العنوان على شيء من الغموض ، لاول وهلة . الا ان المطالع لا يلبث ان يستجلي الغاية من الكتاب . يخوض المؤلف موضوعاً في الجغرافية السياسية ، وهو علم يتقدم بخطى واسعة ، على حداثة عهده ، وعلى ما أُدخل فيه من المبالغات احياناً . فيرى ان مبرّرات السيادة التاريخية من معاهدات ومواثيق كتابية ، لم يبقَ لها في عصرنا من الثبات ما كان لها في الماضي . يكفينا في ذلك ان نلقي نظرةً على ما آلت اليه معاهدات سنة ١٩١٩ و١٩٢٠ التي خُتمت بها الحرب . ولا يخفى ان هناك من مشاكل الحدود والمناطق المجاورة ما يظل دافعاً الى الاختلافات . هو يدرس كل ذلك ويدلّ عليه بامثلة مختارة في جميع المناطق حتى الاراضي القطبية . تبلغ دروسه العشرين متصفة بدقة التحليل ، والوضوح ، والاهتمام بموضوعية تترفع عن الميول والاهواء . فيستنتج ان من الضرورة ان تُبنى الاتفاقات في ما بعد ، لا على الورق المدوّن ذكرى انتصارات القوة والدهاء ، بل على الحوادث الو[illegible] ...ب بعضها ببعض ، ومن حاجاتها وحاجات الارض التي تعيش عليها وتتغذي بها ، وعلى التحليل العلمي لهذه الحوادث ، على العلوم الطبيعية ، على التاريخ

والجغرافية السياسية . ولا يخفى ان من ضروريات هذا العلم ان يتصف الآخذ به بالتجرّد والطموح الى المثل الاعلى اتصافه بالموضوعية العلمية فوق كل شيء.

ج . ل .

Dossiers de la coopération intellectuelle. L'adoption universelle des caractères latins. 1 vol. 16×22,5. Paris, Librairie Stock, 1934. Prix : 20 fr.

استعمال الحروف اللاتينية استعمالاً شاملاً

استعمال الابجدية اللاتينية في اللغات الشرقية مسألة عويصة متشعبة الاطراف لا يمكن الامل بروئيتها ناجحة الا شيئاً فشيئاً وبعد زمن طويل . وقد جُمع في هذا المجلد اجوبة عديدة عن هذا الاقتراح تتنوّع بنزعاتها وتختلف بوجهات نظرها ، من الرفض التام الى القبول المطلق دون قيد ولا تحفظ . بيد ان العُمّال لا يرغبون في استبدال الابجدية اللاتينية بغيرها من الابجديات الشرقية استبدالاً فجائياً كما جرى في تركية ، لان هناك في ابجديات الشرق تراثاً ثميناً من الادب يكون طرحه من اكبر الجرائم . وهذا ما اجابت به مصر تقريباً بلسان الاستاذ صبري (ص ١٨٠) . على ان غاية عارضي هذه الفكرة ليست الغاء الابجديات الشرقية ، انما ان تجعل الحروف اللاتينية الى جنب الحروف الاصلية ، تسهيلاً على الاوروبيين ، كما فعل مرسلو الكاثوليك مثلاً في الصين . ولعلّ الفكرة تكون اقرب الى التحقيق ، اذا عُرضت من هذه الناحية .

ج . ل .

Charles Chesnelong, **L'avènement de la République 1873-75.** Mémoires publiés par son petit-fils. In-12, 247 pp. Paris, Librairie académique Perrin. Prix : 15 fr.

مذكّرات في تأسيس الجمهورية (١٨٧٣ — ١٨٧٥)

كان من نصيب صاحب هذه المذكّرات ان يتدخل تدخلاً فعلياً في المفاوضات التي جرت في السنة ١٨٧٣ في سبيل اعادة الملكية الى فرنسة . وقد احترم العلماء كل ما ادلى به من شهادات في آثاره الظاهرة مدة حياته . فاهتم

حفيده اليوم بنشر هذه المذكرات البادئة منذ مددت سلطة المرشال مكماهون. وهو عهد مهم اذ بوشرت فيه الاعمال التمهيدية لسن الشرائع التأسيسية او الدستور. وقد كان للمؤلف فيها القسط الوافر. وهو موضوع الكتاب الذي لا تخفى اهميته على احد. واذا اضفنا الى ذلك ما اتصف به المؤلف من دقة وصدق وتجرّد في اقواله، دللنا المطالعين، ولاسيما المؤرخين منهم، على مصدر ثمين لتاريخ فرنسة المعاصر. ج. ل.

E. Faguet, **Histoire de la poésie française de la Renaissance au Romantisme. VII, Voltaire.** 264 pp. Paris, Boivin et C^ie. Prix : 15 fr.

تاريخ الشعر الفرنساوي : المجلد السابع

هو المجلد السابع من تاريخ الشعر الفرنسوي، يخصّه المؤلف النقّادة المشهور بڤولتير، فيدرس فيه تنشئته الادبية، وما اثّر في عقله من الافكار، وباي نظرة كان يرى الفنون والانواع الشعرية التي خاض فيها كالملحمة والرواية التمثيلية. ثم يدرس ملحمته المعروفة « بالهنرياد » وهي اثر قد يكون له شيء من الاهمية، الا انه خالٍ من الشعر. بعد ذلك يعرض المؤلف لآراء ڤولتير الفلسفية والسياسية والاخلاقية الظاهرة في آثاره الشعرية، ويختم بذكر حكم جوبير الذي اشار الى « نظرة ڤولتير الصائبة، في شعره، والى مخيّلته الفنية، وذكائه المرن، وذوقه الدقيق »، ويزيد عليه ان آثاره الشعرية يضيرها كونها وُلدت عن فكرة مقرَّرة ونظرية سابقة لا عن اندفاع نفسيّ فخرجت من العقل بدل ان تخرج من الكائن الانساني كله. ج. ل.

Henri Chrétien, **Les méthodes de prévisions du temps à courte et à longue échéance.** Charles Lavauzelle éditeur, 1934.

طرق تقدير الطقس

ان هذا الكتاب لأَنْ اشبه بدائرة معارف ... كتاب ... بمقدمة الاستاذ جبرائيل گيلبير، الاختصاصي بعلم ظواهر الجوّ. ونحن نقرّه على هذا الحكم، اذ نرى في الكتاب كثيراً من صفات دوائر المعارف، بما يحتويه من مواد

وافرة : حوادث واقعية وفرضيات نظرية تكاد تلخص كل ما قيل او كُتب عن علم الظواهر الجوية . فهو كنز من المعلومات في هذا العلم الحديث النشأة كعلم دقيق ، وان تكن تطبيقاته قد شغلت الانسان منذ اقدم العصور . وهذا ما دفع كاتب المقدمة نفسه الى القول : « يقرأ المطالع الكتاب واذا به واقف على احدث المعلومات في العلم المذكور.»

بيد انه قد يؤخذ عليه — وهذا ايضاً من صفات دائرة المعارف — انه لا يميز التمييز الكافي بين ما هو حقيقة علمية ثابتة ، وما لا يزال فرضية ممكنة، او خالية من كل امكان . ثم ان هناك جولات يقوم بها المؤلف في علوم تخرج عن اختصاصه ، كعلم النجوم مثلاً ، فتقوده الى تعابير لا تتصف بالوضوح الكافي . واننا نتمنى طبعة جديدة لهذا الكتاب الذي يمثل جهود سنوات عديدة ، فيتخلص من هذه الشوائب ، ويصبح جديراً بان « يستند اليه يوماً كل الذين يخوضون مجاهل الاوقيانوس الجوي كما يستند اليه غيرهم ، وهم كثيرون ، من الذين يهتمهم علم تقدير الطقس ». ش . كومبيه

فوق العباب

لاحمد زكي ابي شادي

١٥٨ ص. متوسطة ، مطبعة التعاون ، بالقاهرة ، ١٩٣٥ . الثمن : ١٠٠ مليم

لعلّ الدكتور احمد زكي ابي شادي اوفر شعراء مصر خصباً في هذه الايام. فهو لا يظهر المجموعة الا اعدّ الاخرى للطبع ، حتى ليخال الناقد انه يُفرد في نهاره ، او في ليله ، ساعات خاصة للنظم في مختلف الموضوعات . وها هو يتحفنا اليوم بمجموعة جديدة مصوّرة احتوت على « ١٤٧ قصيدة ومقطوعة جمعت ٢٢٤٨ بيتاً » فيها قطع فنية لا بأس بها ، وفيها قصائد ظرفية قد يأتي عليها الزمن فيمحو اكثرها ، وفيها منظومات علمية قد تظلّ قلقة بين الشعر والعلم. على ان للنقّاد مجالاً للنظر في ذاك التصدير الوافي الذي قدّمه على المجموعة ، وهو مظهر جلي — كاكثر تصديرات ابي شادي — لتململ الفكرة الشعرية في ادمغة الشبان من ادباء مصر. ف . ا . ب .

على عتبة الامومة

بقلم الدكتور مصطفى خالدي

٢٠٥ ص. متوسطة كبيرة مصوّرة – مطبعة طبّارة ، بيروت ، ١٩٣٦

الثمن: ٥٠ غ. ل. س.

اما وقد أعرب ارباب الجرائد والمستفيدون عن ترحيبهم بهذا التأليف الجديد الذي أتحف به الامهات ، اي الامة ، الحكيم الاستاذ مصطفى الخالدي فترتّب بالاحرى على الخادم الامين لفنّ الوقاية والصحة ان يرحّب به باسم « المشرق » ؛ وقد ترتّب عليه خاصة حمدُ الله على ان قام في الوطن ولفته من جمل كالخالدي ان البذار المنثور في « علم الصحة » وجريدتي البشير والثبات وغيرهما منذ اربعين سنة اصبح شجرةً باسقة الاغصان غزيرة الثمار تظلّل الامهات وتحميهن وتغذي الرضع وتُنميهم.

لا ريب أن ما توخّاه مؤلف « على عتبة الامومة » لاشرف وأفيد ما يصبو اليه الطبيب والاجتماعي والوطني ، اذ هو صيانة الامّ « والدنيا ام » مع سلامة الجنين والطفل النحيف ، ذلك الضعيف اللطيف في الحال على حدّ ما هو قويّ عظيم في الاستقبال . والنفساء والرضيع لهما بأشدّ الحاجة لهذه الصيانة ، وهما هي لهما اليوم بعصر النور متوافرة صادقة بعد ان ظلّت أجيالًا غامضة مجهولة . وها هي اليوم مسطّرة بقلم حكيمنا . ان موت الماخض بحمّى النفاس ، مثلًا ، والالتهابات المعويّة آفة الرضّع ، او الرمد الصديديّ العامي لمئات الالوف من الاطفال ، وغير أمراض قد اصبحت من الشذوذ بمكان . وما هي الا الجهل او لاهمال في تلافي الجراثيم بالطهارة والتطهير ، طبقًا للتعاليم الحديثة ، بنت باستور وأعوانه ، العجيبة الفوائد .

وبهذا الكتاب افادات عديدة ثمينة ، منها ما وقع في الصفحة ١١٥ تحت عنوان « مطالب الطفل من أمه » او في الصفحة [illegible] الصديدي السابق ذكره بقطرة نيترات الفضة البسيطة ؛ ومن هذه الافادات ايضاً أنّ البنية الصحيحة والسلالة السليمة لأحرى كثيرًا بان تُطلب من طالب الزواج من

المهر والجاه ، كما ان للمتزوجين او لمن هم « على عتبة » الزواج ، كلمةً تنمّ عن فطنة وخبرة .

واذ كان المقام لا يسمح بالزيادة في الاسهاب فانا نقف عند بعض ملاحظات يشفع بقبولها من الاخ الكريم ما بُنيت عليه من الاخلاص والتعاون في خدمة غايته ومهمته النبيلة ، ناظرين الى طبعة ثانية قريبة بتوفيق الله :

١ً وضع موجز للفتيات قبـل زواجهنّ يحترمُ شعورهنّ اللطيف وعفافهنّ الدقيق . فانّ من التفاصيل والصور ما هو أجدر بالحجاب من السفور ، وبتلميذات الاستاذ في فنّ القبالة منها للمخدَّرات في بيوت والديهنّ . وهنّ ليعجزن عن فهم تلك الدقائق التشريحية او الفيزيولوجية مع ما هناك من رسوم وتشابيه .

٢ً تجاوُز « عتبة الامومة » الى ما هو من قواعد الملبس ، وتنظيم الارضاع ، وتعقيم الحليب بالاغـلاء ، مع اعطاء الڤيتامين (vitamines) وشكل الفراش والسرير (اي ان يكونا غير مثقوبين في الوسط للاناء . . . ولا هزّازين كالسرير المصوَّر صفحة ١١ والمؤلف لم يذهل عن تحذير الهزّ . . . أجل لا يجوز ان يبقى من الهزّ الا العبارة الشهيرة : « التي تهزُّ السرير بيمينها تهزُّ الارض بشمالها » . اي تدوين كل ما هو من « التربية » ولها ، وهو ما يعبّر عنه الافرنج بكلمة : puériculture ، ولاسيما الآية المقول عنها في « قانون الصحة » يجب ان تكتب بماء الذهب على سرير كل رضيع وهي : « الوالدات يُرضعنَ اولادهنّ حولين كاملين لمن اراد ان يُتمّ الرضاعة » .

٣ً لفت ، لا « إلفات » ، نظره الى بعض عبارات منها : حيث توجد الحياة لا بدّ من وجود نواة (في الخليّـة cellule) . والميكروب ، عـدو المواخض والاطفال الالدّ ، كله حياة ونماء وهو لا نواة له . والحثّ على الزواج الباكر فلا يُكتب ان سنّ استيفاء شروط الزواج حتى في البنات انما « هو ٢٣ سنة » مع انا كلّ يوم ننادي بالزواج الباكر وفقاً للآية الكريمة : « ان لم يتعففوا فليتزوّجوا » والزواج سياج الاخلاق الضامن من البناء شرّ الشرور . ونحن نقف مكررين الشكر للاخ الاستـاذ الهمام والثناء على عمله معيدين النصح بالتقيد بما اراده للامهات من وقاية لهنّ وسلامة لاولادهنّ .

امين الجميّل

الكنيسة او مملكة المسيح على الارض

للاب خليل اده اليسوعي

بيروت . المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ ، ص ٢٠١ ، قطع ١٢

هي سلسلة ابحاث لاهوتية خطابية ملؤها روح المحبة والغيرة على مجد الكنيسة الشرقية امّ القديسين العظام في عهد اتحاد الكراسي البطريركية الشرقية بالكرسي الرسولي . اصل الابحاث يرتقي الى سنة ١٩١٧ ، اذ كان المؤلف يلقي مواضيعها في كاتدرائية مصر المارونية ، ثم اعاد النظر فيها مدة تعاطيه الخدمات الرسولية في مصر ، وعرضها باسلوب ونَفَس نيّر لكل من يرغب في معرفة حقيقة الكنيسة وفقاً لتعاليم الكتاب المقدس وتقاليد الآباء . مدعمة بالبراهين اللاهوتية والتاريخية . ولا بدّ ان يلفت هذا الكتاب نظر الاكليروس وعلى الخصوص نظر اساتذة المدارس الاكليريكية فيرتادوه عند تهيئتهم المواعظ ودروس اللاهوت . فنسأل الرب مؤسس الكنيسة ان يأخذ بيد المؤلف الفاضل فيتحفنا بمؤلفات شبيهة بهذا الكتاب الممتاز بقوة البرهان وبلاغة البيان .

ف . ت .

اجمل زهرة في حديقة آل هبرا

او السيد الطيب الاثر مار غريغوريوس بطرس متروبوليت المرصل فدمشق

١٨٥٦—١٩٣٣

تأليف تلميذه الخوري اسحق ارملة السرياني

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٦ ، قطع ١٢ ص ١٦٤

يشمل الكتاب جزءين الاول فيه سلسلة آل هبرا ، وجدّها الاعلى سليمان هبرا المولود في دمشق عام ١٦٢٤ . خصّ المؤلف بالذكر ١٩ نوعاً من كبار رجالها واولادهم [illegible] عن شجرة عائلية [illegible] منقولة عن أرومة سبق فانشأها نسيبه يوسف عبد الله هبرا . وعلق عليها الاب اسحق مستعيناً بتعليقات الدكتور اسكندر فبيّن ما لآل هبرا من الوجاهة والفضل في

الدين والدنيا . اما جزء الكتاب الثاني ففيه ترجمة السيد المطران غريغوريوس هبرا من نشأته الى اقامته في مدرسة عين طورا فسيامته الكهنوتيـة ورئاسته دير الشرفة فارتقائه الى الاسقفية وتدبيره شؤون الابرشية الموصلية ثم الدمشقية فوفاته ، وقد قضى حياةً ملأها الاعمال الرسوليـة بين التعليم والكتابة والعناية برعاية النفوس . ومن اهمّ الكتب التي خطهـا قلمه تأملات هامون في ثلاثة مجلدات عرّبها عن الافرنسية ثم اضاف اليها مجلدًا رابعاً ضمّ فيه مـا انشأه من التأملات ابتكارًا . وله آثار في التصوير منها صورة قلب يسوع الاقدس نقشها على مذبح مدرسة عين طورا . ان حضرة الاب اسحق اظهر ذوقـاً حسناً في انتخابه موضوع كتابه وعالجه برقة وعاطفة طيبة تنمّ عنها طيات الكتاب فنهنئه ونتمنى لكل الاسر المسيحية الشرقية النبيلة ان تلقى في امثال الاب اسحق ما لقيته اسرة هبرا من عناية ومحبة . ف . ت .

اليزيدية قديمًا وحديثًا

وهي ثلاثة فصول لإسماعيل بك جول امير اليزيدية في سنجار

نشرها الدكتور قسطنطين زريق

المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٣٤ ، ص ١٢٤ ، قطع ٨

اسماعيل بن علي بن حسن بن جول بن بداغ بن ميرخان بن سليمان وُلد في الشيخان ، مركز السلطتين الدينيّة والمدنيّة عند اليزيدية ، وشبّ فجاب الاماكن التي يقطنها اليزيدية في الشيخان ، وسنجار ، وديار بكر ، وحلب ، وروسية ، ساعياً في سبيل الامارة والزعامة وهو يعتقدها ارثه الخاص ، راغباً في خدمة امته ودينه . وكان في كل مكان ينزل به يعلم ابناء امته اصول ديانتهم ويوطـد علاقاتهم بالحكومة وبالشعوب المجاورة لهم كالاتراك والاكراد والارمن ويجمع الحسنات لمعيشته . وحمى اسماعيل بك من جور الاتراك المسيحيين اللاجئين الى جبل سنجـار ايام الحرب العظمى ، واتصل بالجيش الانكليزي المرابط قرب سامرة ، ودخل معه الموصل ، وفي سنة ١٩٣٣ توفي في سنجار . .

ولاسمعيل بك ابنة علمها في مدرسة الاميركان في بيروت وتعرف الى ادارة جامعتهم فارسل الى رئيسها المستر بايرد ضودج الفصول الثلاثة في معتقدات اليزيدية وعاداتهم وبعض حوادث تاريخهم ، مع سيرة حياته وطلب اليه نشرها . فأخذ الدكتور قسطنطين زريق على عاتقه مهمة نشر هذه الوثائق المفيدة تاريخ بلادنا وشعوبها واديانها ، فعلّق عليها مستعيناً على شروحه بما كتبه عن اليزيدية الافرنج والعرب ، وبما استفاده من الطلبة العراقيين العرب والاكراد الموجودين في الكلية الاميركية . وذيّل الكتاب بفهرس للاعلام واسع النطاق غزير المادة . فنشكر له هذه الجهود ونستميح اذناً بلفت نظره الى ان ما قاله (ص : ك من المقدمة) عن عدي بن مسافر ومولده قرب بعلبك يؤيده وجود قبر في خربة قنفار ، وهي قرية في جنوبي البقاع لا تبعد كثيراً عن شاطئ نهر الليطاني الايمن ، يزوره الناس ويقولون انه قبر السيدة زبيدة ام الشيخ عدي بن مسافر .

ف . ت .

الانسان

تأليف السيد علي فكري رئيس المفتشين بدار الكتب المصرية

القسم الاول : ١٦٦ ص ، والثاني : ٢٢٨ ص بقطع ٨ (١٣٥٣ ، ١٩٣٥) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بمصر

هذا الكتاب يجمع فوائد وتعليقات عديدة وافرة ، شرح فيه المؤلف تركيب جسم الانسان ، وذكر وظائف اعضائه الظاهرة والباطنة واعصابه وحواسه باسلوب مشوّق يدلّ على سعة الاطلاع وكثرة المعارف . فيه الصور المتقنة العديدة مع الاقوال الحكمية والآراء المستندة الى القرآن والاحاديث والى غيرهما من الكتب العربية والافرنسية ، وغير ذلك من الفوائد اللغوية والصحية والنصائح الادبية والاجتماعية مما هو جدير بتفكهة القارئ وتسليته . فيُعدُّ هذا الكتاب خطوةً جديدةً في سبيل تثقيف [illegible] رفيه خدمة للعلم جديرة بالثناء ، وانموذج قيّم لما بلغ اليه فن الطباعة من الكمال في مطبعة السيد عيسى البابي .

ف . ت .

الاطلال : رواية قصصية مصرية

بقلم محمود تيمور

١٥٧ ص. منيرة – المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٣٤

عوّدنا المؤلف القصصي المصري ، محمود تيمور ، ان يتحفنا بين آونة واخرى ، بمؤلّف يحتوي على رواية طويلة يردفها ببعض الحكايات الصغيرة . يدرس كل مرّة محيطاً جديداً ، ويجرّب ان يظهر لنا مظهراً كاملاً من مظاهر الحياة الاجتماعية المصرية . اختار في الرواية الحاضرة مشكلاً من مشاكل الحب الذي تلقّحه مفاسد العصر فيولّد حالات اقلّ ما يقال فيها انها تراوح بين العار وشقاء الحياة واليأس والانتحار . ذكر تهوّر احد الشبان ووصوله الى احطّ دركات الفساد ، بعد ان بدأ يلهو بالحب « الطاهر » في زعمه ، ولم يدرِ ان اللهو بالحبّ لا يعقب الخير ، وان من يدنو من النار يحترق . كل ذلك في موضوع بعيد من ان يعمل على تعزيز الاخلاق في البيئة المصرية وفي غيرها من البيئات ، وان كان الاسلوب على جانب من اللطف والسلاسة . م.ك.

دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية

الجزءان ٨ و٩ : الصفحات من ٤٨١ – ٦٢٤ – لجنة الترجمة : ٣٠ شارع نوبار باشا بمصر

تقدّم للمشرق (٣٢ [١٩٣٤] ١٥٩) ان ذكر هذا المشروع الجليل الذي يقوم به الاساتذة محمد ثابت الفندي ، واحمد الشنتناوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبدالحميد يونس ، يشجعهم عدد من مفكري مصر ، بما يلقون من حواش على بعض الموادّ ، ومن شروح على بعض التعابير . وقد واصلت اللجنة جهدها ، واذا بين ايدينا اليوم الجزءان الثامن والتاسع من المجلّد الاول يضمّان ، في ١٤٠ صفحة كبيرة ، كثيراً من الموادّ من « احمد بن سهل » الى « ارطغرل » ، بينها ابحاث مهمة كمقال گولدسيهر عن « احمد بن محمد بن حنبل » ، ومقال مرزتمان عن « ادرنة » ، ومقال عبد الحق الواسع عن لغة

« الاردو » ، وبحث ده بور عن « ارسطاطاليس » . اما الحواشي فقد خلا منها الجزء التاسع ، وما نُشر منها في الجزء الثامن لا طائل تحته . واما العناية فعلى تقدّم متواصل ، ان شاء الله. ف . ا . ب .

سيرة الاب البار بشاره ابي مراد المخلّصي

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلّصي

٢٢٤ ص. صغيرة – مطبعة دير المخلّص ، صيدا (لبنان) ١٩٣٦

وُلد الاب بشارة ابي مراد في زحلة سنة ١٨٠٣ ، وتوفي في دير المخلص سنة ١٩٣٠ ، لبى دعوة ربه الى خدمته ، فدخل الرهبانية المخلصية . ثم كان من حظّ دير القمر ان عرفته فاستفادت من غيرته وصلاحه مدة ٣٢ سنة . ولا يزال شذا قداسته يفوح في تلك الجهات . وقد احسن صنعاً حضرة الخوري قسطنطين الباشا بان جمع كل ما عرفه بنفسه ، وما سمعه من عارفي الاب البارّ ، فمحصه ، ودقق فيه ، عالماً « ان آفة تاريخ رجال الله تسرّب الشكّ الى النفوس بصحة اعمالهم الخارقة وحمل الكلام فيها على المبالغة . » ف . ا . ب .

قصص علمية للاطفال : ١ً النحلة العاملة

بقلم كامل كيلاني

١٠٥ ص. متوسطة – مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٣٦

اشرنا في جزء سابق (٣١ [١٩٣٣] ٧٨) الى عناية الاستاذ كامل كيلاني بالاطفال عناية خاصة جعلت ارباب الثقافة والتربية يجمعون على الثناء عليه . وفصّلنا اسماء ما نشره من « قصص فكاهية » و « قصص جديدة » و « قصص للاطفال » . وقد واصل الاستاذ عمله منذ ذاك الحين ، فاخذ باختيار عدد من اشهر القصص الغربية كروايات شكسبير ، ورحلات گوليڤر ، ودون كيخوته ، والكوميديا الالهية ، واضاف اليها قصة شمشون الجبّار ومنتخبات من رحلات ابن بطّوطة ، قاصدًا تقريبها من ذهن الاطفال . ولم نقف على هذه السلسلة بعد فنحكم عليها . على ان بين يدينا الجزء الاول من سلسلة جديدة دعاها « قصص

علمية للاطفال » ، وقد خصه بدرس النحلة العاملة ، مقدماً على ذلك حكايات متنوعة عن الحيوانات مما يشوّق الطفل ويسير به شيئاً فشيئاً الى التفهم العلمي . وفي آخر الكتاب إلمامة مفيدة في النحل اقتبسها الكاتب من دائرة المعارف الفرنسوية ، واردفها بمعجم للنحال وبجدول في اعلام الحيوان جزيلي الفائدة . كل هذا يبدو في مظهر غاية في الاتقان من حرف جلي، وطبع مُتقن ، ورسوم جميلة واضحة . ف . ا . ب .

مآثر عريضه : ٣

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

١٢ + ٤٥ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٥

هو الجزء الثالث من ترجمة صاحب الغبطة مار انطون بطرس عريضه البطريرك الماروني ، جمع فيه المؤلف احداث السنة الثالثة من بطريركيته دينية واجتماعية ، ولخصها باللغة الفرنسوية ، فاضاف دليلاً جديداً على اهتمامه بتأريخ البطريركية المارونية .

لقطة العجلان

تأليف : بدر الدين الزركشي — شرح : جمال الدين القاسمي الدمشقي

١٦٠ ص. متوسطة منيرة – نشره « مكتب النشر العربي » : مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦

هو كتاب مختصر في المنطق واصوله من قضايا وقياسات ، وما يتصل به من مبادئ في الادراك وطرقه وانواعه ، وعلم الجدل وما يحتاج اليه مع لمحة في العلوم الاسلامية . ألّفه احد أئمة المتأخرين في مصر ، بدر الدين الزركشي (١٣٤٤–١٣٩٢) ، وعلّق عليه الحواشي احد أئمة دمشق في القرن الماضي ، جمال الدين القاسمي الدمشقي (١٨٦٥ – ١٩١٤) ؛ فرأى « مكتب النشر العربي » في دمشق ، ان يخرج هذا الكتاب في جملة منشوراته التي نعرف منها « المنقذ من الضلال » للامام الغزالي . فاكتفى بان اخذ له مقدمة ترجمةَ للشارح ، كان الاستاذ محمد كرد علي قد نشرها في مجلته « المقتبس » على اثر وفاة صديقه

المذكور . ولا شك في ان الكتاب مفيد لطلاب هذا النوع من العلم ، وان يكن بحاجة الى شيء من التبويب والتوضيح في الفهارس خاصة ، والى مزيد عناية في المظهر الطبعي.

مجال القلم

بقلم ليون لورنس عيسايي

١٤٠ ص. متوسطة – مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٣٥

مجموعة مقالات دينية واجتماعية وتاريخية اكثرها من النوع الصحفي كان المؤلف ، وهو من ادباء كركوك ، قد نشرها في بعض جرائد العراق ومجلاته ، ثم رغب في ان يوسع مجال الاستفادة منها ، فجمعها وطبعها على حدة في مجلد افتتحه بذكر الملك غازي الاول . فنتمنى ان يكون للمؤلف ما رمى اليه من فائدة بني قومه .

الملك اوديب

رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

تأليف : اندره جيد — تعريب : الشيخ حبيب اليازجي

٤٠ ص. كبيرة – المطبعة التجارية ، بوانس ايرس ، ١٩٣٢

قصة الملك اوديب اشهر من ان تُعرّف بعد ان خلدها سوفوكل في رواية لا تزال من المُثُل العليا للفن التمثيلي . وقد شاء الشيخ حبيب اليازجي ان يتحف الآداب العربية بهذه الرائعة الفنية ، بعد « ان صحّت عزيمته على نقل سلسلة من الروايات والمبتكرات الحديثة عن اشهر مفكري الغرب المعاصرين ، مستأنفاً بذلك العمل الذي باشره لسلافه في سبيل زيادة ثراء اللغة العربية واعلاء شأنها » كما قال في مقدمته . قلنا : ونعم العمل ! على اننا وددنا لو عاد المعرّب الى اصل رواية « اوديب الملك » كما ولّدتها عبقرية سوفوكل — ولها الترجمات الكثيرة الدقيقة الى لغات الغرب الحديثة — فنقلها كما هي . بدل ان ينقل ما حاكته حولها عقلية اندره جيد الشاذّة . الا ان تكون غايته نقل « ادب » جيد الى

العربية . والادب العربي ، ولاسيما العباسي والانحطاطي منه ، من ابي نواس الى صفي الدين الحلي ، بغنىً عن معنويات بجيد ونظرياته ؛ وقد أسرف ادباؤنا في تطبيقها كل الإسراف في خمارات بغداد وضواحيها . بقي اسلوب بجيد الرفيع حقاً ، وهو ما لم يتوفق المعرب الى نقله ؛ وليس من المنتظر ان يتوفق غيره الى ذلك . فضلاً عن ان الرواية بعيدة عن الروح التمثيلي لما تعتمد المؤلف فيها من مناقشة النظريات الاجتماعية الدائرة حول الاسرة والدين والاخلاقيات مناقشة سرعان ما يمل منها الحاضرون ، لو مُثلت الرواية امامهم ، ولن تُمثل لانه لم يقصد بها التمثيل . ولهذا فلا يمكن ان يستفيد منها روائيونا مثالاً لهذا الفن الذي لا يزال طفلاً في ادبنا العصري . واذاً فاننا نستغني عن هذا النوع من الادب ، شاكرين للمعرب حسن نيته !

ف . ا . ب .

تقويم الهلال للعام ١٩٣٥

١٤٤ ص . كبيرة مصورة - مطبعة دار الهلال بمصر ، ١٩٣٤ - الثمن : ٥ غروش مصرية

هي السنة السادسة لهذا التقويم الجامع بين اللذة والفائدة . اصدرته دار الهلال ، مطبوعاً بالروتوغرافور ، حافلاً بالصور والرسوم العديدة ، محتوياً على الكثير من المعلومات السياسية والاقتصادية عن مصر ، مع نُتف تاريخية عن اشهر رجال العالم اليوم ، وابحاث مختصرة في بعض الادواء الاجتماعية والمظاهر العلمية ، يتخلل كل ذلك قصص وشذرات ونكات فكاهية ، فيتسلى المطالع ويستفيد .

* القوة بالاتحاد * ١٤ ص . صغيرة ، اورشليم ، ١٩٣٤ — « نبذة تاريخية في اصل البلاغة العربية ، بقلم الاستاذ الثابت الوطني المخلص » . وكلها منظومة ، عليها بعض الحواشي النثرية .

* مكتبة لويس سركيس * هي سابقاً مكتبة « يوسف اليان سركيس واولاده » — شارع الفجالة رقم ٥٣ ، القاهرة — لائحة بكتبها القديمة والحديثة حتى كانون الثاني ١٩٣٥

* مكتبة الهلال * لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده — شارع الفجالة ، القاهرة — قائمة كتبها العمومية لسنة ١٩٣٣-١٩٣٤

* مكتبة سعد مصر ومطبعتها * لصاحبها ومديرها سيد مصطفى — شارع الفجالة رقم ٦٣ ، شارع درب الجماميز رقم ٣٦ ، مصر — قائمة كتبها لسنة ١٩٣٣ ، مع ملحق بالمطبوعات الحديثة والادوات المدرسية والمكتبية لسنة ١٩٣٤